الجامعة الاميركية في بيروت

الحركة التعليمية عند المسلمين في لبنان خلال القرن التاسع عشر

اعداد
غســـان الغداف

رسالة
مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة استاذ في الآداب
(الماجستير)
الى دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى
في كلية الآداب والعلوم
في الجامعة الأميركية في بيروت

بيروت ، لبنان
أيلول ١٩٩٦

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

THE ISLAMIC EDUCATIONAL MOVEMENT IN LEBANON DURING THE NINETEENTH CENTURY

by
GHASSAN AL-GHADDAF

A thesis
submitted in partial fulfillment of the requirements
for the degree of Master of Arts
to the Department of Arabic and Near Eastern Languages
of the Faculty of Arts and Sciences
at the American University of Beirut

Beirut, Lebanon
September 1996

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

الحركة التعليمية عند المسلمين في لبنان
خلال القرن التاسع عشر

by
GHASSAN AL-GHADDAF

Approved by:

Dr. Nadeem Naimy, Professor Arabic	Advisor
Dr. Sami Makarem, Professor Arabic	Member of Committee
Dr. Fuad Haddad, Professor Education	Member of Committee
Dr. George Jeha, Lecturer Arabic	Member of Committee

Date of Thesis Presentation: September 4, 1996.

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

THESIS RELEASE FORM

I, Ghassan Al-Ghaddaf

☑ authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals upon request.

☐ do not authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals for a period of two years starting with the date of the thesis defense.

Signature

31/10/1996

Date

شكر

لا يسعنا ونحن على اعتاب انهاء هذا البحث الا ان نسجل الشكر والعرفان لمن ساهم وساعد في اتمامه.
فنتوجه بالشكر العميق الى الاستاذ المشرف الدكتور نديم نعيمه الذي رعانا بتشجيعه وتوجيهه وسعة صدره، والذي كان له الفضل الاكبر في انجاز هذا العمل على النحو الذي انتهى اليه.
كما ندين بالشكر الى موظفي مكتبة يافث في الجامعة باقسامها كافة الذين لم يبخلوا علينا بتقديم المساعدة وتوفير العون. ونتوجه بالرحمة الى روح المرحوم الشيخ طه الولي مسجلين له الفضل والجميل على كل ما كان قد ذخرنا به من معلومات ساعدتنا فيما نحن نبحث.
ونشكر ايضاً سماحة السيد الاستاذ حسن محسن الامين على كل ما قدمه لنا من معلومات ساهمت في تنوير جوانب مهمة من قضية التعليم لدى الشيعة في جبل عامل خلال القرن الماضي، كما نتوجه بالشكر والامتنان الى سماحة الاستاذ شوقي حمادة الذي وضع مكتبته التاريخية الموروثة بكل محتوياتها النفيسة في تصرف بحثنا كما نقدر له مساعدته بمدنا بالعديد من الكتب والوثائق النادرة دون تردد هذا بالاضافة الى المعلومات القيمة التي أفادنا بها شخصياً.
ونتوجه بالشكر ايضاً الى سماحة الشيخ أسد عاصي الذي فتح لنا قلبه ومدنا بمعلومات أساسية في معرض معالجتنا لقضية التعليم لدى العلويين في لبنان خلال القرن الماضي بكثير من الانفتاح والعقلية الرحبة. لذلك الشيخ الجليل منا كل الاعتراف بفضله وجميله.
كما نسجل الشكر الى السيد محمد ابو مرعي المسؤول في جمعية المقاصد في صيدا. والى الصديق الدكتور علي حرب على كل ما قدمه لنا من مساعدة، ايضاً الى كل من الآنستين سلوى خوري ورنا قائد بيه.
الى جميع هؤلاء منا جزيل الشكر والتقدير.

مستخلص رسالة ماجستير

غسان الغداف : ماجستير في الآداب
التخصص : أدب عربي.

العنوان: الحركة التعليمية عند المسلمين في لبنان خلال القرن التاسع عشر

كثيرة هي البحوث العلمية التي تناولت النشاط الارسالي خلال القرن التاسع عشر وما نتج عنه من حركة تعليمية شملت كافة الطوائف المسيحية في لبنان (بالمفهوم الحالي للكلمة). بيد ان حركة المدارس والتعليم لدى المسلمين في لبنان خلال القرن الماضي لم تأخذ حقها من الكتابة، لذلك حاولنا من خلال هذا البحث سبر أغوار الحركة التعليمية عند المسلمين في لبنان خلال القرن التاسع عشر وتطورها.

وقد جاء البحث في اربعة فصول هي:

الفصل الأول وقد تناول التعليم لدى السنة في بيروت بشقيه الأهلي والرسمي كما خصص الفصل الثاني لحال التعليم لدى السنة في صيدا وطرابلس-عكار. وفيما أفرد الفصل الثالث للشيعة وحركتهم التعليمية ومحاولات الاصلاح التعليمي في جبل عامل واسباب فشلها، شمل الفصل الرابع واقع التعليم والمدارس لدى كل من الطائفتين الدرزية والعلوية ووسائل التعليم لدى كل منهما.

وقد خلص البحث الى نتيجة دلت على ان الطائفة السنية قد نشطت في اطار التعليم والمدارس في لبنان، فبالاضافة الى المبادرة الرسمية التي قامت لديهم برزت المبادرة الأهلية التي تجلت بمؤسسات تعليمية في صيدا وبيروت (المقاصد) بينما جاءت المبادرة الأهلية في طرابلس-عكار فردية من خلال انشاء عدد من المدارس يقوم على ادارتها ورعايتها افراد من وجهاء الطائفة.

أما الشيعة فقد برزت لديهم حركة تعليمية أهلية محافظة لها امتدادها الجغرافي والعقيدي في ظل غياب تام للمبادرة الرسمية. ولم تستطع الطائفة الشيعية في لبنان طيلة القرن الماضي ان ترقى بتعليمها الى ما فوق التعليم الديني رغم كل محاولات الاصلاح في هذا الشأن.

وقد تمحورت الحركة التعليمية الأهلية لدى الدروز خلال القرن الماضي حول مدارس القرى القائمة على بعض العلوم البدائية والتي كان (الشيخ) يلقنها للصبية. أما على مستوى المبادرة الرسمية فقد قامت المدرسة الداودية في عبيه بجهد مشترك بين المتصرف والأهالي وقد نشأ لدى الدروز نوع آخر من المدارس لم يكن معروفاً لدى

غيرهم من الطوائف الاسلامية هو مدارس الطبقة الاقطاعية التي كانت تقوم في القصور (كمدرسة المختارة).

أما الطائفة العلوية فلم تستطع طيلة مسيرتها التعليمية خلال القرن الماضي ان تتجاوز مرحلة التعليم الاولى التي كانت تتمثل بزوايا البيوت التي كان يديرها (الخطيب) أي الشيخ ويلقن الصبية المبادىء الاولى للكتابة والقراءة. ولم يعرف العلويون المبادرة الرسمية مطلقاً أما اهداف التعليم لديهم فكانت دينية بحتة.

AN ABSTRACT OF THE THESIS OF

Ghassan al-Ghaddaf for Master of Art
Major: Arabic Literature

Title: The Islamic Educational Movement in Lebanon During the Nineteenth Century

During the nineteenth century, Lebanon has witnessed a rise in the educational movement as well as a development of educational institutions. Much literature is written on western and mainly christian educational activities in Lebanon; however, very little writings tackled the topic of educational activities among the Moslem community. In an attempt to fill in this gap, this paper traces the educational activities, mainly educational institutions, among the four main islamic sects in Lebanon, namely: Sunnites, Shi'ites, Druzes and Alawites.

This dissertation consists of four chapters distributed as follows:

Chapters one and two discuss educational activities in official as well as private institutions among the Sunnites in Beirut, Saida and Tripoli-Akkar respectively. Chapter three focus on the educational activities of the Shi'ites, mainly their reformation movement in Mount Âmel; its successes and its failure. Chapter four discusses Druzea and Alawites educational movements focussing the characteristics of their educational institutions.

The research concludes the following: Concerning the Sunnites, their active educational movement is noticable. In Beirut and Saida, education has developed not only through official schools but also by establishing private institutions (Al-Makassed).

In Tripoli-Akkar educational activities have been controlled, sponsored and administered by notables of the sect.

The Druzes, on the other hand, have been active on two levels: Officially by establishing the Dawoudia school at Abeih and privately by having "Sheikhs" who take over the role of educating boys in primitive village localities or in houses of celebrities.

As to Alawites, no schools public or private seem to have available to their children. Only "Sheikh" whenever any education was attempted were qualified to teach, and this was done in their places of worship. The only subject taught was religion.

تمهيد

شهد القرن التاسع عشر التقاءً بين الغرب الشرق، وقد تمثل في جملة ما تمثل بقدوم الإرساليات الأجنبية إلى منطقة الشرق العربي ومن ضمنها لبنان، حيث بدأت هذه الإرساليات بإقامة دور تعليم ودور تعليم مضادة. ولم يكن الهدف الأساس من إنشاء هذه المؤسسات التعليمية تربية الأطفال وتهذيبهم بقدر ما كان التبشير الديني هو الهدف واستقطاب الناس حول المذهب الخاص بكل مجموعة إرسالية. وهذا النشاط أدى الى نشؤ وتطور التعليم والمؤسسات التعليمية في المشرق العربي بشكل عام، وفي لبنان بشكل خاص، ونحن اذ نقول لبنان خلال القرن التاسع عشر انما نعني به المفهوم الحالي للكلمة أي لبنان بحدوده ومناطقه الحالية. وقد اقتصرت أغلب البحوث التي كتبت خلال القرن الماضي على تغطية الحركة التعليمية لدى الطوائف المسيحية من دون المسلمين، إذ لم يكتب عن هذه الحركة لدى الطوائف الإسلامية خلال تلك الفترة الا القليل.

نحاول في هذه الدراسة أن نكشف النقاب عن تاريخ الحركة التعليمية لدى المسلمين في لبنان خلال القرن التاسع عشر وتطورها، ورصد محاولات التحديث فيها ومدى نجاح هذه المحاولات. ويعود اختيارنا لهذا الموضوع لأمرين اثنين:

أولهما ما وجدناه من أهمية لهذا الموضوع في تلك الفترة بالذات، وما حمل من تحد على مستوى الإرادة لدى المسلمين للخروج من حال الجهل عبر إنشاء مدارس تعنى بتربية أبنائهم، مع ما رافق ذلك من محاولات حثيثة للارتقاء بالمؤسسات القائمة والمناهج المطبقة تشبها بالمدارس المسيحية.

والأمر الثاني هو رفد المكتبة العربية، التاريخية والتعليمية، بدراسة تكمل الجوانب الغائبة، وتتمم صورة الواقع التعليمي التي -لسبب أو لآخر- فقدت بعض أجزائها المهمة.

نهجنا في بحثنا هذا، الأسلوب الذي وجدناه منسجماً مع المنطق الذي حكم الشأن التعليمي، في تلك الفترة، عند الطوائف الإسلامية كما عند غيرها من الطوائف ؛ ولذلك

فقد قمنا بتوزيع الدراسة والبحث تبعاً لانتشار المذاهب الإسلامية وأماكن تجمعها، نظراً لتشابه العوامل والدوافع ومظاهر الحركة التعليمية عند كل منها.

وجاء بحثنا في أربعة فصول:

-الفصل الأول: ويتناول التعليم عند السنة في بيروت، بشقيه الأهلي والرسمي، عارضاً لظروف نشأة كل منهما وتطوره وإنجازاته، مفصلاً المراحل الأساسية التي مرّ بها، راصداً أهم المدارس الأهلية والرسمية ومبيناً أوضاعها كافة وما نتج عنها وما آلت إليه حالها.

-الفصل الثاني: تابعنا فيه استكمال توضيح الحركة التعليمية عند السنة في صيدا وطرابلس-عكار، مترسمين الخطوط عينها التي طبقناها على بيروت. وإن إفراد فصل خاص لسنة بيروت، وفصل ثان لسنة صيدا وطرابلس، لم يكن بدواعٍ موضوعية أو فوارق منهجية، إنما هو أمر استدعته شكلية البحث وتنظيمه ليس إلا.

-الفصل الثالث: وتناولنا فيه التعليم عند الشيعة في جبل عامل، حيث تبين لنا بأن هذه المنطقة شكلت مركز الثقل ومحور الحركة والنشاط في هذا المجال. وعرضنا خلال هذا القسم بالتفصيل الدور الكبير الذي لعبه التعليم الأهلي لدى الطائفة الشعية، وبخاصة ما وجدناه من امتداد عقائدي، تعدى حدود المنطقة، حفاظاً على خصوصية العقيدة واستسقاء منابعها الأصيلة. كما شرحنا أيضاً المحاولات الأهلية المختلفة والمدعومة من الجهات الرسمية في الحكومة المحلية لتحديث التعليم في جبل عامل، وأسباب فشلها ورفض الأهالي لها، معرجين على دوافع غياب التعليم الرسمي عن الساحة التعليمية الشيعية.

-الفصل الرابع: خصصناه للبحث في واقع الحركة التعليمية عند الطائفتين الدرزية والعلوية في لبنان، ووسائل التعليم عند كل منهما، وسعيهما من أجل إيجاد تعليم أفضل ينتفع به أبناؤهما، كما عرضنا لأهم المدارس وإنجازاتها التي قامت لدى الطائفة الدرزية وأسباب انعدامها لدى العلويين.

اعتمدنا في هذا البحث بشكل أساس على صحيفة "ثمرات الفنون" لصاحبها ورئيس تحريرها الشيخ عبد القادر قباني، والصادرة في بيروت خلال القرن التاسع عشر كما اعتمدنا على صحيفة "طرابلس الشام" لصاحبها محمد كامل البحيري الصادرة

في طرابلس خلال الفترة نفسها. كما اعتمدنا أيضاً على العديد من الكتب التي أرّخت لشخصيات ومناطق ومدن تقع ضمن دائرة البحث.

ومن المشاكل الجدية التي واجهت بحثنا هذا ندرة البحوث العلمية التي تتناول جانب التربية والتعليم لدى المسلمين في لبنان خلال القرن الماضي، لذلك اعتمدنا على بعض اللقاءات الشخصية مع مراجع وشخصيات عايشوا أو سمعوا ممن عايش تلك الفترة بهدف توضيح أمر أو تأكيد خبر أو إعطاء صورة أوضح تتعلق بالجو التعليمي العام آنذاك. وقد استطعنا من خلال الابحاث التي قمنا بها في المكتبات الخاصة- الموروثة والقديمة- في بعض البيوتات العلمية أن نقع على بعض الوثائق التاريخية النادرة التي ألحقناها ببحثنا إذ وجدناها تسهم في تنوير المعلومات وتوضيح الصورة التي نسعى الى تظهيرها.

وقد حاولنا جهدنا لكي يغطي بحثنا أوسع مساحة ممكنة للحركة التعليمية لدى المسلمين بمذاهبهم الأربعة الموجودة في لبنان خلال القرن التاسع عشر، ونرجو أن نكون قد وفقنا إلى تقديم دراسة علمية يمكنها أن تكون محطة أساس لدراسات مقبلة قد تبدأ من إحدى نقاط بحثنا أو من حيث انتهينا إليه.

محتويات البحث

II- التعليم عند السنة في طرابلس وصيدا.................. ٤٦

الفصل الأول

التعليم عند السنة في بيروت

توطئة:

لم يكن لدى المسلمين السنة في لبنان بعامة وفي بيروت بخاصة، حتى نهايات القرن التاسع عشر، مدرسة بالمعنى الذي نفهمه اليوم، تضم أساتذة مختصين في حقول محددة وفق برامج معدة ومقررة . وكانت المعاهد التعليمية عند المسلمين، في أنحاء الدولة العثمانية وفي جميع البلاد العربية حتى ذلك التاريخ، من نوع المدارس الدينية التقليدية التي تهدف إلى تعليم مبادئ الدين والقرآن. وكانت هذه المعاهد تعرف باسم الكتّاب.[١] وقد مثل الكتّاب المرحلة الأولى من التعليم، وهو قديم العهد، وكان يعلم فيه شيخ الكتّاب ويلتحق به الأطفال من الذكور وقد يضم أحياناً ما ندر من الإناث. وكانت أعمار التلاميذ تبدأ من الرابعة أو الخامسة في المدن ومن السابعة أو الثامنة في القرى، ومكان الكتّاب عادة زاوية في فناء الجامع، أو غرفة ملحقة به أو في حوش شيخ الكتّاب. وكانت الدروس تقصر على مبادئ القراءة والكتابة العربية ومبادئ الحساب والقرآن الكريم.[٢] أما من أراد من البيروتيين الميسورين تحصيل المزيد من العلم والثقافة لأبنائه، فكان يرسلهم إلى القاهرة للالتحاق بالجامع الأزهر.[٣] ويبدو أن التعليم في تلك الفترة لم يكن هدفا في حد ذاته، وإنما كانت غاية الرجل المسلم في تعليم ابنه، أن يعده ليكون شيخا متعمما يحظى باحترام

---

[١] ساطع الحصري، حولية الثقافة العربية، ج١، القاهرة، الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، ١٩٤٩-١٩٦٢، ص:٣.

[٢] محمد عبد العزيزعوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا، (تقديم :أحمد عزت عبد الكريم)؛ القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩، ص: ٢٥٣.

[٣] طه الولي، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، ط ٤؛ بيروت، دار العلم للملايين،١٩٩٣، ص: ٢٠٩.

المسلمين ويحصل على وظيفة دينية في أحد المساجد، كإعداد خطبة الجمعة وإمامة المؤمنين في صلواتهم.[١]

ولم تكن حال التعليم عند المسيحيين على الغالب، حتى الربع الأول من القرن الماضي، أفضل مما كانت عليه عند المسلمين حتى إن أهداف التعليم في ذلك الوقت كانت هي أيضا متشابهة.[٢]

ولقد ظلت حال المدارس في لبنان على ما هي عليه، حتى بدأت حركة التبشير والإرساليات بالظهور، لتلعب دوراً بارزاً ومهمّاً في تنمية التعليم وتطويره في لبنان وذلك بفعل النزاع الذي بدأ بين الإرساليات الإنجيلية واليسوعية والذي بلغ مداه بشكل ظاهر وحاد في النصف الأول للقرن التاسع عشر عن طريق قطاع التربية وفي إطار إقامة دور تعليم ودور تعليم مضادة، حيث كان الدافع إلى إنشاء المدارس يتجسد برغبة كل فريق في الدعوة إلى مذهبه الديني.[٣] وقد ساهمت عدة عوامل في توجيه الحركة التربوية في المنطقة العثمانية، فإلى جانب نظام الملة الذي اعتبر شؤون التعليم في جملة الأمور المرتبطة بالأديان والمذاهب، وجعل الدولة العثمانية تمنح جميع الطوائف المسيحية والإسرائيلية حق

---

[١] طه الولي، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، ص:٢٠٩.

[٢] يروي الرحالة أسعد يعقوب الخياط المولود سنة ١٨١١ وإن بشكل تهكمي ساخرحكاية نشأته الأولى التي يمكننا أن نتبين منها حال التعليم عند النصارى في تلك الفترة وأهدافه فيقول:"... أما والدي فكان جل اهتمامه مصوبا نحو تهيئة الوسائل لتهذيبي وتثقيفي وكان المثل الأعلى الذي يتمناه لي أن أكتسب من العلوم ما يؤهلني لدخول الدير والاندماج في سلك رجال الدين أو لنزوح إلى بلاد الإفرنج والنجاة من الأخطار المحدقة بنا. وفي سبيل هذه الغاية أرسلني والدي إلى سليم باسيلا بائع الدخان لأتعلم القراءة وكان سليم يقضي النهار بطوله والغليون في فمه، وكان دخانه دوماً يكتنف وجهي وكأن الرجل أراد تحويلي إلى لحم مقدد من نوع الهام (Ham) أو الجانبون. ولو كانت السلطة علي محصورة في معلمي سليم لما كان في الأمر بأس. ولكن امرأة سليم كان لها علي بعض السلطة –بحق الشفعة– فكانت مراراً تبعثني لجلب المياه وإذكاء النار ومراقبة الطعام :دخان من تبغ المعلم في الدكان ودخان من طبخ المعلمة في البيت، تلك كانت خلاصة حياتي المدرسية.' فيليب حتي، "اسعد يعقوب الخياط أعظم رحالة وأول مهذب سوري في القرن التاسع عشر"، الكلية، عدد٤، ج٩، شباط١٩٢٣، ص:١٧٦.

[٣] طه الولي، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، ص: ٢٢١.

تأسيس المدارس وإدارتها،[١] كان هناك نظام الامتيازات الذي أتاح للدول الأجنبية بناء مؤسسات تربوية ونشر الإرساليات التبشيرية في جميع أنحاء الدولة العثمانية،[٢] أضف إلى ذلك الدور الكبير الذي لعبته طبقة رجال الدين المسلمين في توجيه مسار الحركة التعليمية في المنطقة والذي تمثل في حصر التربية العثمانية في نطاقها التقليدي، وفي مقاومة كل دعوة هادفة إلى التجديد في حقل التربية أو محاولة تقليد التيارات الغربية والخروج على الأصول التقليدية المعروفة.[٣] وقد عمدت الطوائف المسيحية إلى تأسيس معاهد تعليمية ونظم تربوية خاصة بها، فيما حرم المسلمون من العرب أي شكل من أشكال التنظيمات أو الامتيازات في أمور المدارس والتعليم وانحصرت المعاهد المفتوحة أمامهم بالتعليمية القديمة التي لم تنل أي حظ من الإصلاح.[٤] ولما ازدهرت المدارس الإرسالية تنبّه المسؤولون في الدولة العثمانية إلى أن الإرساليات الأجنبية ومعها النصارى المحليون يكادون يستأثرون بمنابع العلم والثقافة الفكرية، مما قد يهدد الناشئة الإسلامية ويعزلها عن أجواء الدولة العثمانية، فأوعزت الدولة إلى ولاتها في سوريا للعناية والاهتمام بأمور التعليم في المناطق الواقعة تحت إدارتهم حرصاً على إبقاء المسلمين من العرب ضمن الإطار الفكري للدولة العثمانية.[٥]

---

[١] ساطع الحصري، حولية الثقافة العربية، ص: ١١٠.

[٢] احمد سراج الدين، "الحركة التربوية وتطورها في سوريا ولبنان خلال القرن التاسع عشر"، الأبحاث، مج ٤، ج٣، أيلول١٩٥١، ص:٢٣١.

[٣] م.ن.

[٤] ساطع الحصري، حولية الثقافة العربية، ص: ١١.

[٥] طه الولي، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، ص: ٢٠٩-٢١٠.

المحاولات الفردية الأولى:

١- مدرسة جامع النوفرة:

مع ازدهار المدارس الإرسالية، شعر المسلمون بالخطر يتهدد نشأة أبنائهم الذين أقبلوا على المدارس المسيحية. فحاولوا لمّ شملهم ساعين إلى رسم شخصيتهم التربوية المستقلة، من خلال إقامة مدارس خاصة بهم تغني بنيهم عن المدارس الأخرى. ومن هذه المحاولات مدرسة جامع النوفرة. يقول الشيخ طه الولي عن هذه المدرسة إنها قامت في بدايات النصف الثاني للقرن التاسع عشر، حوالي عام ١٨٦١، بهمة الشيخين محمد الحوت وعبد الله خالد. ومما حمل هذين الشيخين على القيام بهذا المشروع، هو أن بعض أبناء العائلات المحافظة في بيروت جاء إلى الشيخ خالد لافتاً نظره إلى وقوع أبناء المسلمين تحت تأثير التبشير في المدارس الأجنبية. وقد لفت الشيخ خالد نظر الولاية إلى هذا الأمر وسعى طالباً الترخيص بتأسيس مدرسة يتعلم فيها أبناء المسلمين ويستغنون عن المدارس الأجنبية. وعمد الشيخ خالد إلى اختيار جامع النوفرة متخذاً بعض غرفه الواقعة في الجهة الشرقية مكاناً للتدريس.[١] وبالرغم من أن هذه المدرسة كانت أهلية إلا أنها كانت تحظى باهتمام ورعاية شديدين من السلطنة العثمانية.[٢] أما المواد التي اشتمل عليها التدريس في هذه المدرسة آنذاك فيقول المؤرخ طه الولي إنها: القرآن حفظاً وتلاوة وتجويداً، اللغة العربية كتابة وقراءة وكذلك مبادئ الحساب والتاريخ والجغرافيا.[٣] و كان بين طلابها كل من: الشيخ عبد الباسط الفاخوري، والشيخ عبد الرحمن الحوت وعمر الإنسي والشيخ عمر

---

[١] طه الولي، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، ص:٢٣٤. يقول الشيخ طه الولي :"إن هذه الغرف ما تزال موجودة في مكانها ولم يطرأ عليها أي تغيير عما كانت عليه ويصعد إليها بسلم من الحجر على ارتفاع نحو المتر من أرض صحن الجامع."

[٢] مقابلة مع الشيخ طه الولي، عرمون: ١٩٩٥/١٢/١٥.

[٣] طه الولي، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، ص:٢٣٤.

خالد وحسن بيهم و قاسم الكستي.[١]وقد استمرت المدرسة حتى بدايات القرن الحالي. وتميزت بأنها كانت مركزاً للانفتاح الفكري والتلاقي بعيداً عن الاعتبارات الطائفية.[٢] ولا يزال الجامع موجوداً في شارع المصارف، قرب البريد في منطقة رياض الصلح، حيث أصبح اسمه "جامع الأمير منذر" وقد صنفت الحكومة اللبنانية جامع النوفرة والغرف التي شكلت المدرسة في جملة المباني الأثرية التي لا يجوز هدمها أو تغيير معالمها القديمة.[٣]

٢- **المدرسة الرشدية الأهلية:**

ومن المحاولات الأولى أيضاً لدى مسلمي بيروت في إقامة مدارس عصرية إسلامية، كانت مبادرة الشيخ حسن البنا حوالي عام ١٢٨٠هـ-١٨٦٣ م في إنشاء مدرسته التي سمّاها بالرشدية قبل أن تنشئ الدولة مدارسها المعروفة بهذا الاسم نسبة إلى راشد باشا والي سوريا لذلك العهد. بيد أننا لم نعثر على معلومات تفيد عن علاقة ما بين هذه المدرسة والمدرسة الرشدية الحكومية التي أنشئت بعدها بسنوات، سوى هذه التسمية المرتبطة بوالي سوريا آنذاك. وكانت موادها التدريسية تتلخص بالخط والحساب ومبادئ العربية، بالإضافة إلى الدروس الدينية. وكان من أساتذتها الشيخ إبراهيم الأحدب.[٤] كما كان من تلامذتها

---

[١] حسن فروخ، " النهضة التعليمية في لبنان في مطلع القرن العشرين"، محاضرات الندوة، (تح. ميشال أسمر)، السنة الثانية، النشرة ٨-٩، بيروت: المطبعة الكاتوليكية، ١٩٤٨، ص:٣٨٢.

[٢] ومن ذلك ما ورد في مجلة المشرق:" ... وكان المعلم الياس رجلا عاقلا كثير الفهم محنكا بالأمور محبوبا من الخاص والعام. وكان إذا قدم بيروت يخرج جموع من أهل البلدة لاستقباله وكان علماء المسلمين يأنسون إلى حديثه وأفردوا له موضعا بقرب جامع النوفرة ليتباحثوا معه بالعلوم ويتناشدوا الأشعار." لويس شيخو، "المعلم الياس اده الشاعر". المشرق، عدد ١٥، آب ١٨٩٩، ص: ٦٩٥.

[٣] طه الولي، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، ص:٢٣٥.

[٤] عبد الباسط فتح الله، "حياة الأستاذ الرئيس أحمد عباس الأزهري"، الكشاف، مج١، عدد٥، ١٣٤٥هـ-١٩٢٧م، ص:٢٩٢. نقولا زيادة، أبعاد التاريخ اللبناني الحديث، القاهرة: جامعة الدول العربية، ١٩٧٢، ص:١٩٧.

الشيخ أحمد عباس الأزهري.[١]ولم نعد نقع على أخبار لها مما يرجح عدم استمرارها مدة طويلة بعد هذا التاريخ.

٣- المدرسة القادرية:

نشأت المدرسة القادرية على أيدي الشيوخ إبراهيم البربير وحسن ألبنا وعبد القادر الخوجا سنة ١٨٧١.[٢] ولم نعثر على وثيقة ترشدنا إلى المواد التعليمية لهذه المدرسة إلا انه كان من بين هذه المواد اللغتان التركية والفارسية قراءة وكتابة[٣]. وكان موقعها مكان المحكمة القديمة تجاه جامع النوفرة.[٤] وكان من أساتذتها عمر البربير.[٥] ولم نقع على الفترة التي عاشتها المدرسة ويبدو أنها لم تعمر طويلاً هي أيضاً.

ولعل أهمية هذه المرحلة من التعليم لم تكن في النتاج الذي حققته هذه المدارس، بل في روح المبادرة الفردية التي تميزت بالجرأة رغم تضاؤل الإمكانات والمقومات. وإذا كان التعليم خلال فترة الكتاتيب لم يمثل غاية بقدر ما كان وسيلة للطالب لاكتساب الاحترام وضمان وظيفة دينية، فإنه من المرجح القول إن التعليم في مرحلة المبادرات الأهلية الأولى مثل حالة وقائية في حدود الضروريات، لاقتصار المنهاج العلمي في تلك الفترة على بعض العلوم الدينية واللغة العربية والحساب. فتعلم العربية كان ضرورة لقراءة

---

[١] عبد الباسط فتح الله، "حياة الأستاذ الرئيس أحمد عباس الأزهري"، الكشاف، مج١، عدد٥، ١٣٤٥هـ-١٩٢٧م، ص:٢٩٢.

[٢] حسن فروخ، "النهضة العلمية في لبنان في مطلع القرن العشرين"، محاضرات الندوة، (تح.ميشال أسمر) السنة الثانية، النشرة ٨-٩، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٤٨، ص:٣٨٥.

[٣] وفي إعلان للمدرسة موقع من عمر البربير جاء في ثمرات الفنون: "إنه بناء على إقدام الطالبين لتعلم اللغة التركية وبما أن دقائق هذه اللغة تستلزم معرفة اللغة الفارسية فتسهيلاً لذلك أحضرنا معلما فارسيا من أحسن المعلمين الذين يعلمون اللغة كما يشهد لذلك تعليمه لأولادي بحيث صاروا بمدة وجيزة يتكلمون اللغة الفارسية بنوع لم يسبق مثله لغيره من المعلمين وهو مستعد لتعليم اللغة المذكورة مع الكتابة الفارسية أيضا. ثمرات الفنون، عدد١، ١٤ ربيع أول ١٢٩٢هـ، الموافق ٢٠ نيسان ١٨٧٥م، ص:٤.

[٤] م.ن.

[٥] مقابلة مع الشيخ طه الولي.

القران. أمّا تعلّم العلوم الدينية فكان ضرورة أخرى تمليها الفرائض والواجبات لدى المسلمين، فيما كان يشكّل تعلّم الحساب المقدّمات الأولى للعمليات الحسابية البسيطة التي يحتاجها الإنسان في مسائل البيع والشراء أو إدارة عمله التجاري وإجراء حسابات دكّانه مثلا.

المبادرة الرسمية:

على إثر الهزائم المتلاحقة التي منيت بها جيوش السلطنة العثمانية في حروبها مع بعض الدول الأوروبية منذ القرن الثامن عشر،[١] تكوّنت قناعة لدى المفكرين في الدولة أن السبب الحقيقي لهذه الهزائم يعود إلى تقدم أساليب الحرب وتطور وسائلها في أوروبا وتفوقها على الآلة العسكرية العثمانية علوماً وأدوات، الأمر الذي دفع رجال الحكم إلى ضرورة الأخذ بهذه الأساليب واعتماد الوسائل المتطورة لجعل الجيش قادراً على مواجهة الجيوش الأوروبية المسلحة تسليحاً حديثاً.[٢] ومن أجل هذه الغاية أنشئت المدارس العسكرية المتخصصة التي تعنى بتعليم الفنون العسكرية إلى جانب المعارف والعلوم المرتبطة بها كالعلوم الرياضية والطبيعية ومبادئ التاريخ والجغرافيا والتي تعتبر أساسية في تعليم الفنون الحربية والمدفعية والهندسة العسكرية.[٣]وقد خضعت هذه المدارس أكثر من مرة إلى تعديلات متلاحقة في مناهجها ومراحلها من أجل تحقيق الأهداف التي أنشئت من أجلها. فلذا أوجدت الدولة العثمانية المدارس "الإعدادية العسكرية" لتزويد الشباب بالمعلومات العسكرية اللازمة. ثم تنبهت من جديد إلى أنه من الأفضل البدء في تعليم هذه العلوم في

---

[١] خسرت الدولة العثمانية حربها مع الروس عام" ١٧٦٨-١٧٧٤" ونزلت الجيوش الروسية في اليونان وبيروت وتوغل الروس في البلقان والقوقاز وفرض على الدولة العثمانية التخلي عن مقاطعة القرم.وفي عام ١٧٩٨ احتل الفرنسيون مصر ولم يتمكن العثمانيون من طردهم إلا بمساعدة الإنكليز. البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩٣٩، ط٣؛ بيروت، دار النهار للنشر،١٩٧٧، ص:٥٧؛ ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط٢؛ بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٠، ص:١٥١ ١٥٢.

[٢] ساطع الحصري، حولية الثقافة العربية، ص: ٥.

[٣] م.ن.

وقت أبكر من ذلك أيضاً فأنشأت المدارس "الرشدية العسكرية". وقد كانت المدارس "العسكرية العليا" في عاصمة الدولة وحدها، بينما توزعت "الإعداديات والرشديات" على الولايات بأكملها.[١]

ومن خلال هذه الحاجة العسكرية بدأ التفكير بإقامة المدارس العامة وتعميمها ولكن يبدو أن إنشاء هذه المدارس لم يتم وفق الترتيب المنطقي من المستوى الأدنى إلى الأعلى، على أساس نظرة تربوية شاملة مبرمجة، ولكنه تمّ وفق تنظيم عملي ساهمت التجربة في بلورته عن طريق اكتشاف بعض الثغرات المطلة على حاجات جديدة سعت الدولة إلى معالجتها. ومما يعزز هذا الرأي أيضاً إن أولى المدارس الحديثة "الرشديات" التي أنشئت كانت لغايات عسكرية بحتة كما إن أولى المؤلفات في العلوم الرياضية والطبيعية- وحتى في التاريخ والجغرافيا- كانت قد وضعت في المدارس العسكرية وللمدارس العسكرية.[٢]

وفي ٢٤ جمادى الأولى(١٢٨٦ هـ-١٨٦٩ م) صدر نظام المعارف العمومية الذي صنف التعليم إلى فئتين: الأولى العمومية أي(الرسمية) و هي المدارس التي تديرها الدولة،[٣]

---

[١] ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ص:٨٤؛ ساطع الحصري، حولية الثقافة العربية، ص: ٥.

[٢] ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ص:٨٣.

[٣] قسمت الدراسة بموجب نظام المعارف إلى خمس مراحل: ١- المرحلة الابتدائية: نص نظام المعارف على وجوب وجود مدرسة ابتدائية في كل قرية أو على الأقل في كل قريتين على أن يدفع أهل القرية نفقات إنشاء المدرسة وتعميرها ومخصصات المعلمين فيها والتعليم في هذه المرحلة إلزامي(غير أن هذه القرارات بقيت في إطارها النظري ولم تنتقل إلى مرحلة التطبيق.) ومدة الدراسة فيها أربع سنوات أما مناهج التعليم فكانت تتضمن العلوم الدينية(استظهار القرآن وتجويده) والقراءة والكتابة باللغة التركية والحساب والعلوم والجغرافيا والتاريخ ولا يتعلم التلميذ في هذه المرحلة أية لغة أجنبية. ٢- المدارس الرشدية: نص نظام المعارف على وجود مكتب رشدي واحد في كل بلد يتجاوز عدد سكانه (٥٠٠) بيت... ويتحمل صندوق إدارة معارف الولاية جميع نفقات إنشاء المدارس الرشدية. ويعين في كل مدرسة عدد من المعلمين يتناسب وعدد التلاميذ فيها (لم يكن هذا النص يطبق بدقة إذ إن الاعتناء بالمدرسة الرشدية كان خاضعا لإرادة الوالي العثماني ورضاه). مدة الدراسة في هذه المرحلة أربع سنوات.(ويبدو أنه في أواخر القرن الماضي أدمجت المرحلة الرشدية في الإعدادية التي أصبحت مدتها سبع سنوات فأصبحت بذلك مراحل الدراسة: الابتدائية ثم الإعدادية.) أما مناهج المدارس الرشدية فهي: العلوم الدينية واللغة التركية ومبادئ اللغتين العربية والفارسية وكانت اللغة العربية للاستفادة منها في تفسير-(يتبع)

والثانية الخاصة وهي التي يديرها أفراد ومؤسسات وتخضع لإشراف الدولة.[١] وقد أنشأت الدولة إدارة خاصة للمعارف في ولاية سوريا تتبع مجلس المعارف الكبير في إستانبول وتكون مهمتها الإشراف على المدارس وتعيين مديريها بعد موافقة الإرادة السلطانية.[٢]

١- المدرسة الرشدية العسكرية:

نشأتها:

نشأت هذه المدرسة بفعل المبادرة والسعي الرسميين، ولا علاقة تربطها "بالرشدية الأهلية" التي أنشأها حسن البنا عام ١٢٨٠هـ-١٨٦٣م إلا من حيث التسمية. أما قيام هذه المدرسة فتم على مرحلتين.

كانت نشأتها الأولى حوالي عام ١٢٨٤هـ-١٨٦٧م على يد راشد باشا والي سوريا عندما رأى حاجة أهل الولاية ولا سيما مسلمي بيروت إلى مدرسة لتعليم الطلاب وتأهيلهم للانتظام في سلك المدارس الحربية في استانبول. ويبدو أن هذه المدرسة قد واجهت صعوبات كثيرة في بداية نشأتها وتأرجحت بين التدريس والتوقف إذ كانت تقفل مرات عدة

-القرآن والحديث. ٣- المدارس الإعدادية: تؤسس في مراكز الأقضية والألوية التي يتجاوز عدد سكانها ١٠٠٠بيت بنفقة الدولة وقد خصص لكل مدرسة إعدادية ستة معلمين مع معاونيهم يحملون شهادة دار المعلمين ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات(وهذا القرار لم يكن يطبق أيضا فحتى العقد الأول من القرن الحالي لم يكن في مدينة صيدا مدرسة إعدادية). أما مناهجها: اللغة التركية والحساب والهندسة والقانون العثماني والتاريخ العام والجغرافيا والطبيعة(الطبيعيات) والمنطق والجبر والرسم واللغة الفرنسية ولا تدرس فيها العربية. ٤- المدارس السلطانية: وهي فوق مستوى الإعدادية وتقسم الدراسة فيها إلى قسمين: القسم العالي ومدة الدراسة فيه ست سنوات ومواده عديدة والقسم العدي ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات ومناهجه كمناهج المرحلة الإعدادية والتعليم في هذه المدارس بالتركية. ٥- المدارس العالية: وتشمل دار المعلمين والمعلمات ودار الفنون في استانبول ومكاتب الفنون والصنائع المختلفة. ومدة الدراسة في كل شعبة من هذه الشعب ثلاث سنوات باستثناء الذين يعدون للتدريس في مدارس الدولة العثمانية فأربع سنوات. راجع: محمد عبد العزيزعوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا، ص:٢٥٤-٢٥٧.

[١] اشترط نظام المعارف على المدارس الخاصة أن تحصل على إذن رسمي لقيامها وأن تتبع منهاجا مصدقا عليه من السلطات وأن يحمل أساتذتها شهادات تعترف بها الدولة. راجع: محمد عبد العزيز عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا، ص:٢٦٣.

[٢] م.ن.، ص:٢٥٧.

بسبب استخدامها مكاناً لنزول المسافرين الذين يمرون في بيروت وغيرذلك.[١] ويعزز هذا الظن ما وقعنا عليه من أخبار تعود إليها في هذه المرحلة. تخبرنا ثمرات الفنون أن مدة الدراسة في هذه المدرسة سنتان وان المواد التعليمية فيها للصف الثاني: العلوم الدينية والقراءة العربية البسيطة واللغة التركية و اللغة الفارسية والخط وبعض الوظائف التطبيقية ووظائف الأطفال. أما الصف الأول فكانت مواده: مبادئ الجغرافيا والحساب و إنشاء تركي والخط والقواعد اللغوية الفارسية ومقصود وعوامل (صرف ونحو).[٢] ويبدو انه ساد المدرسة جو من الفوضى والبلبلة وبخاصة في منهاجها التعليمي، إذ من الغريب جدا أن نجد المواد التعليمية في الصف الأول وكأنها متقدمة على مواد الصف الثاني. ففي الوقت الذي كان الطالب يدرس فيه اللغة التركية واللغة الفارسية في الصف الثاني كنا نجده يدرس الإنشاء التركي والقواعد اللغوية الفارسية في الصف الأول. هذا بالإضافة إلى مواد يدرسها الطالب في السنة الأولى ولا يدرسها في السنة الثانية كمادة الحساب مثلا .

بعد مرور حوالي عشر سنوات على تأسيس المدرسة الرشدية وتعثر انطلاقها، دخلت المدرسة في مرحلتها الثانية عندما تعين رائف أفندي متصرفاً على بيروت لأول مرة، فخصص لها الأموال من خزينة الدولة ومن المجلس البلدي وأخلاها من النزلاء وجعلها مدرسة حربية وجرى افتتاحها يوم السبت الثالث عشر من شوال ١٢٩٤هـ الموافق ٢ تشرين الأول ١٨٧٧م.[٣] وقد لاقت خطوة افتتاح المدرسة استحسانا" لدى البيروتيين فأقبل الطلاب عليها بكل أمل ورجاء.[٤] وقد كانت مدة الدراسة فيها أربع سنوات وتقسّم دروس

---

[١] مقابلة مع الشيخ طه الولي، الجنان، مج ٨، ج٢١، ١٨٧٧، ص:٧٢٧-٧٢٨

[٢] ثمرات الفنون، عدد ١٢، ٣ جمادى الثانية ١٢٩٢هـ، الموافق ٦تموز١٨٧٥م، ص:٤؛ م.ن.، عدد ١٣، ١٠ جمادى الثانية ١٢٩٢هـ، الموافق ١٣ تموز ١٨٧٥م، ص:٤.

[٣] الجنان، مج ٨، ج٢١، ١٨٧٧، ص:٧٢٧-٧٢٨.

[٤] ثمرات الفنون، عدد ١٧٨،١ رمضان ١٢٩٥هـ، الموافق ٢٩ آب ١٨٧٨م، ص:٣.

الصف الأول إلى مرحلتين.[١] وفي عام ١٨٩٢ تغيّر جدول الدروس فيها بحيث وجّه اهتمام أكثر إلى اللغات وخصوصا" التركية.[٢]

وبعد مرور سنة من عمر المدرسة الرشدية وأثناء فحص التلاميذ تبين أن عددهم لا يتجاوز الأربعين على الرغم من سعة المدرسة ووفرة المعلمين وإتقان التعليم.[٣] ولعلّ من أسباب قلة عدد الطلاب في المدرسة أن إدارتها كانت تتشدّد في انتقاء طلابها بحيث

---

[١] كان جدول الدروس في المدرسة الرشدية عام ١٨٧٨ على الشكل التالي: ١- دروس المرحلة الأولى من الصف الأول: صرف، عربي، قواعد فارسية، علم حال، إملاء تركي وحسن خط ورسم بقلم رصاص. ٢- دروس المرحلة الثانية من الصف الأول: الأسماء التركية - الحكايات المنتخبة - صرف تركي - حسن خط إملاء تركي. ٣- دروس الصف الثاني: نحو عربي - حساب - جغرافيا لغة فارسية - إملاء تركي - حسن خط تركي - رسم بالقلم الأسود - اللغة الفرنساوية. ٤- دروس الصف الثالث: منطلق اللغة العربية مع تطبيقاته - حساب - الهندسة الخطية - الجغرافيا العمومية - قواعد اللغة العثمانية - اللغة الفرنساوية - إملاء تركي - حسن الخط الفرنساوي - رسم. راجع: م.ن.، عدد ١٨٥، ٢٦ رمضان ١٢٩٥هـ، الموافق ١١ أيلول ١٨٧٨م، ص:٤.

[٢] أصبح مساق الدروس كما يلي متضمنا المواد وعدد الساعات الأسبوعية لكل مادة.

لسنة الأولى:	السنة الثانية:
لساعات ٣ العلوم الدينية وعلم الحال المفصل والقران بالتجويد والحفظ ٢ العربي بالأمثلة الجديدة والبناء ٢ القراءة التركية والإملاء ٢ الحساب تعليم الأعمال الأربعة ١ الخط	٣ العلوم الدينية حفظ المسائل الأساسية من الدريكتا وتلاوة القرآن بالتجويد ٣ العربي المقصود والعوامل (صرف ونحو) ٢ الفارسي: التعلم بالفارسي مع القواعد ٣ القواعد العثمانية والإملاء ٢ الحساب: الكسورات العادية والاعشارية ٢ الجغرافيا: (قارة) أرروبا ١ الخط
السنة الثالثة:	السنة الرابعة
٣ العلوم الدينية: يكمل حفظ كتاب الدريكتا والقرآن مع التجويد ٣ العربي: يقرأ النصف الأول من متن الإظهار ٢ الفارسي. القو عد الفارسية مع كتاب نصيحة الحكماء ٢ القواعد العثمانية واللغة والإملاء تكمل القواعد بتطبيقها وتحفظ اللغة المستعملة ٣ الحساب: تعليم المقاييس والأعداد المركبة والرفع والجذور والنسبة ٢ الجغرافيا: تعليم (القارات) الأربع بالتتابع ٣ التاريخ : تاريخ الأنبياء وتاريخ الخلفاء والسلاطين الإسلامية حتى ظهور الدولة العثمانية	٣ العلوم الدينية شرح الدريكتا مع كتاب نعمة الإسلام ٢ العربي تكميل الإظهار والأخذ بالتطبيقات ٢ الفارسي منتخبات كتاب الكلستان ٢ الإنشاء والكتابة واللغة العثمانية ١ الحساب: يكرر تطبيقات المسائل الحسابية ويدرس كتاب مختصر الأصول الدفتري ١ الجغرافيا: تدرس جغرافية البلاد المحروسة الشاهانية ٢ التاريخ: التاريخ العثماني ٢ الهندسة: تعلم الأشكال الهندسية البسيطة والمساحات ١ الخط: خط الرقعة (نوع من فنون كتابة الخط)

ثمرات الفنون، العدد ٨٨٩، الاثنين ٢٥ ذي القعدة ١٣٠٩هـ، الموافق ٢٠ حزيران ١٨٩٢م، ص:٣.

[٣] م.ن.، عدد ٢٣٩، ٩شعبان ١٢٩٦هـ ، الموافق ٢٨ تموز ١٨٧٩م، ص: ١.

يستحيل على من لم يكن قد تعلم القراءة وابتدأ بالكتابة أن يقبل فيها[١] ويقول الشيخ الولي إن المنتسبين إلى المدرسة الحربية أو العسكرية كانت تختارهم الدولة من بين أبناء العشائر البدوية، لحرصها على ضمان ولائهم للعرش العثماني، ولقدرتهم على ضبط العناصر المخلة وجعلها تحت المراقبة.[٢]

وقد حظيت المدرسة الرشدية فيما بعد بشهرة رائجة وسمعة طيبة إذ فاق عدد التلاميذ فيها المائة طالب بينما بلغ عدد أساتذتها الثلاثة عشر يدرسون فيها علوماً كثيرة ولغات مختلفة.[٣]

ويذكر الشيخ الولي أن التعليم في المدرسة الرشدية كان على نفقة الطالب بالإضافة إلى تكاليف مأكله وملبسه ولوازمه المدرسية. وفي نهاية المدة المقررة للدراسة في هذه المدرسة يتخرّج الطالب برتبة صف ضابط عسكري أو ما كان يسمى في ذلك الحين (كوجك ضابطان) أي الضبّاط الصغار.[٤] وبعد تخرّجه من المدرسة برتبة ضابط صغير، وإذا ما تم اختياره من السلطات المعنية، ينقل إلى المكتب الإعدادي الشاهاني في دمشق

---

[١] م.ن.، عدد ٢،١٧٠ شعبان ١٢٩٥ هـ، الموفق أول آب ١٨٧٨م، ص:٤.

[٢] طه الولي، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، ص:٢١٠.

[٣] نشرت مجلة "السالنامة"* التركية التي كانت تتضمن أخبار الولايات، عدد الأساتذة في المدرسة الرشدية والمادة التعليمية لكل منهم على الشكل التالي:" نشأت أفندي أستاذ فن الرسم والتصوير - الشيخ أحمد عباس الأزهري والأستاذ علي أفندي : لغة عربية وعلوم دينية - اليوزباشي سليم أفندي أستاذ مادة الرياضيات - الأستاذ عمر لطفي أفندي ناظر-الأستاذ نائل أفندي: إملاء الأستاذ عمر أفندي: قواعد - الأستاذ فيضي أفندي : اللغة الفارسية - والملازم أول عبد الرحمن أفندي : اللغة التركية - الملازم أول واصف أفندي مسؤولا عن الداخلية ويحي أفندي لنظارة سلاح الفرسان". راجع:السالنامة ، ولاية بيروت، (١٣١١هـ-١٣١٢هـ) (١٨٩٣م-١٨٩٤م) ، ص:٢٤١.

* السالنامة: كلمة فارسية الأصل مؤلفة من مقطعين الأول سال: ويعني سنة والثاني نامه ويعني أُوراق فهي بذلك تعني الأوراق السنوية. راجع: عبد العزيز عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا، ص:٣٧٢.

[٤] طه الولي، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، ص:٢١٢.

لمتابعة دراسته هناك. ومدة الدراسة في هذا المكتب سنتان ينقل بعدها إلى المكتب الحربي في الآستانة (وهو مدرسة حربية عليا) ومدة الدراسة فيه أربع سنوات. على أن جميع المصاريف والنفقات في المكتبين المذكورين كانت تتكفل بها الدولة.[١]

موقعها:

الوثائق التي بين أيدينا تشير إلى أن هذه المدرسة قد تغيّر مكانها غير مرة فتنقلت بين محلتي الباشورة وزقاق البلاط،[٢] إلى أن تم تشييد بناء لها في المحلة التي تعرف اليوم باسم "حوض الولاية" الواقعة باخر "نزلة" برج أبي حيدر حاليا" باتجاه المدينة. وكان تدشين البناء الجديد في شهر محرم سنة ١٣٠٣هـ تشرين الأول ١٨٨٥م.[٣]

ولا يزال مبنى المدرسة موجودا" حتى يومنا هذا، وتشغله مدرسة ثانوية حوض الولاية الرسمية للبنين التابعة لوزارة التربية.

وفي أوائل القرن الحالي كان في الجهة الغربية من بناء المدرسة بستان فيه بعض أشجار الصفصاف العالية والبرتقال والأكي دنيا، يقابله من الجهة الجنوبية ملعب للتلاميذ، وكانت غرف التدريس غاية في الوسعة.[٤]

---

[١] ثمرات الفنون، عدد ١٨٥، ٢٦ رمضان ١٢٩٥هـ، الموافق ١١ أيلول ١٨٧٨م، ص:٤.

[٢] م.ن.، عدد ٤١٧، ١٨ ربيع الثاني ١٣٠٠هـ، الموافق ١٤ شباط ١٨٨٣م، ص:١؛ وعدد ٤٣٦، ٤ رمضان ١٣٠٠هـ، الموافق ٢٧ حزيران ١٨٨٣م، ص:٤.

[٣] طه الولي، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، ص:٢١١.

[٤] فاروق الجمال، "تعالوا نفتح صفحات التاريخ منذ كانت حوض الولاية الكلية العسكرية"، الدستور، مج٤، ٢٩ نيسان – ٢٨تموز، ١٩٧٤، ص:٥٦.

٢- المدرسة الرشدية الملكية[١]:

نشأت هذه المدرسة بعد الرشدية العسكرية، وتذكر رنا الخوري أن نشأتها كانت عام ١٢٨٥هـ-١٨٦٨م وتقول إنها كانت تدرس في جملة ما تدرسه "التركية والعربية والفرنساوية والفارسية بآدابهن"[٢].ولم تكن "الرشدية الملكية"- فيما عدا بعض المواد الحربية البسيطة -تختلف كثيرا" عن "العسكرية" من حيث المنهاج. وقد تابعت هذه المدرسة مسيرتها التعليمية متعايشة مع " الرشدية العسكرية". وتخبرنا "ثمرات الفنون" أنه في سنة ١٨٨١ صدر قرار متصرفي قضى بإدخال عشرة طلاب إلى المدرسة "الرشدية الملكية" بعدما أتموا دراستهم الابتدائية، وستة عشر إلى "الرشدية العسكرية"، وأخذوا يدرسون العلوم والفنون.[٣] وفي عام ١٨٨٤ بلغ عدد طلاب "الرشدية الملكية" ثمانين طالبا" وعدد مدرسيها ثلاثة.[٤] ولم نقع على خبر يفيدنا عن منهاج المدرسة الكامل، إلا أنها استمرت حتى أواخر القرن الماضي. وكانت العادة أن تجري امتحاناتها السنوية في احتفالات علنية، يحضرها الرسميون والوجهاء وأهالي الطلاب.[٥] أما موقع المدرسة فقد تغيّر وتبدّل مرات

---

[١] المعاهد التعليمية التي تنعت بالملكية "كالرشدية الملكية والإعدادية الملكية" هي التي أنشئت لأول مرة على شكل مدارس اختصاصية تهدف إلى تخريج الموظفين الذين تحتاج إليهم مختلف مصالح الدولة. وفي العقد الأخير من القرن التاسع عشر كانت كملت تشكيلات المدارس الملكية (أي المدنية غير العسكرية) : الرشدية الملكية والإعدادية الملكية وكان فوق هذا مدارس الاختصاص العالي كمدرسة الطب ومدرسة الحقوق ومدرسة الإدارة والسياسة. راجع: ساطع الحصري، حولية الثقافة العربية، ص:٦و١.

[٢] رنا يوسف الخوري، بيروت في المصنفات العربية، بيروت، الجامعة الأمريكية، ١٩٩٥، ص:٢٨١.

[٣] ثمرات الفنون، عدد٣٤٨، ٢٥ شوال ١٢٩٨ هـ، الموافق ١٩ أيلول ١٨٨١م، ص:٢.

[٤] رنا يوسف الخوري، بيروت في المصنفات العربية، ص:٢٨١.

[٥] ثمرات الفنون، عدد ٦١٢، ٩ ربيع الثاني ١٣٠٤هـ، الموافق ٢٢ كانون أول ١٨٨٦م، ص:١؛ وعدد ٧٤٢، ٢٤ ذي القعدة ١٣٠٦هـ،٢٢ الموافق تموز ١٨٨٩م، ص:١.

عدة، فمن دار الحكومة[١] انتقل إلى مبنى المكتب "الرشدي العسكري"[٢] ثم تغيّر عندما تم بناؤه في محلة السمطية.[٣]

٣- مدرسة رشدية الإناث:

لا نعلم تماماً الزمن الذي نشأت فيه هذه المدرسة، ونرجح انه كان في العقد الأخير من القرن الماضي. أما سبب إنشاء المدرسة فتجيب عنه ثمرات الفنون فتقول: "وقد بلغنا انتظام المكتب المذكور ونجاح التعليم فيه بصورة توجب الثناء والامتنان وعقدت النية على انتظام هذا المكتب ابتغاء منع ذهابهن إلى المكاتب الأخر حرصا على أخلاق بناتنا اللاتي يكن مربيات وأمهات رجال المستقبل"،[٤] ولم نتبين منهاج المدرسة الكامل إلا أن تلميذات الرشدية -وحسب ثمرات الفنون- كن يتعلمن أشغالا ومصنوعات يدوية،[٥] إضافة إلى علومهن الأكاديمية. وفي سنة ١٨٨٩ أضيف إلى برنامج الدروس لديهن مادتا الموسيقى والفرنسية، وقد استحضر لهن معلمتان لتدريسهن البيانو واللغة الفرنسية.[٦] وكانت العادة أن

---

[١] م.ن. ،عدد ٣٨٧، أول شعبان ١٢٩٩هـ، الموافق ٢٦ حزيران ١٨٨٢م، ص:١.

[٢] م.ن.، عدد ٣٨٩، ١٤ شعبان ١٢٩٩هـ، الموافق ١٠ تموز ١٨٨٢م، ص:١.

[٣] م.ن.، عدد ٦١٢، ٩ ربيع الثاني١٣٠٤هـ، الموافق ٢٢ كانون أول ١٨٨٦م، ص:١.
السمطية ويقال لها أيضاً (السنطية) وهي منطقة تقع بمحاذاة البحر شمالي بيروت (قرب مقهى الحاج داود) في الطريق البحري الموصل إلى مرفأ بيروت. ويرى البعض أن كلمة السنطية مشتقة من سنطا وكان الأقدمون يطلقون عليها (تيراسانتا) (Terra Santa) أي الأرض المقدسة؛ راجع: حسان حلاق، التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية في القرن التاسع عشر، ج١، بيروت، الدار الجامعية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص:٢٢٧.

[٤] م.ن.، عدد ١٠٠٣، ٧ جمادى الأولى ١٣١٢هـ، الموافق ٥ تشرين ثاني ١٨٩٤م، ص:٢.

[٥] م.ن.

[٦] م.ن.، عدد ١٢٢٠، ١٧ شوال ١٣١٦هـ، الموافق ٢٧شباط ١٨٩٩م، ص:٢.

تحتفل المدرسة بمناسبة الامتحانات النهائية، وذلك بحضور أركان الولاية وأولياء التلميذات ليطلعوا على أشغالهن ومصنوعاتهن.[١]

٤- المدرسة الإعدادية الملكية:

أنشأت السلطات العثمانية في بيروت، في فترة متأخرة عن "الرشدية"، المدرسة "الإعدادية الملكية" عام (١٣٠٤هـ-١٨٨٥م)[٢]، وهي فوق مستوى "الرشدية".[٣] وكانت المدرسة تدمج المرحلة الرشدية بالإعدادية لتصبح مدة الدراسة فيها سبع سنوات، ثلاث رشدية وأربع إعدادية.[٤] واحتوت المدرسة على قسمين: ليلي ونهاري. أما القسم النهاري فقبول الطلاب فيه كان منوطاً بمديرية المدرسة، فيما كان البت بالقسم الليلي من شأن إدارة المعارف.[٥] ولم نوفق إلى العثور على أخبار ترشدنا إلى المنهاج الكامل للمدرسة ولا إلى مكانها، إلا أن خبرا" في "الثمرات" دلنا على بعض ما كان يدرس فيها ومنه: التاريخ الطبيعي، الحكمة الطبيعية، الهندسة والحساب، إضافة إلى بعض الفنون الأخرى.[٦] وقد

---

[١] م.ن.، عدد ١١٣٩، ٢٦ صفر الخير ١٣١٥هـ، الموافق ٢٦ تموز ١٨٩٧م، ص:٣؛ وعدد ١٠٦٦، ٢٦ شعبان ١٣١٣هـ، الموافق أول شباط ١٨٩٦م، ص:١.

[٢] م.ن.، عدد ١٤٢٧، ١ ربيع الثاني ١٣٢١هـ، الموافق ٦ تموز ١٩٠٣م، ص:٤.

[٣] راجع: نظام المعارف في هامش الصفحة ٨و٩ من البحث.

[٤] كان من شروط الدخول في القسم الرشدي أي في السنة الأولى أن يكون التلميذ قد أنهى دراسته الابتدائية وحصل على شهادة بذلك أما من يروم الدخول في القسم لإعدادي أي في السنة الرابعة فيبغي عليه أن يكون مأذونا" من المكاتب الرشدية أو أكمل التحصيل الرشدي في الخارج. كما يجب على من يريد الالتحاق بالصف الإعدادي الثالث أي في السنة السادسة، أن يكون مأذونا" من المكاتب الإعدادية في الألوية. ثمرات الفنون، عدد ١٦٢٧، ١٧ رجب الفرد ١٣٢٥هـ، الموافق٢٦ آب ١٩٠٧م، ص:٥.

[٥] م.ن.

[٦] م.ن.، عدد ٨٤٢، ٧ ذي الحجة ١٣٠٨هـ، الموافق ١٣ تموز ١٨٩١م، ص:١.

ازدهرت المدرسة فأصبحت مقصد الطلاب من بيروت وسائر المدن اللبنانية والبلدان المجاورة حتى عاصمة السلطنة الأستانة.[١]

٥- مدرسة الصنائع والفنون:

إن ظروف إنشاء هذه المدرسة مشابهة إلى حد بعيد لتلك التي سبقت المدرسة الرشدية، فأوضاع البلاد في تلك المرحلة كانت بحاجة ماسة إلى مدرسة تعنى بأمور الصنائع ونهضة الصناعة والصناعيين، خاصة إن البلاد قد بدأت تطلع على أحوال النهضة الصناعية في أوروبا، فبدأت تصدر أصوات تدعو إلى اعتماد الصناعة الوطنية وإهمال الصناعات المستوردة، معتبرة أن نمو هذا القطاع الوطني وازدهاره كفيل بتقدم الوطن ورقيه.[٢]

---

[١] في سنة ١٨٩٧ تخرج في المدرسة ثمانية طلاب وكان أولهم رشيد أفندي طليع من لبنان الذي نال درجة (علي الأعلى) ثم كاظم أفندي من الأستانة وصبحي أفندي أبوالنصر من بيروت ونالا درجة (الأعلى) أما الباقون فانهم أحرزوا درجة (قريب الأعلى) وهم يحي أفندي من بيروت ونزهت أفندي من الاستانة ومحمد علي أفندي من حيفا وعلي كمال من قبرص وحامد أفندي من بيروت وفي سنة ١٨٩٩ تخرج في المدرسة أحد عشر طالبا" ونالوا الشهادات وقد أحرز خمسة منهم درجة (علي الأعلى) واثنان درجة (الأعلى) وثلاثة (قريب الأعلى) وواحد (الوسط). وفي سنة ١٩٠٣ بلغ عدد المتخرجين ١٤ طالبا". راجع: م.ن.، عدد ١٢،١١٣٧ صفر الخير ١٣١٥هـ، الموافق ١٢ تموز ١٨٩٧م، ص:٢؛ و عدد ٩،١٢٣٩ ربيع الأنور ١٣١٧هـ، الموافق ١٧ تموز ١٨٩٩م، ص:٤؛ وعدد ١٤٢٧، ١ربيع الثاني ١٣٢١هـ، لموافق ٦ تموز ١٩٠٣م، ص:٤؛ وعدد ٢٨،١٤٨٨ ربيع الثاني ١٣٢٢هـ، الموافق ١١ تموز ١٩٠٤م، ص:٥.

[٢] جاء في مقال لثمرات الفنون: "كثيراً ما بينت أصحاب الأفكار الثاقبة الذين يهمهم الاجتهاد والمثابرة على تقدم الوطن تهاوننا وتكاسلنا في أسباب ترقي بلادنا وتقدمها بما يكون به أعظم غنية عن الأجانب الذين يسلبون أموالنا بوردات بلادهم من محاصيل الصناعات والزراعات وغيرها مما مكنها الاستغناء عنه بأسهل الأسباب وطالما رأينا رسائل من أصحاب تلك الأفكار تبين طريق السلوك بما يكون داعي الاستغناء وتحض على اتخاذ الوسائط التي يسهل الحصول عليها بأعمال الهمم ومع ذلك لا نجد أثرا لتلك النصائح... وقد حصرنا أعمالنا في التجارة التي غاض معينها الفائض واعترض في وجه نجاحها كثير من العوارض وأهملنا اصطناع الصنائع كما أننا حصرنا معظم ملبوسنا ومأكولنا بما يرد من الأجانب مع تهافتنا على أسباب رواجه بما فيه غرائب العجائب. فمن ذلك المنسوجات التي تتلاشى بأقرب آن ويذهب رونق روائها بأسرع زمان (...) بينها وبين منسوجات بلادنا الشامية والبيروتية أيضا" والحلبية التي كانت تبقى على كر الجديدين جديدة وتشارك المرء في غمرة مدة مديدة بحيث كانت البنت ترث الثوب عن أمها وجدتها فيبقى عندها ذخرا" في جميع مدتها." راجع: م.ن.، عدد ٥١، ١٢ ربيع الأول ١٢٩٣هـ، الموافق ٦ نيسان ١٨٧٦م، ص:١.

وقد برزت حاجة قديمة جديدة لوجود مثل هذه المدرسة، تقوم بتعليم الأولاد العلوم الصنائعية المفيدة وتأويهم من الطواف والجولان في الشوارع والطرقات، فتعالت الأصوات داعية لإنشاء مدرسة عامة للصنائع.[١] واستجابة لهذا الواقع، وتلبية لهذه الدعوات، قامت هذه المدرسة. ويرجع الفضل في إنشائها إلى والي سوريا مدحت باشا الذي أسس أول مدرسة للصنائع والفنون.[٢] ونرجح أن تكون المدرسة قد أنشئت بين عامي ١٨٧٨م و ١٨٨٠م. ويقول الشيخ طه الولي إن هذه المدرسة التي أنشأها مدحت باشا طواها الزمن عندما طوى الموت صفحة حياة منشئها سنة ١٨٨٣م، أما المكان الذي قامت المدرسة عليه فكان بداخل بيروت القديمة ضمن السور.[٣] وقد جهدنا من أجل الحصول على أية معلومات تفيدنا عن أخبار المدرسة لجهة الدروس والمنهاج المتبع أو لجهة عدد الطلاب أو حتى الفترة التي عاشتها ولكن لم نفلح في ذلك.

وقد بقي هاجس المدرسة الصناعية يراود أذهان الولاة العثمانيين حتى قدوم رشيد باشا واليا" على بيروت عام ١٣١٦هـ-١٨٩٨م، حيث تحرك المشروع لينال نصيبه من الاهتمام، فاتخذ مجلس ولاية بيروت برئاسة رشيد باشا قرارا" بتأسيس مكتب للصنائع في بيروت بعد استئذانه السلطان في هذا الأمر.[٤]

وبقي هذا المشروع عالقا" فترة من الزمن ولم يتحرك حتى صدور "الفرمان السلطاني العالي الشان" الذي قضى بتعيين دولتلو خليل باشا واليا" على بيروت وتوجيهه نحو العمل على عمرانها وزيادة رقيها.[٥] ويقول الشيخ طه الولي إنه عملا" بمضمون هذا

---

[١] م.ن.، عدد ٢،١٧٠ شعبان ١٢٩٥هـ، الموافق أول آب ١٨٧٨م، ص:٤.

[٢] مجلة الهلال، السنة ١٧، ج٥، شباط ١٩٠٩، ص:٢٦٦.

[٣] طه الولي، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، ص:٢٢.

[٤] ثمرات الفنون، عدد ١٥،١٢٠٨ رجب ١٣١٦هـ، الموافق ٢٨ تشرين الثاني ١٨٩٨م، ص:٤.

[٥] الإقبال، عدد ٢٠،٥٣ رجب الفرد ١٣٢١هـ، الموافق ١٢ تشرين الأول ١٩٠٣م، ص:١-٢.

الفرمان تحرك الوالي الجديد خليل باشا فشكل لجنة مهمتها المباشرة بجمع المال المطلوب لبناء "مشروع الصنائع"، كما فرض ضريبة مؤقتة على المسافرين من بيروت وإليها، يعود ريعها لرفد مالية المشروع. كما فرض على كل من يريد أداء فريضة الحج من المسلمين، رسما" قدره ليرة ذهبية واحدة. وتبرع آل طيارة بقطعة الأرض لتشاد عليها المدرسة. وبعد حوالي السنتين من عمل اللجنة كان المال المطلوب قد توفر لتشييد هذه المدرسة.[١]

وفي عام ١٩٠٥ ويوم ذكرى عيد الجلوس السلطاني احتفل بوضع الحجر الأساس لهذا المشروع الذي ضم، إضافة للمكتب الصناعي، المستشفى الخيري[٢] كما وضع في وقت لاحق الحجر الأساس لمشروع بناء مسجد في باحة المدرسة لكي يؤمه الأساتذة والطلاب.[٣] أما الافتتاح فكان عام ١٩٠٧، عندما أنجز العمل بلمدرسة الصناعية والمستشفى الخيري إلى جانب الجامع المحاذي لهما وكانت الحديقة في مواجهة المدرسة.[٤] وقد نشطت المدرسة سريعا"، فأقبل عليها الطلاب بازدياد بعد افتتاحها، وقد أعدت اللوازم فيها لمائتين وخمسين تلميذا". أما مدة التعليم في هذا المكتب فكانت اثنتي عشرة سنة: أربع ابتدائية وثلاث رشدية وسنتان اعداديتان وثلاث تجارية. وإن الصنائع التي تقرر إدخالها هي: الحياكة والخياطة والتجارة والخرازة (عمل الأحذية) والموسيقى. أما اللغات التي كانت تدرّس فيه فهي: التركية والعربية والإفرنسية والإنكليزية والألمانية،[٥] مما يشير إلى أنها كانت من المدارس الاختصاصية الهادفة إلى تخريج جيل من المختصين. وتزيد مساحة المباني المشيّدة عن مائتي ألف ذراع مربع أفرز منها ٣٥٨٤٢ ذراعا" للحديقة. ويتألف المكتب من مبنيين، المبنى الأول يتكوّن من طابقين سفلي وعلوي، ويشتمل السفلي على قاعتين للاستقبال

---

[١] طه الولي، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، ص:٢١٣.

[٢] ثمرات الفنون، عدد ١٥٢٨،٤ رجب الفرد ١٣٢٣هـ، الموافق أيلول ١٩٠٥، ص: ٤.

[٣] م.ن.، عدد ١٦١٥،٢٠ ربيع الآخر ١٣٢٥هـ، الموافق ٣ حزيران ١٩٠٧م، ص: ٥.

[٤] م.ن.، عدد ١٦٢٨،٢٤ رجب الفرد ١٣٢٥هـ، الموافق ١٢ أيلول ١٩٠٧، ص: ١-٢.

[٥] م.ن.، عدد ١٦٤٣،٨ ذي القعدة ١٣٢٥هـ، الموافق ٢٣ كانون أول ١٩٠٧م، ص:٤.

وخمس عشرة حجرة وعدة قاعات أخرى، فيما يشتمل العلوي على ثلاث قاعات للاستقبال وعشر حجرات وثلاثة "بالقونات". أما المبنى الثاني فيتكوّن من طابقين أيضا"، ويحتوي السفلي على أربعة عشر محلا" للتدريس والصنائع وخمس قاعات، والعلوي يحتوي على خمس قاعات وخمسة عشر محلا" للمنامة. وكان بين طلاب المكتب عدد من أبناء جبل لبنان.[1]

وقد شيد المكتب في محلة القنطاري (اليوم) ومبانيه ما زالت موجودة حتى وقتنا هذا، حيث تشغل الإذاعة اللبنانية الآن مكان الجامع فيما يشغل القصر الحكومي المبنى الذي أنشئ فيه المستشفى الخيري كما تشغل كلية الحقوق التابعة للجامعة اللبنانية مبنى المدرسة. وكذلك الحديقة التي ما زالت موجودة وأصبحت تحمل اسم: "حديقة الصنائع".

المبادرة الأهلية:

جمعية المقاصد

الظروف والدوافع:(مرحلة ما قبل التأسيس)

لقد شكل النصف الثاني من القرن التاسع عشر نقطة تحول مهمة وأساسية على مستوى الحياة التعليمية، إذ بلغت المنافسة أشدّها بين الإرساليات التبشيرية. وشعر معها المسلمون أنهم غائبون عن مجرى الأحداث إذ إن مدارسهم الأهلية -على قلة عددها- كانت ابتدائية وعلومها محدودة. كما إن المدرسة الرشدية لم تكن وافية بالغرض أو كافية لسد حاجتهم التعليمية. أما إرسال أولادهم إلى المدارس غير الإسلامية فكان أمرا" دونه مخاطر قد تنعكس على صفاء تربيتهم الدينية وسلامة انتمائهم العقيدي. وغني عن القول إن تلك الفترة عرفت قيام تكتلات وجمعيات وتعاونيات طائفية دارت حول محاور ثقافية متعددة.[2] وكان أمرا" طبيعيا"، في ظل هذه المعمعة، أن تبحث كل طائفة عن موقع لنفسها وطريق خاص بها يتلاءم ويتناسب مع متطلبات أبنائها كما جاء في "الفجر الصادق" : "لا

---

[1] م.ن.، عدد ٢٣،١٦٤٧ ذي الحجة ١٣٢٥هـ، الموافق ٧ كانون الثاني ١٩٠٨م، ص:٤.

[2] جهينة الأيوبي، "جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت"، رسالة لنيل درجة أستاذ علوم، بيروت، الجامعة الأمريكية، حزيران ١٩٦٦، ص:٢٧.

يخفى على كل ذي بصيرة من أبناء الوطن أنه منذ مدة ليست بالقصيرة أخذت الطوائف المختلفة الموجودة فيه تؤلف جمعيات خيرية تقوم بمصالحها اللازمة".[١]

وفي هذا المجال كان واضحا" تراجع الطائفة الإسلامية أمام سائر الطوائف المسيحية، مما أحدث خللا" وتنافرا" في التركيبة الاجتماعية.[٢] وشكل هذا حافزا" لديها لوجوب تأليف تكتل للطائفة، وجاء في الفجر الصادق: 'على أنه طالما أحست الأمة الإسلامية في وطننا العزيز بلزوم تأليف جمعيات لها".[٣] ثم إن المبادرات الأهلية الأولى عند المسلمين قد حركت الهمم وعزّزت الأمل لديهم بإمكان وجود مؤسسات تعليمية خاصة بهم لا سيما وأن حاجاتهم للمدارس في بيروت كانت تفوق إمكانات المدارس الموجودة، مما أشعرهم بحاجتهم لمزيد من المدارس وعلى الأخص تلك التي تدرّس أنواع اللغات والفنون من العلوم النافعة.[٤] وكانت الحاجة أكثر إلحاحاً لدى مسلمي بيروت، عندما صار الناس يلقون بأولادهم في أي مدرسة ليأخذوا العلم منها. وقد أحسّ المجتمع الإسلامي البيروتي بالخطر على الأولاد وتنشئتهم الدينية خصوصا" عندما شاعت معلومات أن بعض البنات المسلمات اللواتي انتظمن بمدارس غير إسلامية بدأن يتعلمن الإنجيل وغير ذلك فضلا" عن ابتعادهن عن تقاليدهن الدينية.[٥]

---

[١] الفجر الصادق للجمعية الخيرية الإسلامية المؤسسة في بيروت ليلة غرة شعبان سنة ١٢٩٥هـ، بيروت، مطبعة جمعية الفنون، ١٢٩٧هـ، ص:٢.

[٢] الفجر الصادق، ١٢٩٧هـ، ص:٥؛ ثمرات الفنون، عدد ٢٦٥، ١٤ صفر الخير سنة ١٢٩٧هـ، الموافق ٢٦ كانون الثاني ١٨٨٠م، ص:١.

[٣] الفجر الصادق، ١٢٩٧هـ. ص:٦.

[٤] ثمرات الفنون، عدد ١٠١، ١٥ ربيع أول١٢٩٤هـ، الموافق ٢٩ آذار ١٨٧٧م، ص:٤.

[٥] جاء في مقال لثمرات الفنون:'...أما بنات المسلمين فيوجد منهن عدد كبير جداً في المدارس النصرانية أكثر من الذكور يتعلمن ما ذكرناه (القراءة البسيطة بالانجيل ونحوه واللغة الإنكليزية وغيرها وبعض الفنون العربية كالصرف والنحو) وصناعة الخياطة والتطريز. ...وطالما رأيناهن صفوفا ذاهبات وراجعات منها وبأيديهن الإنجيل فضلا عن تلقيمات أخرى. وكثيرا ما تكلمنا عن هذا الموضوع وبينا ما ينشأ عنه من المحذور الذي شاهدنا وقوعه بالفعل.' راجع: م.ن.، عدد ١٣٤، ١٦ ذي القعدة ١٢٩٤هـ، الموافق٢٢ تشرين الثاني ١٨٧٧م، ص:٣.

ومما يعبر عن حاجة المسلمين لمزيد من المدارس تتجاوز المدرسة الرشدية التي لم تكن لتحل مشاكلهم، تفرّغ العديد من أبناء المسلمين الذين لم يتسنّ لهم الدخول إلى "المدرسة الرشدية" ولم يلتحقوا بالمدارس النصرانية، للعب والتجوال في الطرقات.[١]

وقد تميزت الفترة التي سبقت قيام "المقاصد" بحاجة المسلمين الملحّة إلى الخروج سريعا" من حالة الجهل والتخلف التي هم عليها بسبب ضعف مدارسهم من جهة، وتمنعهم عن الاستفادة من المدارس النصرانية الأخرى من جهة ثانية ،لأن مبادئ تعليمها لا توافق المشرب الإسلامي كاشتراط بعضها على التلامذة الخضوع لدين المدرسة.[٢] بالإضافة إلى أن إحساسا" تملك الطائفة الإسلامية في بيروت اتسم بالخوف على الوجود والمصير من خلال ابتعاد بعض التلاميذ المنتسبين إلى مدارس غير إسلامية عن التقاليد والأصول الدينية والأخبار التي راجت عن تنصير بعض البنات المسلمات.

وتعكس صورة التعليم لدى مسلمي بيروت في ذلك الوقت كلمة لحسن بيهم[٣] ألقاها سنة (١٢٩٦هـ-١٨٧٩م) انتقد فيها تراجع التعليم الرسمي وبدائيته وقلة نفعه وعدم انسجامه مع واقع الحال في تلك الفترة.[٤]

---

[١] جاء في ثمرات الفنون :"فإن كثيراً من أولادنا يلعبون في الطرقات ويطوفون في الشوارع يتعلمون قلة الأدب لعدم وجود مدرسة لنا يأوون إليها ويمتنعون بها عن مزاولة أسباب الشقاء...ولا يخفى أن المكتب الرشدي الذي افتتح حديثاً في بيروت لا يمكن كل ولد من الدخول فيه كما يعلم من نظامه والمدرسة الرشدية لا تقبل إلا من تعلم القراءة وابتدأ بالكتابة، وبقية المكاتب لا يعول عليها إذ لا تنتج المطلوب مع طول المدة التي يمكث فيها الغلمان"؛ راجع: ثمرات الفنون، عدد ١٧٠، ٢ شعبان ١٢٩٥هـ، الموافق أول آب ١٨٧٨م، ص:٤. جاء أيضا في الفجر الصادق: "نعم يوجد من طرف الحكومة السنية مكاتب الرشدية الملكية والعسكرية وهي وإن كانت عمومية إلا أنها لا تقبل المبتدئين من التلامذة الذين لم يكن في طائفتهم مدارس ترشحهم للدخول إلى هاتيك المكاتب حرموا منها." راجع: الفجر الصادق، ١٢٩٧هـ، ص:٥.

[٢] م.ن.، ص:٤-٥.

[٣] حسن بيهم أحد وجهاء بيروت وأحد مؤسسي جمعية المقاصد الخيرية.

[٤] قال حسن بيهم: "والحق مر وعلى الإنسان إذا قلنا إن معارفنا في حالة يرثى لها وفي أدنى درجة من التأخر. أين المدارس أم أين المكاتب ما هي العلوم التي تقرأ وما هي الدروس التي تعلم. نعلم انه يوجد في بلادنا خصوصا" بلدتنا هذه بعض مدارس تعلم تعليما" فوق درجة الابتدائيات ولكن هلا كان ذلك -(يتبع)

كل هذه الظروف كانت كافية لتشير بل لتؤكد أن لا مجال لاستمرار الوضع على ما هو قائم عليه، وإن شيئاً" سيحدث ليغيّره إلى الأفضل. كما أشارت إلى ضرورة التنادي للمبادرة إلى تأسيس جمعية تعنى بشؤون الطائفة الإسلامية وتلبي متطلباتها التعليمية خاصة بعدما تأكد فشل مبادرة الدولة الرسمية في هذا المجال.

مرحلة التأسيس:

يعود الكثير من الفضل في تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت إلى جريدة "ثمرات الفنون" ومنشئها ورئيس تحريرها الشيخ عبد القادر قباني، الذي أطلق الدعوات متتالية في جريدته لإصلاح حال المسلمين. قد نشرت "الثمرات" خبراً عن تعاضد المسلمين واتحادهم في جزيرة "رودس" من أجل إنشاء مدرسة لأبناء المسلمين في الجزيرة، وأعقبته بعدد من المقالات تحثّ فيها المسلمين في كافة الممالك وخاصة في بيروت على المبادرة إلى مثل هذا العمل الخيّر.[١]

ويستمر الشيخ قباني في دعواته حتى عام ١٨٧٨، عندما يخبرنا نبأ اجتماع خمسة وعشرين شاباً من أهالي بيروت ليؤسسوا "جمعية المقاصد الخيرية" وينتخبوا لها هيئة إدارية. وقد صمّم الحاضرون على أن تكون باكورة أعمال الجمعية افتتاح مدرسة للإناث.[٢] وقد ذكرت جمعية المقاصد في بيانها الأول قصة إنشاء الجمعية.[٣]

-التعليم موافقا" لروح الأمة والدولة ويعود بالنفع عليهما وعلى البلاد كلا ثم كلا". راجع: ثمرات الفنون، عدد ٢٣٦، ١٨ رجب ١٢٩٦هـ، الموافق ٧ تموز ١٨٧٩م، ص:٣.

[١] ثمرات الفنون، عدد ٥٤، ٣ ربيع الثاني ١٢٩٣هـ، الموافق ٢٧ نيسان ١٨٧٦م، ص:٢.

[٢] م.ن.، عدد ١٨١، ١٢ رمضان ١٢٩٥هـ، الموافق ٢٨ آب ١٨٧٨م، ص:١.

[٣] وقد جاء في البيان الأول للجمعية ما يلي: "وهكذا اتحدت ابهمم الشبانية في بيروت على تأليف جمعية إسلامية خيرية فتم ذلك بالمساعدات الإلهية ليلة غرة شعبان المعظم لسنة خمس وتسعين ومائتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل التحية حيث اجتمعنا نحن أعضاؤها العجزة في منزل أحدنا السيد عبد القادر قباني وهناك تلا علينا أحدنا الشيخ سعيد الجندي الأحاديث الشريفة النبوية الآمرة بلزوم الاتحاد لخدمة الأمور الخيرية فتعاهدنا على ذلك ووضع كل منا ما ألهمه الله به من النقود رأس مال لصندوقها وكتبنا لها تعليمات على شكل قانون لترتيب داخليتها واجتماعها ومذكراتها وربط أمورها وأمضي منا بعد التعهد بإنفاذه ومراعاته وقدمنا بذلك عريضة لجانب الحكومة السنية واستدعينا مساعداتها ليحيط- (يتبع)

أما الأعضاء المؤسّسون الذين اجتمعوا ليلاً" في منزل الشيخ قباني، وتعاهدوا على العمل، فلم نجد ذكراً" لأسمائهم في "ثمرات الفنون"، ولكن بالعودة إلى "الفجر الصادق" وجدنا الأسماء على الشكل التالي:

"أحمد دريان- خضر الحص- بشير البربير- بديع اليافي- حسن بيهم- حسن الطرابلسي- حسن محرم- راغب عز الدين- سعيد الجندي- سعيد طربيه- طه النصولي- عبد الله الغزاوي- عبد القادر سنو- عبد اللطيف حمادة- عبد الرحمن الناعماني- محمود خرما- محمد ديّه- محمود رمضان- مصطفى شبارو- محمد الفاخوري- محمد اللبابيدي- مصباح محرّم- محمد أبو سليم المغربل- هاشم الجمّال- إضافة إلى رئيس الجمعية عبد القادر قباني".[1] على إن العمل الأول الذي قام به هؤلاء الأعضاء المؤسّسون فور تأليفهم الجمعية في تلك الليلة، هو انتخابهم عبد القادر قباني رئيساً" لهم.[2] ثم انتخبوا الشيخ سعيد الجندي نائباً" للرئيس.[3] كما انتخب بشير البربير أميناً" للصندوق ومصباح محرّم كاتباً" للأعمال.[4] وهاشم الجمّال للمحاسبة.[5]

غايات الجمعية وأهدافها:

لم تحصر الجمعية غاياتها وأهدافها في بند مستقل ضمن نظامها الأساسي (بيانها الأول) كما هي العادة اليوم عند تأسيس تجمع أو جمعية. ومن يرصد أعمال هذه الجمعية

- علمها بعملنا الخيري كما بادرنا لطبع تلك التعليمات وعرضها على الحكومة والأمة بعد القبول والاتكال على الله سبحانه وتعالى ميسر الخير باشرنا الأعمال". راجع: الفجر الصادق، ١٢٩٧هـ، ص: ٦-٧.

[1] الفجر الصادق، ١٢٩٧هـ، ص:٣٣.

[2] م.ن.

[3] ثمرات لفنون، عدد ٢٣٨، ٢ شعبان ١٢٩٦هـ، الموافق ٢١ تموز ١٨٧٩م، ص:١.

[4] أوراق لبنانية، مج أول، ج ثاني، ١٩٥٥، ص:٥٢.

[5] جهينة الأيوبي، جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت، "من محاضر جلسات الجمعية، جلسة ليلة الأربعاء، ١٢ رمضان ١٢٩٦هـ"، ص:٣٩.

منذ البداية يمكنه أن يلاحظ أن أهداف هذه الجمعية لم تكن محددة بشكل واضح ودقيق منذ نشأتها، وإنما كانت مرتبطة بالمشاكل التي كانت تواجه المسلمين وتعترض نهضتهم وتقدمهم. لذلك وعلى تعدد المشاكل والأهداف فإنها كانت تتلخص جميعها بعنوان واحد هو نهضة المسلمين.

وبينما نجد في البيان الأول للجمعية دعوة تهدف إلى تعليم البنات وتنشئتهن نشأة إسلامية[١] تذكر الثمرات: رعاية واحتضان الفقراء من المسلمين.[٢] نجد أيضا" كلاما" صريحا" " لجعل الأعمال الخيرية للجمعية عمومية ينتفع بها كل أبناء الوطن، إلا أن ضيق الإمكانات وغنى بقية الطوائف قصر النفع على المسلمين عملا" بالقول الصادق (ابدأ بنفسك)".[٣] ويختصر أبو علي سلام أهداف الجمعية -مؤكداً هذا الكلام- بهدفين اثنين: أن تكون الجمعية وطنية لا تقصر خدماتها على المسلمين فقط وإنما تتعداهم لتشمل جميع المواطنين من أبناء الوطن، وتعليم الفتاة المسلمة.[٤]

ويعتبر محمد جميل بيهم في كتابه "المرأة في التاريخ والشرائع" أن الهدف الأساسي للجمعية كان افتتاح مدرسة للإناث، إثر معلومات عن تنصير وتسفير اثنتين من البنات المسلمات إلى الخارج.[٥]

إلا أن حسن بيهم (أحد المؤسسين) وفي كلمة ألقاها باسم الجمعية، يعتبر أن تعليم الفتاة هو أمر تمليه المصلحة الوطنية في تربية وتهذيب الأمة ولم يعتبره جزءا" من

---

[١] الفجر الصادق، ١٢٩٧هـ، ص:٧.

[٢] ثمرات الفنون، عدد ١٢،١٨١ رمضان ١٢٩٥هـ،الموافق ٢٨ آب ١٨٧٨م، ص:١.

[٣] الفجر الصادق، ١٢٩٧هـ، ص:٧.

[٤] أوراق لبنانية، مج١، ج٢، ١٩٥٥، ص:٥٣-٥٤.

[٥] محمد جميل بيهم، المرأة في التاريخ والشرائع، بيروت، ١٩٢١، ص:٢٣١.

حمايتها من التنصر.[١] وربما كانت دعوة المقاصديين لتعليم الإناث مستقاة من وحي الجو الإصلاحي العام في مصر الذي نثره رواده وخاصة الإمام محمد عبده الذي دعا إلى تعليم المرأة في وقت مبكر حاثا" النساء المستنيرات على تكوين جمعيات نسائية تقيم المدارس لتعليم البنات.[٢] ونجد أن "الفجر الصادق" أيضا"، وفي معرض حديثه عن غايات الجمعية وتعليم النساء تحديدا"، أقرب إلى رأي حسن بيهم حين يعتبر الوسيلة الأحسن لنشر المعارف في الطائفة الإسلامية هي تعليم الإناث طرق التربية وما يحتجن إليه من العلوم والصنائع، إذ هنّ المربيات الأول وعلى تقدمهنّ المعول.[٣]

ونحن نرجح مما يظهر لنا أن المقاصد كانت على استعداد دائم وطوعي لكي تتصدى لأية مشكلة تواجه المجتمع الإسلامي. وهي بالتالي تعتبر السعي من أجل إصلاح أي وضع شاذ يتعرض له المسلمون، هدفا" من أهدافها وغاية من غاياتها، ولذلك قلنا إن تطور أهداف المقاصد كانت مرهونة بظروف حياة المسلمين وزمانهم.

وهكذا بدا واضحا" اهتمام الجمعية بأمر التعليم عموما" ساعية في رفع حال الجهل عن المسلمين في بيروت التي كانت تطال الأثرياء والفقراء على حد سواء. ويمكن القول إن سعي الجمعية في هذا السياق ربما كان في إطار إيجاد كيان مستقل للطائفة وتوحيدها حول الجمعية.

أما بشأن اهتمام الجمعية بتعليم الإناث، فإنه من شبه المؤكد أن رؤية علمية اجتماعية شاملة كانت قد بدأت تظهر لدى بعض المقاصديين -على الأقل- حول دور

---

[١] جاء في كلمة حسن بيهم: "فإذا كانت أيها السادة هذه هي حالة الذكور الذين يوجد عندهم بعض وسائط تعليمية جزئية فكيف حالة الإناث اللواتي وسائطهن أقل والجهل بالتالي وبالواقع عندهن أعم مع إن أمر تعليمهن ضروري لأنهن المربيات الأول للأولاد وعليهن منط التهذيب فانه لا أمة بلا رجال ولا رجال بلا عائلة ولا عائلة بلا مرب وهذا المربي هو الأم التي إن لم تكن متعلمة وهي صبية لا يمكنها أن تربي أولادها وبالتالي لا تتهذب الأمة." راجع: ثمرات الفنون، عدد ١٨،٢٣٦ رجب ١٢٩٦هـ، الموافق٧ تموز ١٨٧٩م، ص:٤.

[٢] محمد عبده، الأعمال الكاملة، جمع وتحقيق محمد عمارة، ج١، ط أولى؛ بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٢، ص:١٧٢.

[٣] الفجر الصادق، ١٢٩٧هـ، ص:٧.

المرأة في المجتمع، مؤمنة أن لا نهوض لهذه الأمة ما لم تكن المرأة متعلمة ومثقفة لأنها المعنية بتربية الرجال صانعي الأمم.

أعمال الجمعية وإنجازاتها:

١ افتتاح مدرسة الإناث الأولى:

وجهت الجمعية جل اهتمامها في بداية مسيرتها التربوية نحو تعليم وتهذيب الإناث في الدرجة الأولى، إعتقاداً" منها أن تربيتهن على أسس ومبادئ دينية يجعل من ناشئة المسلمين حصناً" منيعاً" تجاه الأفكار والثقافات الغربية الدخيلة. ولهذا عملت الجمعية على أن تكون باكورة أعمالها تأسيس المدرسة الأولى للإناث والتي تم افتتاحها في (شوال ١٢٩٥هـ- تشرين أول ١٨٧٨).[١]

وقد كانت هذه المدرسة تعنى بتدريس القراءة العربية البسيطة والقرآن الشريف والعقائد والتوحيد وتهذيب الأخلاق والآداب والكتابة والحساب.[٢] بالإضافة إلى فن الخياطة والتطريز للتلميذات الكبيرات.[٣] وقد كانت الهيئة التعليمية فيها مع بدء تأسيسها مؤلفة من ست معلمات ومدرّسة واحدة بالإضافة إلى خادمة وبواب.[٤] ومن أعضاء الهيئة: حليمة رضوان (المديرة) وفاطمة عمّار (الناظرة) والخوجة حنيفة ناعماني لتدريس القرآن الكريم وكل من فاطمة الأسمر وحليمة إدريس وفاطمة عز الدين.[٥] أما طالبات المدرسة فقد كان

---

[١] نشرت ثمرات الفنون خبر افتتاح المدرسة على الشكل التالي:" يوم الثلاثاء الماضي صدر افتتاح مدرسة البنات التي أنشأتها جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت".راجع: ثمرات الفنون، عدد ١٨٧، ١٠ شوال ١٢٩٥هـ. الموافق٧ تشرين أول ١٨٧٨م، ص:٤.

[٢] الفجر الصادق، ١٢٩٧هـ، ص:٣١.

[٣] شفيق حطب، "ذكريات السيدة أم علي سلام عن مدرستها"، أوراق لبنانية، مج ١، ج٣، ١٩٥٥، ص:١٣٦.

[٤] الفجر الصادق، ١٢٩٧هـ، ص:٣١.

[٥] شفيق حطب،"ذكريات السيدة أم علي سلام عن مدرستها"، أوراق لبنانية، مج١، ج٣، ١٩٥٥، ص:١٣٦.

عددهن مع انتهاء العام (١٢٩٦هـ- ١٨٧٩م) مائتين وثلاثين طالبة[1] وفي نهاية العام ١٢٩٩هـ- ١٨٨١م) أصبحن مائتين وست وستين طالبة.[2] وكان موقع المدرسة في محلة البسطة التحتا بجوار "الحمّام" الآن.[3]

وكانت العادة في هذه المدرسة إنهاء العام الدراسي بحفل خطابي أثناء الامتحانات النهائية التي كانت تجري على الملأ.[4] وكان بين تلامذتها السيدة كلثوم محمد البربير زوجة أبي علي سلام.[5]

٢- افتتاح مدرسة الإناث الثانية:

وبعد مضي مدة قصيرة استطاعت الجمعية أن تفتتح مدرسة ثانية للإناث وذلك بفضل المساعدات التي تواصلت عليها من الأهالي وكان افتتاحها سنة (١٢٩٦هـ-

---

[1] الفجر الصادق، ١٢٩٧هـ، ص:٣١.

[2] م.ن.، ١٣٠٠هـ، ص:٢٢.

[3] شفيق حطب، "ذكريات السيدة أم علي سلام عن مدرستها"، أوراق لبنانية، مج١، ج٣، ١٩٥٥، ص:١٣٦. ويذكر الشيخ طه الولي إن موقع المدرسة كان في لمكاتب الموجودة في الزاوية الجنوبية الشرقية من جبانة السنطية التي شغلتها فيما بعد جريدة البلاغ لصاحبها محمد الباقر.راجع: طه الولي، بيروت في التارخ والحضارة والعمران، ص:٢٣٨.

[4] ثمرات الفنون، عدد ٢٤٢، ٣٠ شعبان ١٢٩٦هـ، الموافق ١٨ أب م١٨٧٩، ص:١.

[5] إحدى تلميذات هذه المدرسة السيدة كلثوم البربير تتذكر عن جمعية المقاصد ورسالتها لتعليم الفتاة المسلمة فتقول: "ليس اهتمام المقاصد بتعليم الفتاة المسلمة وتثقيفها لتكون أما صالحة تحسن تربية أبنائها وتثقيفهم وتهذيبهم بالأمر الجديد فان ذلك يعود إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما أسست الجمعية أول مدرسة للبنات... وكنت إحدى تلميذاته في ذلك الحين مع رفيقاتي البيروتيات الصغيرات اللواتي كن يلاقين مقاومة واعتراضا من معظم الآباء الذين كانوا يستنكفون من إرسال بناتهم إلى المدارس..." وعن مدرستها تتذكر فتقول: "أني كنت طفلة لا أذكر عن أعضاء جمعية المقاصد في ذلك الحين ولكنني كنت أعرف العضوين المكلفين بالإشراف على مدرستنا وهما المرحومان محمود رمضان وأحمد دريان اللذان كانا يحضران في معظم أيام الأسبوع إلى المدرسة للوقوف على سيرها وتقدمها وتفقد شؤونها".راجع: شفيق حطب، "ذكريات السيدة أم علي سلام عن مدرستها"، أوراق لبنانية، مج١، ج٣، ١٩٥٥، ص: ١٣٦.

١٨٧٩م).[١] وقد كانت المدرسة الثانية تسير على نمط المدرسة الأولى نفسه من حيث التنظيم والمواد التعليمية.

وبلغ عدد هيئتها التعليمية خمس مدرّسات ومعلمة واحدة بالإضافة إلى خادمة وبواب.[٢] وكان من أعضاء هيئتها: الآنسة هاجر المير (المديرة) يعاونها كل من: هاجر عبد الحي وأمينة فايد وحليمة رضوان وفاطمة عمّار وزبيدة تنير. وكان الشيخ سلامة وهو كفيف يعلم أحكام القرآن الكريم، والسيد أحمد دريان عضو الجمعية يعطي بعض الدروس في الجغرافيا والتاريخ تبرعا" للصف المنتهي. وكان يعلم الشيخ محمد طبارة الأجرومية والعوان والمقصود للصف المنتهي. أما الانسة أمينة فايد فكانت تعلّم الفتيات في المدرسة الأشغال اليدوية كالانشوايا (كنفا) والأويا والتنتا (دانتيلا) وشغل العدد على الأنوال.[٣] وقد بلغ عدد الطالبات في المدرسة في سنة (١٢٩٦هـ - ١٨٧٩م) مائتي طالبة[٤] وارتفع هذا العدد فيما بعد ليصل مع نهاية عام (١٢٩٩هـ- ١٨٨١م) إلى مائتين وسبعين طالبة.[٥] أما موضع المدرسة فكان في سوق المنجّدين قرب زاوية المجذوب في ملك البربير (حيث

---

[١] يذكر الفجر الصادق عن المدرسة: "تأخذت المساعدات من الأهالي تواصلنا وتعضد مشروعنا فما مضت مدة يسيرة بعدها حتى افتتحنا مدرسة ثانية للإناث أيضاً على نسق الأولى". راجع: الفجر الصادق، ١٢٩٧هـ، ص:٨. وذكرت ثمرات الفنون: "ومما يسرنا إعلانه أن جمعية المقاصد الخيرية في بيروت توقفت أيضاً لفتح المدرسة الثانية للإناث."راجع: ثمرات الفنون، عدد ٢٣١، ١٣ جمادى الثانية ١٢٩٦ هـ، الموافق٢ حزيران ١٨٧٩م، ص:١.

[٢] الفجر الصادق، ١٢٩٧هـ، ص:٣١.

[٣] شفيق حطب، "السيدة نظيرة محاسبجي أم المرحوم رياض الصلح"، أوراق لبنانية، مج١، ج٤، ١٩٥٥، ص:١٨٢-١٨٣.

[٤] م.ن.؛ الفجر الصادق، ١٢٩٧هـ، ص:٣١.

[٥] الفجر الصادق، للجمعية الخيرية الاسلامية المؤسسة في بيروت ليلة غرة شعبان سنة ١٢٩٥، بيروت، مطبعة جمعية الفنون، ١٣٠٠هـ ص:٢٢.

بناية البرلمان اليوم).[١] وكان بين تلميذات هذه المدرسة السيدة خديجة خضر محمصاني أرملة محمد فروخ.[٢]

٣- مدرسة الذكور الأولى:

إن نجاح جمعية المقاصد في مسيرتها التربوية من خلال افتتاح مدرستين للإناث، دفع بالدولة العثمانية إلى مدّ يد العون والمساعدة لها لتتابع مهمتها في هذا الحقل، الأمر الذي مكّن الجمعية من تأسيس مدرستين للذكور. وكان افتتاح مدرسة الذكور الأولى في (ذي الحجة ١٢٩٦هـ كانون أول ١٨٧٩م).[٣] وكانت تدرس المواد التالية: القراءة العربية البسيطة والقرآن الكريم والعقائد والتوحيد والكتابة والحساب والصرف والنحو وتهذيب الأخلاق والآداب.[٤] ولا تختلف هذه المواد عن المواد المقررة في مدارس الإناث إلا من

---

[١] شفيق حطب، "السيدة نظيرة محاسبجي أم المرحوم رياض الصلح"، أوراق لبنانية، مج١، ج٤، ١٩٥٥، ص: ١٨٢.

[٢] إحدى طالبات المدرسة السيدة خديجة محمصاني تتذكر عن أخبار المقاصد في تلك الفترة فتقول: "كان يرئس جمعية المقاصد المرحوم محرم بك أما الأعضاء فأذكرمنهم الشيخ طه النصولي وأحمد دريان ومحمود رمضان والشيخين محمد طبارة وعبد الباسط الفاخوري." وعن شروط الدخول إلى المدرسة تقول: "وكان يشترط على من يود إدخال ابنته إليها أن يوقع تعهداً بتعليمها أربع سنوات على الأقل حتى يتسنى للفتاة أن تتزود بأكبر قسط من العلوم والفنون. ولم تكن التلميذة تستطيع الدخول إلى المدرسة ما لم تكن مزودة بمذكرة من الجمعية وأنا شخصيا أخذت تذكرت (هكذا وردت في المرجع، والمقصود تذكرة) دخول من الشيخ الفاخوري." وعن زميلاتها في الصف تقول: "في الصف المنتهي لم يكن عددنا كبيراً وكان مؤلفاً من التلميذات: عائشة طبارة وبرنزة كتوعة، وفريدة كتوعة ورضى عثمان ورمضان خانزاده بيهم وأنيسة يونس وسكينة فتوح وجميلة صباغ ونظيرة محاسبجي (والدة المرحوم رياض الصلح)". راجع. م.ن.

[٣] جاء في الفجر الصادق عن افتتاح المدرسة ما يلي: "ثم بذلت الحكومة المحلية ما بيد اقتدارها من المساعدات لنا وتكرمت علينا بإعطاء محلات متروكة اتخذنا منها مدرستين للذكور بعد تعمير إحداهما تعميراً متقناً. وكانت مشعثة البناء فاجتمع بهما من التلاميذ ما يفوق على أربعمائة يتعلمون أنواع العلوم الابتدائية مجاناً." راجع: الفجر الصادق، ١٢٩٧هـ، ص:٨. كذلك جاء في ثمرات الفنون ما يلي: "احتفلت جمعية المقاصد الخيرية في يوم الأحد (أمس) بافتتاح مدرسة للذكور وقد شرف هذا الاحتفال حضرة صاحب الأبهة مدحت باشا."راجع: ثمرات الفنون، عدد ٢٥٨، ٢٤ ذي الحجة ١٢٩٦هـ، ٨ كانون الأول ١٨٧٩م، ص:١.

[٤] الفجر الصادق، ١٢٩٧هـ، ص:٣١.

حيث استبدال مادتي الصرف والنحو في مدارس الذكور بفن تعليم الخياطة والتطريز عند الإناث. وقد ابتدأ التعليم فيها بثلاثة معلمين ومدرّسة وخادم واحد فيما كان عدد تلاميذها سنة (١٢٩٧هـ-١٨٧٩م) مائة وثمانية عشر تلميذاً"[١] وزاد حتى بلغ مائة وأربعة وستين تلميذاً" (عام ١٢٩٩هـ- ١٨٨١م).[٢] وكان على الطلاب فيها أن يكونوا بين سن السابعة والخامسة عشرة كما أنه على المعلمين أن يكونوا فوق سن العشرين.[٣] أما موضع المدرسة فكان في سوق "البازركان" حيث توجد اليوم الحديقة الصغيرة تجاه جامع النوفرة في البلد[٤] (الذي أصبح اسمه جامع الأمير منذر، كما ورد سابقاً).

٤- **مدرسة الذكور الثانية:**

أما المدرسة الثانية التي افتتحت بعد أسبوع على افتتاح الأولى[٥] أي في سنة (١٢٩٦هـ- ١٨٧٩م) فتكاد تكون مطابقة لشقيقتها التوأم من حيث نظامها ومواد تعليمها. وكانت تضم في هيئتها التعليمية في بداية عهدها أربعة معلمين ومدرّسة وخادماً على إن عدد تلاميذها كان في البداية مائتي تلميذ[٦]ثم أصبح في نهاية العام (١٢٩٩هـ- ١٨٨١م) مائتين وثلاثين تلميذاً".[٧] أما موضع هذه المدرسة فكان في الطابق العلوي من المكتب

---

[١] م.ن.

[٢] م.ن.، ١٣٠٠هـ، ص:٢٢.

[٣] جهينة الأيوبي، جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت، "من محاضر جلسات الجمعية، جلسة ١١ رمضان، ١٢٩٦هـ- ١٨٧٩م"، ص:٥١.

[٤] طه الولي، بيروت في التاريخ والحضرة والعمران، ص:٢٣٨.

[٥] جهينة الأيوبي، جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت، "من محاضر جلسات الجمعية، جلسة ٢٢ ذي الحجة،١٢٩٦ هـ- ١٨٧٩م" ص:٥٢.

[٦] الفجر الصادق، ١٢٩٧هـ، ص:٣١.

[٧] م.ن.، ١٣٠٠هـ، ص: ٢٢.

الرشدي العسكري[١] في الباشورة.[٢]

وهكذا شكلت جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت حالة رائدة على مستوى الحياة التعليمية عند المسلمين في لبنان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فاستطاعت في خلال سنة وشهرين أن تنجز أربع مدارس ابتدائية، اثنتان للإناث واثنتان للذكور، على إن هذه المدارس الأربع كانت جميعها ابتدائية ومجانية. ومن أراد من الطلاب متابعة دراسته فوق الابتدائية، فكان هذا يستلزم ترشيحا" له وقبولا" من الدولة إنفاذا" لنص قوانين الدولة المتعلقة بالمعارف والتدريس. وأظهرت الجمعية كما الأهالي اهتماما" مميّزا" في العناية بتعليم الإناث منذ اللحظة الأولى، فاشترطت على آباء الطالبات لقبولهن في مدرستي الإناث توقيع تعهد بتعليمهن أربع سنوات على الأقل. كما أخذت تحث الناس على دعم مدارسها ورفدها بالمال.

هذه الاعتبارات ربما قادتنا إلى الاعتقاد أن جمعية المقاصد أيقنت أن لا مجال لرفعة الطائفة الإسلامية وأخذ دورها الطبيعي بين سائر الطوائف، إلا من خلال السعي لنشر العلم وتعميمه بين بنات وأبناء الطائفة، تماثلا" مع الطوائف النصرانية الأخرى، إذ إن هدف التعليم عند المسلمين في ذلك الزمن كما يقول الشيخ طه الولي كان مجابهة التعليم النصراني.[٣]

٥- مشروع مدرسة داخلية:

بعد أن تم للجمعية افتتاح المدارس الأربع المذكورة آنفا"، توجّه اهتمامها لإنشاء مدرسة داخلية، لافتقاد ولاية سوريا لمثل هذا النوع من المدارس. ولذلك تشكلت لجنة منها ضمّت كلا" من: محمود رمضان وعبد القادر سنو وحسن بيهم وأحمد عباس وأحمد دريان

---

[١] جهينة الأيوبي، جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت، "من محاضر جلسات الجمعية، جلسة ٦ ذي الحجة، ١٢٩٦هـ- ١٨٧٩م"، ص:٥٢.

[٢] الفجر الصادق، ١٢٩٧هـ، ص:٣١.

[٣] مقابلة مع الشيخ طه الولي.

وعبد القادر قباني، أعلنت عزمها على إقامة المدرسة.[١] وفي سبيل إنجاز هذا المشروع، راحت اللجنة تجمع الأموال من أعضاء الجمعية وسواهم، وقد دعا الشيخ قباني في "ثمراته" إلى مدّ يد العون والمساعدة لتأمين قيام المدرسة.[٢]

وقد بقي المشروع مجرد أمنية حتى عام ١٣٠٠هـ- ١٨٨٢م عندما تم افتتاح المدرسة بعد أربع سنوات على تصميمها من قبل شعبة المعارف (كما سيمر معنا). وقد عللت جمعية المقاصد عدم قيام المشروع في حينه بعدم كفاية وارداتها وتحويل اسم الجمعية إلى "شعبة معارف".[٣]

٦- أول بعثة علمية مقاصدية إلى الخارج:

في وقت كان معظم الأطباء المسلمين من الحلاقين والحجّامين، ولم يكن في بيروت طبيب واحد مسلم يحمل شهادة جامعية،[٤] سعت الجمعية لدى حكومة الولاية للتوسط بقبول خمسة من طلابها في المدرسة الطبية الخديوية في مصر، فكتبت الحكومة بهذا الأمر وأجيب طلبها.[٥] والطلاب الذين اختارتهم الجمعية وقررت إيفادهم هم: كامل قريطم، عبد

---

[١] أعلنت جمعية المقاصد إنها ستباشر "بإنشاء مدرسة داخلية إذا تيسر لها وجود ستين تلميذاً من أية طائفة كان غير إن من كان من غير الطائفة الإسلامية يكون غير مكلف بالتعليم الديني وتكون الأجرة عن السنة المدرسية خمسة عشر ليرة فرنساوية يدفع نصفها عند الدخول والنصف الثاني عند نصف السنة من دخول التلميذ وهذه الأجرة بدلاً عن التعليم والمأكل وكلما تقدمه المدارس عادة منها إلى التلاميذ والتعليم بها هو: علم القرآن الشريف والواجبات الدينية والمعاملات الفقهية واللغة العربية بفنونها واللغات التركية والفرنساوية والإنكليزية والعلوم الرياضية بأنواعها من حساب وجبر وهندسة والجغرافيا والتاريخ وحسن الخط باللغات جميعها وتعليم النظامات والقوانين العثمانية ومسك الدفاتر التجارية. وتعلم أي فن وأية لغة إذا وجد صف كامل طالب لذلك." راجع: ثمرات الفنون، عدد ٢٥٥، ٣ ذي الحجة ١٢٩٦هـ، الموافق ١٧ تشرين الثاني ١٨٧٩م، ص:٤.

[٢] ثمرات الفنون، عدد ٢٦٥، ١٤صفر الخير ١٢٩٧هـ، الموافق ٢٦ كانون الثاني ١٨٨٠م، ص:١.

[٣] الفجر الصادق، ١٣٠٠هـ، ص:٣.

[٤] م.ن.، ١٢٩٧هـ، ص:٤.

[٥] ثمرات الفنون، عدد٢٥٨، ٢٤ ذي الحجة ١٢٩٦هـ، الموافق ٨ كانون أول ١٨٧٩م، ص:١.

الرحمن الأنسي، سليم سعد الدين سلام، حسن الأسير ومحمد سلطاني.[١] أما تكاليف تعليمهم فكانت على نفقة الجمعية التي رتّبت لكل منهم خمسين قرشا" شهريا" علاوة على ما يعطى لهم من المرتبات المدرسية.[٢]

راحت الجمعية تسعى في إطار عملها إلى بناء مدرستين ابتدائيتين، إحداهما للذكور والثانية للإناث، في محلة رأس النبع، وكان ذلك حوالي (عام ١٢٩٦هـ- ١٨٧٩م)[٣] إلا إن هذا المشروع كما المدرسة الداخلية لم يتم إلا بعد مدة وعلى يد شعبة المعارف (كما سيمر معنا). وقد امتدت اهتمامات الجمعية أيضاً إلى مختلف النشاطات الثقافية في مدارسها حيث تم تمثيل عدة روايات في مناسبات مختلفة.[٤]

كان من الواضح -كما رأينا- أنه بقدر ما كان سعي الجمعية إلى التخطيط لتحسين أوضاع المسلمين في البلد كانت تهدف أيضاً إلى إثبات الوجود وتكريس كيان الطائفة أمام سائر الطوائف الأخرى.

فعلى الرغم من إن الجمعية انطلقت من التدريس الابتدائي في مدارسها الأربع وبشكل تدريجي، فإن طموحها التعليمي لم يقف عند هذا الحد. بل سعت جاهدة لترقية

---

[١] أوراق لبنانية، مج١، ج٢، ١٩٥٥، ص:٥٤. وتقول جهينة الأيوبي: إن السيدين عبد الرحمن الأنسي وحسن الأسير قد عادا إلى الوطن "يحملان شهادتهما في الطب من القاهرة. أما بقية أعضاء البعثة محمد سلطاني فقد استدعته الجمعية لأسباب صحية وسليم سعدالدين سلام لعدم رغبته وأرسل إبراهيم أفندي ابن يوسف آغا الملازم في الدرك تلميذاً رابعاً وبقي المقعد الخامس شاغراً. ونحن لا نعلم ما حل بالطالب الخامس كامل قريطم وإذا ما كان قد تخرج طبيبا أم لا". راجع: جهينة الأيوبي، جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت، "من محاضر جلسات الجمعية، جلسة ٩ شعبان، ١٢٩٧ هـ- ١٨٧٩م" ص:٥٥.

[٢] الفجر الصادق، ١٢٩٧هـ، ص: ٨.

[٣] وقد جاء في الفجر الصادق: "وقد باشرت الجمعية ببناء مدرستين في محلة رأس النبع اشترتها من مالها." راجع: الفجر الصادق، ١٢٩٧هـ، ص: ٩. كما جاء في ثمرات الفنون :'وهي (الجمعية) الآن مهتمة بإنشاء مدرستين في محلة رأس النبع." راجع: ثمرات الفنون، عدد ١٤،٢٦٥ صفر الخير ١٢٩٧هـ ، الموافق٢٦ كانون الثاني ١٨٨٠م، ص:١.

[٤] من هذه الروايات رواية 'نائلة ملكة الحضر المعروفة بالزباء"، من تأليف الشيخ إبراهيم الأحدب، على أن يعود دخلها لرفد صندوق الجمعية، وثمن بطاقة الدخول كان نصف مجيدي. راجع: ثمرات الفنون، عدد٢٢٩، ٢٨ جمادى أولى ١٢٩٦هـ، الموافق ١٩ أيار سنة ١٨٧٩م، ص:١.

مستوى نظامها التعليمي عندما عقدت النية على إنشاء المدرسة الداخلية التي أوجبتها الحاجة. ويبدو أن الجمعية بدأت منذ ذلك التاريخ، محاولات تدريجية حثيثة للخروج على قيود المنهاج التركي، ولو جزئيا"، وإضافة مواد وأساليب تعليمية عصرية مقتبسة عن المدارس التبشيرية وصوغ استقلالية الشخصية المقاصدية في المجال التعليمي.

دور مدحت باشا في مساندة التعليم لدى المسلمين في لبنان عموما" والمقاصد خصوصاً:

لا يمكن إغفال الدور الذي لعبه مدحت باشا في دعم ومساندة التعليم عند المسلمين في لبنان بشكل عام وفي بيروت بشكل خاص. فهو، منذ لحظة وصوله إلي بيروت عام (١٢٩٥هـ -١٨٧٨م) ،راح يحضّ الناس ويحثهم على ضرورة التعلم ورفع شأنهم لأن نسبة العمران والثروة تكون من خلال تعميم الفنون وإتقانها، كسبيل للتخلص من حالة الجهل والتخلف.[١] كما أولى الرجل شأن الأولاد السارحين في الطرقات دون مدارس، أهمية خاصة، فعمل على إنشاء مكاتب لهم تعلمهم القراءة والكتابة.[٢] ومن شدّة اهتمامه بالتعليم كسبيل للنهضة قصد مدينة طرابلس وأمر بتأليف لجنة من العلماء لإنشاء مكاتب تعليمية وتعهد هو نفسه احتضانها ومدّها بأسباب النجاح المادي والمعنوي.[٣]

وليس صدفة أن تنهض الحياة التعليمية في لبنان وتنتعش في بيروت إبّان ولاية مدحت باشا الذي لعب دوراً أساسيا" من خلال ما أظهره وأبداه من رعاية وغيرة على نشر

---

[١] ثمرات الفنون، عدد ٢٠٣، ٣ ذي الحجة ١٢٩٥هـ، الموافق ٢٨ تشرين الثاني ١٨٧٨م، ص:١.

[٢] نشرت ثمرات الفنون خبراً جاء فيه :" قد وجه دولة والينا مطلق هتمامه وجل اعتنائه إلى إصلاح الأولاد البطالين المسلمين عندنا (أولاد البابا حسن وهم لفيف مؤلف من سفلة العموم دأبهم السرقة والنشل والإضرار بالناس. فدعا يوم السبت الماضي العلماء والوجوه وذاكرهم بتأليف مكاتب لتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة". راجع: م.ن.، عدد ٢٠٩،٦ محرم سنة ١٢٩٦هـ، الموافق ٣٠ كانون أول سنة ١٨٧٨م، ص: ٤.

[٣] م.ن.،عدد ٢٢١، ٢ ربيع الثاني ١٢٩٦هـ،٢٤ آذار ١٨٧٩م، ص: ٤.

العلم وإشاعة المعرفة في البلاد ومن خلال ما قدّمه من دعم مادّي ومعنوي خاص "للمقاصد"[١] ومدّها بأسباب نموّها وازدهارها.

إلغاء جمعية المقاصد:

أصدرت السلطات العثمانية في شهر محرم من سنة ١٣٠٠هـ -١٨٨٢م قرارا" قضى بحل جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت وتسليم مدارسها وأعمالها إلى شعبة رسمية تابعة لمجلس المعارف تقوم على إدارة الجمعية على أن يعين أعضاؤها من قبل الوالي.[٢] ويظهر أن هذا القرار كان عامّا" إذ شمل معظم الجمعيات التربوية الإسلامية في كافة المناطق.[٣] وقد صرّحت الجمعية عن قرار الإلغاء مؤكدة أنه لن يغيّر شيئا" في إتمام عمل الجمعية.[٤]

عمل شعبة المعارف:

تسلمت شعبة المعارف إرث أعمال جمعية المقاصد، واستولت على كافة ممتلكاتها، ويبدو جليّاً من خلال تأمل أسماء أعضاء مجلس شعبة المعارف، أن أعضاءها هم المقاصديون أنفسهم باستثناء اثنين منهم، ولذلك حافظ هؤلاء على المدارس التي أنشأتها الجمعية كما أتموا ما كانت المقاصد قد بدأته. وكان العمل الأول الذي قامت به الشعبة أنها قررت افتتاح المدرستين اللتين كانت الجمعية قد عملت على إنشائهما في محلة رأس

---

[١] ذكر في الفجر الصادق: "تكرم مدحت باشا بمساعدة المقاصد فأعطاها محلات كانت متروكة اتخذت الجمعية منها مدرستين للذكور بعد تعمير إحداها".راجع: الفجر الصادق ١٢٩٧هـ، ص:٨.

[٢] ضمت شعبة مجلس المعارف القيمة على أعمال جمعية المقاصد في بيروت كلاً من السادة: عبد الله جمال الدين رئيساً ومحي الدين حمادة نائباً للرئيس وكلاً من عبد القادر الدنا وسعيد الجندي وعبد القادر قباني ومحمد بيهم ومصباح محرم ومحمود رمضان ورشيد الفاخوري ومحمد طبارة ومحمد مغربل أعضاء. راجع: ثمرات الفنون، عدد ٤٠٤، ٣٠ محرم ١٣٠٠هـ، الموافق ٢٧ تشرين الثاني ١٨٨٢م، ص:١.

[٣] م.ن.، عدد ٤٠٦، ٣٠ محرم ١٣٠٠هـ، الموافق ١١ كانون أول ١٨٨٢م، ص:٤.

[٤] الفجر الصادق، ١٣٠٠هـ، ص:٣.

النبع.[١] أما العمل الآخر الذي كانت الجمعية قد بدأته واستكملته الشعبة، هو افتتاح مشروع المدرسة الداخلية في بيروت تحت اسم "السلطانية" إشعاراً بأنها تدين بوجودها وولائها للسلطان، وكان ذلك يوم الجمعة السادس من جمادى الثانية سنة ١٣٠٠هـ- ٣ نيسان ١٨٨٣م.[٢]

١- المدرسة السلطانية:

كانت "المدرسة السلطانية" المدرسة العالية الوحيدة الإسلامية في سوريا بل في جميع الولايات العربية.[٣] ولهذا، وبعد مضي أيام قليلات على افتتاح المدرسة بلغ عدد طلابها خمسة وخمسين طالباً[٤] ثم ارتفع بعد عدة اشهر ليبلغ مائة واثنين وأربعين طالبا"[٥] مما استدعى توسيع المدرسة بعد حوالي السنة، وإضافة مبنى آخر عليها يضم أماكن جديدة للطلاب.[٦] واللافت في أمر المدرسة أنها كانت مفتوحة أمام جميع الطلاب إلى أية طائفة انتموا من الطوائف التابعة للسلطنة العثمانية وتضم أقساما" ثلاثة: داخلي ونصف داخلي وخارجي.[٧] أما مدة الدراسة فيها فكانت ست سنوات يدرس الطالب خلالها المواد التالية:

---

[١] جاء في ثمرات الفنون:" يوم السبت الماضي جرى احتفال فتح مدرستين من المدارس الابتدائية إحداهما للذكور والثانية للبنات في محلة رأس النبع'. راجع: ثمرات الفنون، عدد ٤١٩، ٣ جمادى أولى ١٣٠٠هـ، الموافق ٢٨ شباط ١٨٨٣م،ص:١.

[٢] م.ن.، عدد ٤٢٤، ٧ جمادى الثانية ١٣٠٠هـ، الموافق ٤ نيسان ١٨٨٣م، ص:١.

[٣] م.ن.، عدد ٥٩٩، ٦ محرم ١٣٠٤هـ، الموافق ٢٢ أيلول ١٨٨٦م، ص:١.

[٤] م.ن.، عدد ٤٢٥، ١٦ جمادى الثانية ١٣٠٠هـ، الموافق ١١ نيسان ١٨٨٣م، ص:١.

[٥] م.ن.، عدد ٤٥٠، ٢٧ ذي الحجة ١٣٠٠هـ، الموافق ١٧ تشرين أول ١٨٨٣م، ص:١.

[٦] م.ن.، عدد ٤٧٠، ١٩ جمادى الأولى ١٣٠١هـ، الموافق ٥ آذار ١٨٨٤م، ص:١.

[٧] م.ن.. عدد ٦٤٠، ٢٧ شوال ١٣٠٤هـ، الموافق ٦ تموز ١٨٨٧م،ص:٤. وذكرت مجلة الجنان أيضا: "وقد شاهدنا في جملة تلامذتها كثيرين من المسيحيين غريقين في بحبوحة من الرفاه والرحة على تعليم طابت أوائله وحسنت أواخره خصوصا إن المدرسة لا تعترض الأديان وهي مفتوحة لطلبة العلم من أي ملة أو طائفة كانوا." راجع: الجنان، مج ١٦، ١٨٨٥، ص: ٦٤٣.

اللغة التركية (الرسمية)- اللغة العربية وعلومها المنطقية- اللغة الفرنساوية- اللغة الإنكليزية- الحساب والجبر والهندسة والفن الدفتري- والفلسفة الطبيعية- والكيمياء- والجغرافيا والتاريخ الطبيعي وعلم الثروة- والرسم- وعلم الحقوق- والخط على أنواعه.[١] بالإضافة إلى علم الشريعة من فقه العبادات وفنون القصائد والآداب الدينية، يتلقاها أبناء المسلمين، أمّا الطلاب من سائر الطوائف غير الإسلامية فيتلقون من العلوم ما لا يختلف في طلبه.[٢] وعرف من هيئتها التعليمية: مصطفى خلفي الذي عهد إليه إدارة المدرسة في البداية.[٣] إلا إن إدارتها عادت فأسندت بعد سنتين من مسيرتها إلى الشيخ حسين الجسر، كما انضم إلى مدرسيها الشيخ احمد عباس الأزهري عام ١٣٠٢هـ - ١٨٨٤م وتولى نظارة السلوك.[٤] وفي أوائل عام ١٣٠٣هـ ١٨٨٥م استدعت إدارة المدرسة الشيخ الإمام محمد عبده الذي أخذ يدرّس فيها العلوم الدينية والعربية بشكل واسع و بطريقة تلائم روح العصر،[٥] بعد أن كان تدريس هذه العلوم مقتصراً على مبادئ الصرف والنحو وشيء من العبادات.[٦] وقد أدخل الإمام محمد عبده هذه المدرسة في طور جديد من التنظيم والإتقان،

---

[١] المقتطف، ج٧، ١٨٨٣، ص: ٥٧٠؛ الجنان، مج١٦، ج٢١، ١٨٨٥، ص: ٦٤٣.

[٢] ثمرات الفنون، عدد ٥٩٦، ١٥ ذي الحجة ١٣٠٣هـ، الموافق أول أيلول ١٨٨٦م، ص: ٢.

[٣] م.ن.، عدد ٤٩٩، ١٦ ذي الحجة ١٣٠١هـ، الموافق ٢٤ أيلول ١٨٨٤م، ص:٤؛ الجنان، مج١٦،١٨٨٥، ص:٦٤٣.

[٤] المنار، مج ٢٨، ج ٥، ١٣٤٥هـ-١٩٢٧م، ص: ٣٨٦. عبد الباسط فتح الله، "حياة الأستاذ الرئيس أحمد عباس الأزهري"، الكشاف، مج١، عدد٥، ١٣٤٥هـ-١٩٢٧م، ص: ٢٩٥.

[٥] عبد الباسط فتح الله، "سيرة الأستاذ الإمام في بيروت"، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، تأليف الشيخ محمد رشيد رضا، ط١؛ مصر، مطبعة المنار، ج١، ١٣٥٠هـ-١٩٣١م، ص:٣٩٣.

[٦] وضع الإمام محمد عبده جدولاً جديداً للتدريس ضم علوم التوحيد والمنطق والمعاني والإنشاء والتاريخ الإسلامي والمعاملات من الفقه الحنفي وذلك للصف الأول والثاني. "ولما تفتقت أذهان الطلاب وارتقت مداركهم قرأ لهم في علم الكلام قسما من إشارات ابن سينا وفي المنطق (كتاب التهذيب) واستمر على الإملاء في التاريخ والمعاني. وجرى في الإنشاء على شرح ما يستظهره الطلاب من كتاب الألفاظ الكتابية و(نهج البلاغة) للإمام علي بن أبي طالب وديوان الحماسة للبحتري". م.ن.، ص: ٣٩٤.

فتبوأت مكانة مرموقة ومستوى تعليميا" رفيعا"، فأقبل عليها الطلاب من المناطق كافة.[١]
وساهم في نجاح المدرسة توافق الإمام مع المدير الشيخ حسين الجسر وناظر السلوك الشيخ احمد عباس الأزهري، الذين شكلوا فريقا" إداريا" وتعليميا" مميزا" فراق أسلوب التعليم فيها أصحاب العقول وعموم الأهالي. وكانت المدرسة تتشدّد في إتمام دروس اللغتين التركية والفرنسية كما كانت تؤجّل تخرّج الطالب المقصّر في إحداهما.[٢]
أما مبنى المدرسة فلا يزال موجودا" حتى اليوم في موقعه الكائن في منطقة الباشورة (قرب مركز الاطفائية) وتشغله حاليا" مدرسة البنات الكبرى التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت.

٢- مشروع دار المعلمين:

ومن أعمال شعبة المعارف أيضا" كان السعي لإيجاد دار للمعلمين عام ١٣٠٧هـ-١٨٨٩م لتكون مصنع تأهيل وإعداد للمعلمين في المدارس الابتدائية.[٣] ويظهر أن هذه المدرسة لم يكتب لها الاستمرار، إذ إننا نجد بعد حوالي ثلاث سنوات خبرا" ينبئنا باستئجار

---

[١] من علامات ازدهار هذه المدرسة وإقبال الطلاب عليها من كافة المناطق والبلدان لائحة بأسماء المتخرجين فيها عام ١٩١١ نشرت في صحيفة "الاتحاد العثماني" تبين المناطق التي جاء منها الطلاب: "محمد رشاد المقدم(طرابلس الشام) ، احمد نور الدين العباسي(بيسان)، محمد القواص(صيدا)، عبد الله قطان(طرابلس الشام)، عبد الرحمن النحوي(صفد)، مصطفى جميل خضر(جبلة)، جلال أفندي ومصطفى خيري(بيروت)، محمد سعيد التيفه(اللاذقية)." راجع: الاتحاد العثماني، عدد ١٤،٨٥٦ رجب ١٣٢٩هـ، الموافق ١١ تموز ١٩١١م، ص: ٣.

[٢] تخرج في المدرسة سنة ١٨٩١: "أحد عشر تلميذا وأخذوا الشهادات الناطقة بأنهم أتموا دروسهم وأن الصف المنتهي مؤلف من تسعة وثلاثين تلميذا غير إن بعضا منهم لم ينهوا تحصيلهم في اللغة التركية والبعض الآخر في اللغة الفرنساوية ولذلك لم يأخذوا الشهادات التي أخذها أولئك الأحد عشر تلميذا." راجع: ثمرات الفنون، عدد ٨٤٤، ٢٨ذي الحجة ١٣٠٨هـ، الموافق ٣ آب ١٨٩١م، ص: ٢.

[٣] كان من الذين تعهدوا التدريس في هذه الدار كل من الشيخ عبد الباسط الفخوري (مفتي بيروت) والشيخ إبراهيم الأحدب والشيخ أحمد عباس الأزهري وفوزي أفندي(مدير المكتب الإعدادي) وعبد القادر أفندي (معلم المكتب الرشدي) ورضا أفندي(معلم الهندسة) وسليم أفندي(معلم الحساب في المكتب الإعدادي). وكان من المقرر التدريس فيها إضافة إلى هذه العلوم، القرآن والعلوم الدينية والعلوم العربية بالإضافة إلى علوم أخرى. راجع: ثمرت الفنون، عدد ٧٥٢، ١٢ صفر ١٣٠٧هـ، الموافق ٧ تشرين أول ١٨٨٩م، ص:١.

مكان في محلة الباشورة ليكون دارا" للمعلمين مما يؤكد عدم قيام المدرسة الأولى. ونحن لا نعرف أخبار "الدار" الثانية وما إذا كانت قد قامت واستمرت فعلا". كما أننا نجهل من حققته المدرسة وما حلّ بها.[1]

٣- **مشروع مدرسة صناعية:**

ويعود الفضل في هذا المشروع إلى اثنين من وجهاء بيروت هما السيدان عرداتي وداعوق اللذان استنهضتهما الحميّة فسعيا لدى السلطة لإنشاء مدرسة مختلطة للصنائع وكان ذلك حوالي عام ١٨٩٢.[2]

وليس بين أيدينا من وثائق تؤكد أو تنفي ما إذا كانت هذه المدرسة قد قامت فعلاً وما هي أخبارها في حال قيامها. إلا إن السيدين عرداتي وداعوق كانا يملكان مصنعاً في محلة المنارة.[3]

المدرسة العثمانية (العباسية):

نشأت على أيدي الشيخ الأستاذ أحمد عباس الأزهري والشيخ عبد القادر قباني. وتذكر "ثمرات الفنون" :"وهما صاحباها ورأس مالها ونفقاتها الأولى منهما وذلك لمجرد

---

[1] طرابلس الشام، عدد ٣، ٩ رمضان ١٣١٠هـ، الموافق ٢٧ آذار ١٨٩٣م ، ص: ٣.

[2] صدرت رخصة إنشاء المدرسة على شكل نظام يحكم عمل المدرسة. وكان يتعلم فيها الفتيان والفتيات أما العلوم فكانت: الخياطة والحبك والتجارة وعمل الأحذية والسروج والتجليد وعمل الكرتون والصلب والحدادة والسبك والصياغة والدهان والنقش والطبع، وغيرها. وقد نصت الرخصة على أن يكون عدد طلاب المدرسة ثلاثماية. كما نصت على أن يكون في المدرسة شعبتان مفترقتان واحدة للذكور وأخرى للإناث على أن تكون مدة التحصيل فيها خمس سنوات وضرورة أن يكون الطالب المقبول فيها قد تجاوز الثامنة من العمر. وتجري المدرسة امتحانا عموميا في رأس كل سنة يرفع بعده الطالب المؤهل. ويتحمل السيدان عرداتي وداعوق جميع مصاريفها ونفقاتها على أن يكون للحكومة المحلية حق النظارة عليها. راجع: ثمرات الفنون ، عدد ٨٧٢، ١٧ رجب ١٣٠٩هـ، الموافق ١١ شباط ١٨٩٢م، ص:٣-٤؛ المقتطف، مج ١٦، ١٨٩١-١٨٩٢، ص: ٤١٧-٤١٨.

[3] مقابلة مع الشيخ طه الولي.

الخدمة الملية الوطنية"[1]. وقد عهد بإدارتها إلى الشيخ الأزهري. أما افتتاحها فكان في شهر ربيع الأنور سنة ١٣١٣هـ-١٨٩٥م في دار السيد محمد أفندي ديّه بطريق المحافر[2] تجاه المكتب الإعدادي الملكي[3]. أما ظروف وأسباب التأسيس فتعود إلى أن المدرسة السلطانية التي كانت تحت إشراف شعبة المعارف انذاك، قد تحوّلت في أواخر القرن الماضي إلى (معمل للموظفين) لتلبية حاجات الدولة العثمانية إلى أشخاص متعلمين يسدّون ما تحتاج إليه من المناصب العسكرية والإدارية، فارتدّ المسلمون حيارى لا يدرون ماذا يفعلون. وبرزت حاجة ملحة إلى مدرسة يعتاضون بها عن مدارس (شعبة المعارف) عامة و"السلطانية" خاصة فتحمّس الشيخ عباس الأزهري متطوّعا" لسدّ هذه الحاجة وفاتح الشيخ عبد القادر قبّاني الذي رحّب بالفكرة وكانت نشأة المدرسة.[4]

وقد جرت المدرسة على أسس وقواعد تعليمية متقدمة وفق نظام عصري في الإدارة والتدريس لم يسبقها إليه أي من المدارس الإسلامية في حينه.

وقد أصبحت المدرسة كلية بعدما اتسعت دائرتها لتضم أقسام التعليم الثلاثة الابتدائي والاستعدادي والعلمي عدا روضة الأطفال.[5] أما موادها التعليمية حسب "ثمرات الفنون"

---

[1] ثمرات الفنون، عدد١١٤٠، ٣ربيع الأنور ١٣١٥هـ، الموافق ٢ آب ١٨٩٧م، ص:٣.وفي هذا ذكرت "المنار" أن الشيخ أحمد عباس الأزهري هو من أنشأ المدرسة بمعاونة ومساعدة الشيخ عبد القادر قباني الذي ارتاحت نفسه إلى مشاركته فسده برأس المال. راجع: المنار، مج ٢٨ ، ج٥، ١٣٤٥هـ-١٩٢٧م، ص:٢٩٣؛ عبد الباسط فتح الله، "حياة الأستاذ الرئيس أحمد عباس الأزهري"،الكشاف مج١، عدد٥، ١٣٤٥هـ-١٩٢٧م، ص:٢٩٦.

[2] طلعة شحادة المتفرعة من شارع مار إلياس باتجاه دار الفتوى. أما مبنى المدرسة فقد اندثر وحل محله عدد من الأبنية بينها بناية سنو.

[3] ثمرات الفنون، عدد ١٠٤١، ٢٨ صفر الخير ١٣١٣هـ، الموافق ٧ آب ١٨٩٥م، ص:١.

[4] المنار، مج٢٨، ج٥، ١٣٤٥هـ-١٩٢٧م،ص: ٣٩٢؛ عبد الباسط فتح الله، "حياة الأستاذ الرئيس أحمد عباس الأزهري"، الكشاف مج١، عدد٥، ص:٢٩٦.

[5] م.ن.، ص: ٣٩٣؛ عبد الباسط فتح الله، "حياة الأستاذ الرئيس أحمد عباس الأزهري"، الكشاف مج١، عدد٥، ١٣٤٥هـ-١٩٢٧م، ص: ٢٩٦-٢٩٧.

فكانت: العلوم العربية بأنواعها من صرف ونحو ومعان وبيان وبلاغة وإنشاء ومنطق وفقه ومجلة وتوحيد والرياضيات والطبيعيات بأنواعها وكذلك اللغتين التركية والفرنساوية قراءة وكتابة، وكان اهتمام المدرسة بتعليم اللغات الأجنبية كبيراً، حيث كانت تحث الطلاب وتخصص للمتفوقين في اللغة الأحنبية الجوائز وشهادات التقدير.[١]

التوفيق بين العلوم العصرية والدينية:

وميزة هذه المدرسة أنها عملت على التوفيق بين مقتضيات العلوم الحديثة ومقررات العلوم الدينية. فكان يشغل بال الشيخ أحمد عباس الأزهري ما يراه من اختلاف في الرأي والنظرة بين بعض طلاب العلوم الدينية وبعض من تلامذة المدارس العصرية لعدم معرفة وفهم كل من الطرفين علوم الطرف الاخر. وفي سبيل ردم هذه الهوة بين الطرفين، بادر إلى توسيع العلوم الدينية لطلاب المدارس العصرية من فقه وتوحيد وأضاف إليها درساً في علم الأصول. كما أنشأ على خط مواز دائرة تعنى بطلاب العلوم الدينية شرط أن يقبل فيها حصراً من إضطلع بالعلوم العصرية وحاز (شهادة البكالوريا).[٢] ويقول المؤرخ الشيخ طه الولي إن المدرسة بدأت أول الأمر معهدا" علميا" صغيرا" نهاريا" يضم حوالي أربعماية طالب يتولى تدريسهم نحو من أربعين معلماً ومدرّسا" وكان هؤلاء المعلمون والمدرسون من جميع الطوائف وكان بعضهم من الفرنسيين المختصّين باللغة الفرنسية وآدابها. وفي السنة السادسة من عمرها أي في سنة ١٣١٨ هـ- ١٩٠٠ م أنشئ فيها فرع داخلي ليأوي إليه الطلاب من خارج لبنان فجاء التلاميذ من أغلب أنحاء سوريا والحجاز واليمن والأناضول وبغداد وتونس ومراكش ومسقط والبصرة حتى من استانبول عاصمة السلطنة العثمانية.[٣]

---

[١] ثمرات الفنون، عدد ١٢٣٩، ٩ ربيع الأنور ١٣١٧هـ، الموفق١٧ تموز ١٨٩٩م، ص:٤.راجع ايضا: الوثيقة رقم -١- المرفقة في نهاية هذا الفصل.

[٢] المنار، مج ٢٨، ج٥، ص: ٣٩٣؛ عبد الباسط فتح الله، "حياة الأستاذ الرئيس أحمد عباس الأزهري"، الكشاف مج١، عدد٥، ١٣٤٥هـ-١٩٢٧م، ص: ٢٩٧.

[٣] طه الولي، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، ص: ٢٤٥.

وقد انفتحت هذه المدرسة بمنهاجها على أمور لم نعهدها سابقا" في المدارس الإسلامية، كوجود مدرّسين في صفوفها من غير المسلمين. وهذه خطوة سباقة إذ كان مثل هذا قبل تاريخه من الأمور المستغربة وربما المرفوضة.

دروس تمهيدية للعلوم العالية:

وقد سعت المدرسة إلى تطوير منهاجها وإضافة فروع جديدة عليه. فمع السنوات الأخيرة من القرن الماضي استحدثت المدرسة في منهاجها التعليمي فرعا" تجاريا" يضاف إلى فروعها السابقة.[١] وفي السنة الأولى من القرن الحالي أنشأت المدرسة صفا" خاصا" تدرّس فيه المواد التمهيدية للاختصاصات العلمية العالية كالطب مثلا"، فيقرأ فيه للطالب من ممهدات تلك العلوم، ما يسهل عليه إدراكها والاضطلاع بها.[٢] وقد استمرت مسيرة المدرسة حتى عام ١٩١٤ عندما نشبت الحرب العالمية الأولى فأقفلت مع بدنها.[٣]

نشاطات لا منهجية:

أولت إدارة المدرسة النشاطات غير المنهجية عنايتها إضافة إلى اهتمامها بالأمور التعليمية.[٤]

ويتضح لنا من إقبال الطلاب على هذه المدرسة أن قسما" كبيرا" من مسلمي بيروت ارتضى اعتماد العلوم العصرية في المدرسة العبّاسية وذلك جبهاً للتعليم النصراني وصدّا" للتيار التبشيري. وذلك أن بعضا" من هؤلاء المسلمين قد فرّق بين موقفي الإسلام

---

[١] طرابلس الشام، عدد ٣٧٦، ٢٥ جمادى الأولى ١٣١٨هـ الموافق ١٩ أيلول ١٩٩٠م، ص: ٢.

[٢] ثمرات الفنون، عدد ١٣٥٣، ١٥ رجب الفرد ١٣١٩هـ، الموافق ٢٨ تشرين الأول ١٩٠١م، ص: ٥.

[٣] امنار، مج ٢٨، ج٥،١٣٤٥هـ-١٩٢٧م، ص: ٣٩٤.

[٤] جاء في ثمرات الفنون في هذا الباب:" في سنة ١٩٠١ وأثناء الاحتفال السنوي للمدرسة العباسية مثل الطلاب محاورتان افرنسيتان موضوع الأولى:"الجزاء من حسن العمل" والثانية:"رغبة التلميذ أيام العطلة "ثم مثلت رواية عربية ذات ثلاثة فصول موضوعها: "الأمانة والوفاء" وهي قصة امرئ القيس واهتمامه بالسموأل الذي آثر الأمانة والوفاء على ولده." راجع: ثمرات الفنون، عدد ١٣٣٨، ٢٨ ربيع الأنور ١٣١٩هـ، الموافق ١٥ تموز ١٩٠١م، ص: ٥.

والمسلمين من العلوم العصرية. فالنبي محمد(صلعم) حضّ المسلمين على طلب العلم وبخاصة اللغات للحاجة إلى وفود الدعوة. كما أن المسلمين في التاريخ أقبلوا على العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية وبشكل خاص في فترة العصر العباسي الزاهر. بيد أنه في فترة لاحقة ونتيجة البعد بين الشرق والغرب أخذ المسلمون يجتنبون كل ما هو أجنبي كاللغة والملبس وذهبوا إلى حد اعتبار هذا شيئا" من الكفر.[1]

مدارس متأخرة بسيطة التأثير :

١- مدرسة الإخلاص:

قامت المدرسة في السنوات الأخيرة من القرن الماضي على الأرجح وكانت تعنى بتدريس اللغات الثلاث، العربية والتركية والفرنسية ،بالإضافة إلى علوم أخرى.[٢]

٢- المدرسة الحميدية:

قامت المدرسة الحميدية في السنوات الأخيرة من القرن الماضي، وهي كما يستدل من اسمها نسبة إلى السلطان العثماني في ذلك الوقت عبد الحميد الثاني. ويقول المؤرخ الشيخ طه الولي إن لجنة التعليم الإسلامية المؤلفة من كل من الشيخ محمد زيدان والشيخ رضى القباني والشيخ منير الدنا هي التي افتتحت المدرسة.[٣]وكانت تعلم طلابها اللغات الثلاث العربية والتركية والفرنساوية.[٤] وكان من أساتذتها الشيخ محمد أفندي زيدان

---

[١] مقابلة مع الشيخ طه الولي.

[٢] ذكرت ثمرات الفنون:" إحتفلت أمس مدرسة الإخلاص الأهلية بتمثيل بعض محاورات عربية وتركية ومناظرات إفرنسية بحضور عدد من العلماء والفضلاء وأولياء التلامذة فسروا بما شاهدوه من نجابة التلامذة واجتهاد الأساتذة ثم وقف الشاعر الأديب مكرمتلو الشيخ عبد الرحمن أفندي سلام وتلا خطابا في فوائد العلوم العصرية والمعاونة على البر والتقوى."راجع: ثمرات الفنون، عدد ١٢٨٨،٥ ربيع الأنور ١٣١٨هـ، الموافق ٢ تموز ١٩٠٠م، ص:٥.

[٣] طه الولي، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، ص:٢٤٧.

[٤] ذكرت ثمرات الفنون: "إحتفلت المدرسة الأهلية الحميدية في بيروت أيام الجمعة والسبت والأحد بختم صف من تلامذتها تخلله محاورة أدبية باللغات الثلاث العربية والتركية والفرنساوية". راجع: ثمرات الفنون، عدد ١١٨٥، أول صفر ١٣١٦هـ، الموافق ٢ حزيران ١٨٩٨م، ص:٤؛ وعدد ١٢٣٣، ٢٦ محرّم ١٣١٧هـ، الموافق ٥ حزيران ١٨٩٩م، ص:٥.

(المدير) والشيخ أحمد خضر المحمصـــاني والمعلـم يوسـف سـكزان.[1] ونحـن نجهـل الزمـن الذي عاشته المدرسة إلا إنها استمرت حتى ما بعد نهاية القرن الماضي.

---

[1] م.ن.

الفصل الثاني

التعليم عند السنّة في طرابلس وصيدا

التعليم في طرابلس :

على الرغم من الصعوبات التي واجهتنا ونحن نترصد واقع الحركة التعليمية في طرابلس إبّان تلك الحقبة الزمنية، والتي تمثلت في قلة المصادر والكتابات التي تنوّر طريقنا، وفي العثور على الأشخاص الذين بإمكانهم مدّنا بالمعلومات، فإننا تمكنا، من خلال ما توفّر لدينا ومن خلال ما تمّ التوصل إليه عن طريق القياس والاستنتاج، من تكوين صورة تكاد تكون كافية لما نهدف إليه، والتي تبدو في ملامحها العامة، مشابهة لما عرضناه أو ما سوف نتعرض له عن بدايات التعليم وتطوره في بيروت وفي غيرها من المدن الإسلامية الأخرى.

فقد كان التعليم في طرابلس، مع بدايات القرن التاسع عشر، مشابهاً لما كان في غيرها من المدن الإسلامية مقتصراً على المساجد والكتاتيب. وكان الطلاب يفدون إلى المدارس في سن مبكرة لتلقي بعض الدروس الابتدائية. ومع العقود الأخيرة من القرن الماضي، أنشأت السلطات العثمانية المدرسة الرشدية، وهي مدرسة ابتدائية، كما قامت عدة مدارس أهلية أخرى، بمبادرات فردية من أبناء طرابلس. فأصبح الطالب بعد أن ينهي دروسه في الكتّاب، ينتقل إلى مدرسة أرقى لاكتساب مزيد من العلوم والمعارف.[١] وكان بعض الأغنياء الذين يريدون متابعة تحصيلهم العلمي ينتقلون إلى مصر ويدخلون الجامع الأزهر، الذي تخرّج فيه العديد من العلماء في جميع البلاد الإسلامية وبخاصة طرابلس.[٢]

---

[١] درس الشيخ رشيد رضا في كتاب قريته "القلمون" قراءة القرآن والخط وقواعد الحساب ثم دخل المدرسة الرشدية في طرابلس فتلقى فيها الصرف والنحو والحساب ومبادئ الجغرافيا وعلم الحال (العقائد والعبادات) واللغة التركية واللغة العربية. راجع: المنار والأزهر، ط١؛ مصر، مطبعة المنار، ١٣٥٣ هـ-١٩٣٤م، ص:١٣٩.

[٢] ذكر "القاياتي" العديد من علماء طرابلس الأزهريين الذين التقاهم أثناء رحلته إلى طرابلس. راجع: محمد عبد الجواد القاياتي، نفحة البشام في رحلة الشام، "سلسلة التواريخ والرحلات"، بيروت، دار الرائد العربي، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص:٧١-٨٣.

أما نظام التدريس في مثل هذه المساجد والكتاتيب فكانت تشوبه الفوضى لعدم التزام التلاميذ بالحضور أحياناً، ولعدم إخضاع الطلاب لامتحان أو شهادة. وكان المعلم عندما ينتهي من تدريس فرع من الفروع الدينية أو العربية ينتقل إلى فرع آخر، بعد أن يكتب لكل تلميذ حضر عنده تدريس هذه المادة شهادة مذيلة بإمضائه[١] تجيز له التعليم. وكان طلاب حلقات التدريس في مساجد طرابلس يتحلقون كل جماعة حول معلم معيّن يلقنهم العلم الذي اشتهر به. فهذا للتفسير وذاك للفقه وثالث للحديث ورابع للعلوم العربية وغيرها.[٢]

المبادرة الرسمية:

١- المدرسة الرشدية:

وهي من المدارس الرسمية الأولى التي أنشأتها السلطنة في مدينة طرابلس حوالي عام ١٢٩٢هـ ١٨٧٥م. وقد كانت المدرسة الرشدية تحت إشراف معلمها الأول عبد الله نيازي أفندي، كما كان من ضمن موادها التدريسية مبادئ العربية والعلوم الدينية إضافة إلى الخط. وقد تخرّج في هذا المكتب عدد من التلاميذ استدعي منهم خمسة ليدخلوا المكتب الإعدادي للالتحاق بالخدمة العسكرية، فيما تبوأ البعض الآخر العديد من الوظائف الحكومية.[٣] وقد ضمّ المكتب في وقت لاحق عدداً من الطلاب من غير الطائفة الإسلامية

---

[١] مارون الخوري، ملامح من الحركات الثقافية في طرابلس خلال القرن التاسع عشر،طرابلس، ط٢، ١٩٨٣، ص:١١.

[٢] أنيس الأبيض، الحياة العلمية ومراكز العلم في طرابلس خلال القرن التاسع عشر، لبنان، ط٢، ١٩٨٥ص:٢٧.

[٣] جاء في ثمرات الفنون: "...فالله يجزي الافندي المومى إليه (مكرمتلو عبدالله نيازي-معلم المكتب الأول) عنا خير الجزاء إذ بواسطته نجح من المكتب المذكور جملة تلامذة اقتطفوا من عوارفه باجتهادهم وهم زهرات المعارف وأضحوا راقلين مما اغترفوه من أبحر معارفه... على اننا لم نر أغلب المستخدمين والملازمين في أقلام حكومة طرابلس إلا منهم يعني تلامذة الرشدية الذين أحرزوا قصبات السبق في ميادين الجد والاجتهاد فالمأمول من عموم الأهالي أن لا يتركوا أولادهم في زوايا الإهمال بل يجبرونهم على الانتظام في سلك المتعلمين في مكاتب هكذا ليلتحقوا بحلى الأدب والعلوم النافعة في الدين والدنيا". راجع: ثمرات الفنون، عدد ١٢، ٣ جمادى الثانية ١٢٩٢، ٦ تموز ١٨٧٥م، ص٢.

إثر صدور الإرادة السنية بقبول غير المسلمين أيضاً في المكاتب الرشدية العسكرية.[١] ونحن لم نعد نقع على أي خبر لهذا المكتب ينير بحثنا كما إننا لا نعلم الزمن الذي عاشه.

٢- المكتب الإعدادي:

وهو من المكاتب المتأخرة نسبيا" إذ أننا نرجح قيامه في بداية العقد الأخير من القرن الماضي، حيث لم يرد ذكره في المراجع التي بين أيدينا (الثمرات، طرابلس الشام، رياض طرابلس الشام، سالنامه بيروت) قبل عام ١٨٩٢. وكانت الدراسة فيه متقدمة نظرا" لأن الطلاب المقبولين لديه كانوا ممن نجحوا وحصلوا على الشهادة الابتدائية الرشدية.[٢] ومن شروط انتساب الطلاب إلى هذا المكتب أن لا يقل عمر الطالب عن إحدى عشرة سنة ولا يزيد عن خمس عشرة سنة.[٣] وقد تولى إدارة المكتب بداية الأستاذ عبد الفتاح ثم تسلمها منه الأستاذ توفيق أفندي الذي كان يدرّس فيه أيضاً العلوم الرياضية وأمثالها، وقد سعى إلى إنجاح المكتب وترتيب دروسه على النسق الجديد، كما أدخل بعض التعديلات المفيدة على منهاج الدراسة.[٤] ويبدو أن المكتب كان مجهّزاً ببعض الأدوات والوسائل الحديثة التي كانت تساهم في تطوير أساليبه التعليمية.[٥] وقد عني المكتب بتدريس العديد من العلوم

---

[١] م.ن.، عدد ٢٨٩، ٥ شعبان ١٢٩٧هـ، الموافق ١٢ تموز ١٨٨٠م، ص:١.

[٢] تعريف المكاتب الإعدادية "بوجه الاختصار بأنها كانت علومها فوق المكاتب الرشدية وموصلة إلى المكاتب العالية". راجع: ثمرات الفنون، عدد ٥٠٦، ٦ صفر ١٣٠٢هـ، الموافق ١١ تشرين الثاني ١٨٨٤م، ص:١.

[٣] طرابلس الشام، عدد ٢٥، ٢٣ صفر الخير ١٣١٢هـ، الموافق ٤ أيلول ١٨٩٣م، ص: ٣.

[٤] ورد في طرابلس الشام: "يسرنـا ما نراه من ترقي مكتب الإعدادي عندنا واعتناء مديره الفاضل والكاتب البارع توفيق بك أفندي بأمر ضبط وربط أوقات الدروس وإجراء كلمة في نجاح التلامذة ورفاهيتهم ومما زاد سرورنا انه قرر بلزوم قراءة الدرس الفرنساوي من التلميذ يوميا في عموم أيام السنة المطلوبة." راجع: طرابلس الشام، عدد ١٩٨، ١٨ شوال ١٣١٤هـ، ٢٢ آذار ١٨٩٧م، ص: ٢.

[٥] جاء في طرابلس الشام: "أهدى مكتبنا حضرة الغيور نابليون بيرو أفندي مأمور أزانطة مساجري الفرنساوية بعض آلات هندسية وجغرافية جلبها من باريس بقيمة /٢١٥/ فرنكا" و٥٠ سنتيما" (يتبع)

والفنون[١] كما ضمّ الكثيرين من أبناء طرابلس.[٢] أما موقعه فكان في عمارة متقنة في محلة تل الرمل الذي كان منتزه الفيحاء، كما تولت الدولة تحمّل أعباء الرواتب للمعلمين والمستخدمين فيه.[٣]

٣- نمونة ترقي :[٤]

لا علم لنا بالوقت الذي أنشئ فيه هذا المكتب، إلا أننا نغلب الظن أن قيامه كان في أول العقد الأخير من القرن الماضي مما يشير إلى تزامن هذا المكتب مع المكتب الإعدادي. ومن الشروط التي حدّدها هذا المكتب أنه كان يتوجب على كل من يرغب الانتساب إليه ألا يكون عمره أقل من خمس سنين ولا أكثر من ثماني سنين، وهذا الشرط مختص بتلامذة السنة الأولى. ولا يشترط على الطالب الجديد أن يكون متعلما" في مكتب آخر بل كان يتم قبوله من غير امتحان.[٥] وكادت مسيرة هذا المكتب أن تتعثر في بدايتها

– خدمة للوطن وغيرة على ترقي المعارف." راجع:م.ن.، عدد ٢٢، ٢ صفر الخير ١٣١١هـ، الموافق ١٤ آب ١٨٩٣م، ص:٢.

[١] وردت في سالنامة بيروت (١٣١٠هـ-١٨٩٢م، ص:٢٣٥-٢٣٦.) أسماء بعض أفراد الهيئة التعليمية والمواد المدرسة في المكتب الإعدادي-طرابلس وكانت على الشكل التالي: عبد الفتاح أفندي معلم اللغة الفرنسية والجغرافيا وتوفيق بك معلم الهندسة وأحمد خلوصي أفندي معلم التاريخ والإنشاء والخط والجغرافيا ومحمود عبد الرزاق أفندي معلم العلوم الدينية وخير الدين أفندي معلم اللغة العربية وعبد العزيز أفندي معلم الحساب. راجع: د. أنيس الأبيض، ص: ٤١٨ ويضيف د. الأبيض "انه وفي مقابلة خاصة مع الأستاذ نجيب المنلا أكد المنلا هذه المعلومات أضاف انه إلى جانب هؤلاء الأساتذة كان الأستذ محمود حداد أستاذ اللغة الفارسية وهو" طرابلسي" مضيفا" عن أعمار الأساتذة انهم جميعا" كانوا معمّرين".

[٢] كان من تلامذة هذا المكتب كل من محمد الجسر وبشير المنلا اللذين أكملا المدة القانونية أعطيت لهما الشهادة الانتهائية. سنة ١٣١٤ هـ -١٨٩٦م. راجع: طرابلس الشام ،عدد ١٧٣، ١٣ ربيع الثاني ١٣١٤هـ، الموافق ٢١ أيلول ١٨٩٦م، ص:٣.

[٣] رياض طرابلس الشام، مج٤، ١٨٩٦م، ص:١١٦.

[٤] نمونة (Numune) بالتركية نموذجي، مثالي، حديث، فنمونة خانة معناها غرفة نموذجية ومعناها كذلك متحف وهذا يعني أن معنى اسم المكتب "المدرسي النموذجي". قمنا بترجمة المعنى كما ورد في قاموس:

W Red house. A Turkish and English LEXICON, Beyrouth Librairie de Liban, 1974, p.2106.

[٥] طرابلس الشام، عدد ٢٥، ٢٣ صفر الخير ١٣١٢هـ، الموافق ٤ أيلول ١٨٩٣م، ص:٣.

بسبب ضائقة إمكانات صندوق مجلس المعارف المالية لولا مبادرة أحد الوجهاء التي أنقذت الحال.[١] وبينما نجد عدد الطلاب الذين أكملوا الدراسة الابتدائية في المكتب عام ١٣١٣هـ ١٨٩٥م خمسة عشر طالبا" نراهم عام ١٣١٤هـ ١٨٩٦ سبعة عشر تلميذا" تمكنوا من الحصول على الشهادات التي بموجبها يترقون إلى المكتب الإعدادي.[٢] كما كان للنشاطات الثقافية فيه قسط لا بأس به من الاهتمام.[٣] أما المواد التعليمية فكانت تتلخص بالقرآن قراءة وتجويدا" بالإضافة إلى العقائد والفقه واللسان العثماني والإملاء والأمثلة والحساب والتاريخ العثماني والجغرافيا و حسن الخط.[٤]وقد عهد بإدارة المكتب إلى مدير المكتب الإعدادي الأستاذ عبد الفتاح.[٥] و كان موقعه في الطابق السفلي من مبنى المكتب الإعدادي.[٦] وقد مرّ مكتب نمونة ترقي بفترة تراجع أدت إلى توقفه فسعى قومسيون المعارف لدى السلطات

---

[١] بادر جناب احمد أفندي سلطاني المحامي الشهير إلى تعيين معلم الكتابة وحسن الخط بمكتب نمونة ترقي الذي صار افتتاحه بطرابلس وصرف معاشه في كل شهر من جيبه نظرا لمضايقة صندوق مجلس المعارف. راجع:م.ن.، عدد ٣٧ ، ١٩ جمادى أولى ١٣١١هـ، الموافق ٢٧ تشرين الثاني ١٨٩٣م، ص:٢.

[٢] م.ن.، عدد ١١٧، ١٥ محرم ١٣١٣هـ، الموافق ٨ تموز ١٨٩٥م، ص:٢؛ وعدد ١٦٣، ٢٥ محرم ١٣١٤هـ، الموافق ٥ تموز ١٨٩٦م، ص:٢.

[٣] كانت العادة في هذه المدرسة أن تقام تمثيليات ومحاورات أدبية تتعلق موضوعاتها بقضايا السعة مثلا(بماذا تكون سعادة المرأة) (وفضل العلم أهله). راجع: م.ن.، عدد ١١٧، ١٥ محرم ١٣١٣هـ، ٨ تموز ١٨٩٥م، ص:٢؛ وعدد ١٦٣، ٢٥ محرم ١٣١٤هـ، ٦ تموز ١٨٩٦م، ص:٢.

[٤]م.ن.، عدد ١١٧ -١٦٣.

[٥] م.ن.، عدد ٢٥، ٢٣ صفر الخير ١٣١٢هـ، ٤ أيلول ١٨٩٣م، ص:٣.

[٦] حكمت شريف، تاريخ طرابلس الشام منذ أقدم أزمانها إلى هذه الأيام، (تقديم منى حداد يكن)، ط١؛ طرابلس -لبنان، دار الإيمان، ١٩٨٧، ص:١٨٧.

العثمانية لإعادة افتتاحه متقدما" بتقرير يتضمن برنامجا" جديدا" للدروس وتنظيمها. وقد عرضت المتصرفية هذا الأمر لجانب نظارة المعارف العمومية.[١]

وقد بدا واضحا" من خلال التقرير– البرنامج الذي تضمّن أيضا" جدول الدروس وكيفية قراءتها، أن الاهتمام كان موجها" نحو اللغتين التركية والفرنسية على حساب العربية في ظل عناية خجولة جدا" بالاجتماعيات (تاريخ وجغرافيا)[٢]. وقد وافقت نظارة

---

[١] " قدم قومسيون معارف اللواء لائحة لجانب المتصرفية الجليلة مسترحما" بها إعادة فتح مكتب نمونة ترقي الذي قد تعطل من مدة لأسباب أخر متضمنة برنامجا" نظمه القومسيون أيضا" بكيفية قراءة الدروس في المكتب المذكور موافقا" لاحتياجات اللوء حسب اقتضاء الوقت والزمان وقد بلغنا أن المتصرفية العليا عرضت هذا الأمر لجانب نظارة المعارف العمومية الجليلة ولنا الأمل الوطيد بأن النظارة المشار إليها ستبدي المساعدة لهذا المكتب وتصرف على البرنامج أيضا" بالنظر لما اشتمل عليه من عظيم الفوائد والمحسنات العمومية العائدة على أبناء الوطن بالفوز والفلاح.

أما برنامج الحصص الدراسية العائدة للمواد وفق التقرير المقدم فكان على الشكل التالي:

المادة	سنة أولى	ثانية	ثالثة	رابعة
العلوم الدينية	٤ حصص أسبوعيا	٤	٤	٤
عربي	–	–	–	٢
تركي	٦	٦	٦	٦
ترجمان	٣	٣	–	–
حساب	٢	٢	٣	٣
فرنساوي	٦	٦	٦	٦
خط	٤	٤	٤	٤
جغرافيا	–	–	١	١
تاريخ	–		١	١

راجع: طرابلس الشام ، عدد ١٩٨، ١٨ شوال ١٣١٤، ٢٢ آذار ١٨٩٧، ص٤.

[٢] ورد في التقرير برنامج الدروس التفصيلية فكانت على الشكل التالي:

–السنة الاولى–

–العلوم الدينية: تعلم التلامذة من الأجزاء الشريفة جزء عمّ ويحفظ سورة الصلاة وشروطها على قدر الكفاية وعلى قدر استطاعة التلامذة.

–التركي: تعلم التلامذة الحروف من الألواح والهجاء من الألف باء العثمانية والقراءة من كتاب مختصر بالأخلاق تكون حروفه واضحة ويعطي الأولاد معلومات شفاهية من طرف المعلم لأجل توسيع قرائحهم الذهنية وتعليمهم التكلم والمخاطبة.

–الترجمان: تحفظ التلامذة مقدارا" كافيا" من –(يتبع)

الصنف الثاني–

–العلوم الدينية: تعلم التلامذة من الأجزاء الشريفة جزء تبارك يداومون على حفظ سورة الصلاة وشروطها كالسنة السبقة.

–التركي: تعلم التلامذة القراءة من كتب تعلم القراءة وكيفية تشكيل الكلمات ويعطيهم المعلم معلومات شفاهية كالسنة السابقة مع وظيفة كتابة ما يقرأونه بدفاترهم.

–الترجمان: يداومون على حفظ الترجمان

-الرسالة المسماة ترجمان.
-الحساب: تعلم التلامذة الحساب الذهني من الخارج بدون كتاب بقدر أن يحصوا الأعداد الحسابية باللسان التركي ويكتبوها.
-الفرنساوي: ويعلمون الحروف الهجائية ألف بـا فرنساوية رويدا" رويدا".

-الخط: يكتبون الخط الثلث من الدفاتر المخصوصة.

-الصنف الثالث-

-العلوم الدينية: تعلم لتلامذة القرآن الكريم مـع التجويد وعلم الحال.
-التركي: تعلم الأولاد القراءة من كتاب تعلم القراءة ويعطيهم المعلم الوظائف والمعلومات الشفاهيـة بصورة واضح (أوضح) من السنة السابقة ويكتبهم إملاء بأن يملي عليهم جملا" صغيرة سهلة وهـم يكتبونها بدفاترهم ثم يكتبهاالمعلم علىاللـوح مرة أخرى وهم يصلحونها بدفاترهم ثم يفهمهم معناها.

-الحساب: تعلم التلامذة الأعمال الأربعة من كتب سهل ويعطون مسائل سهلة لأجل حلها.

-الفرنساوي: يعلمون القراءة وحفظ الكلمات والخط الفرنساوي كالسنة السابقة ويزداد لهم بأن يعلمـوا بعضا" من القواعد السهلـة وكيفية تشكيل الجمـل السهلة مع قراءاتها.
-الخط: يكتبون الرقعة من الدفاتر أيضا".
-الجغرافيا: تعلم التلامذة المعلومات الابتدائية في حق الكرة الارضية وبعضا" من اصطلاحات الجغرافيـا وبعضا" من الحكومات المشهورة
-التاريخ: يعلمون التاريخ العثماني من كتـاب مناسب مختصر.

كالسنة السابقة.
-الحساب: تعلم الأولاد أصول التعـداد والترقيم وأعمال الجمع والطرح باختصـار من كتاب سهل.
-الفرنساوي: يعلمون القراءة من كتاب سهل حروفه واضحة ويحفظون بعض الكلمـات الفرنساوية الكثيرة الاستعمال ويكتبون الخط الفرنساوي في الدفاتر المخصوصة.
-الخط: يكتبون خط الثلث والرقعـة مـن الدفاتر المخصوصة لذلك.

-الصنف الرابع-

-العلوم الدينية: تكمل التلامذة القرآن الكريم مع التجويد في هذه لسنة ويعلمون علم الحال
-العربي: تعلم لتلامذة القواعـد العربيـة باختصار حسب اقتضاء الاحتياجات المحلية
-التركي: تعلم الطلبة القراءة مـن رسالـة فطين الفنية الأخلاقيـة مـع المعلومـات الشفاهية كالسنين السابقة ويكتبـهم المعلـم الإملاء من الجرائد ويفهمهم المعنى ثـم يصحح المعلم دفاتر الإملاء كل على حدة.
-الحساب: تعلم الأولاد الكسـورات مـع تطبيقاتها بغاية الاختصار ويراعى مسـك الأولاد دفاتر الحساب.
-الفرنساوي: تعلم التلامذة القراءة مع فهم معنى من كتاب مناسب ويحفظون القواعـد والكلمات ويكتبون في الدفاتر المخصوصـة كالسنة السابقة.
-الخط: يكتبون خط الرقعة كالسنة السابقة.
-الجغرافيا: يعلم التلامذة الجغرافيا العثمانية من كتاب مختصر سهل العبارات.

-التـاريخ: يـداوم التلامذة علـى قـراءة التـاريخ العثماني كالسنة السابقة.

راجع: طرابلس الشام، عدد ١٩٨، ١٨ شوال ١٣١٤هـ، الموافق ٢٢ آذار ١٨٩٧م، ص:٤.

المعارف العمومية على الاقتراح-التقرير الذي تقدّم به قومسيون المعارف في طرابلس. وأعيد افتتاح المكتب المذكور بتاريخ ١٢ ربيع الثاني ١٣١٥ والموافق ١٨ أيلول ١٨٩٧م.[١]

المبادرة الفردية:

١- المدرسة الوطنية الإسلامية:

أنشأها الشيخ حسين الجسر بمدينة طرابلس عام ١٨٨٠ بمساعدة الحاج عبد الغني الضناوي وهي المدرسة الإسلامية الأولى في طرابلس على النسق العصري يعلّم فيها العربية والتركية والفرنساوية والحساب والجغرافيا.[٢]

ظروف نشأتها:

عن ظروف نشأة المدرسة يقول الدكتور زيادة إن الشيخ حسيناً عاد إلى موطنه طرابلس عام ١٨٦٧ بعد فترة قضاها في الأزهر، ليمارس مهنة التعليم وخلال عشر سنوات لم ينشط بأي مجال خارج نطاق التعليم. وبعد الحرب الروسية العثمانية وبعد إعلان الدستور طرأ تحول على أقاليم الدولة العثمانية تمثّل بازدياد الاهتمام الأوروبي بالمشرق العربي، وأخذ هذا الاهتمام أشكالا" متعددة منها بثّ البعثات والإرساليات في مدن الشرق. وكان الشيخ حسين أسرع الناس شعورا" بأهمية الموقف وخطورته فأدرك أن طريقة التدريس القديمة لا تأتي بالفائدة المطلوبة بل يجب تبديلها بطريقة تجمع بين علوم الدين

---

[١] جاء في طرابلس الشام: "يوم السبت الماضي جرى الاحتفال بافتتاح المكتب الابتدائي المسمى (نمونة ترقي) بحضور الشهم الصادق حضرة صاحب السعادة بدري باشا متصرف اللواء... ولما انتظم المحفل قام كمال بك مدير تحريرات اللواء وتلا خطبة مما جاء فيها... فان الطفل الذي يدخل هذا المكتب يبتدئ من (الألف باء) ثم يتدرج للنظر في جميع الفنون اللازمة كالعلوم الدينية والعربي والتركي والفرنسوي والحساب الجغرافيا والتاريخ فلا يلبث أن يتم مدة التحصيل به التي هي عبارة عن أربع سنوات. راجع: طرابلس الشام، عدد ٢٢٤، ٢٣ ربيع الثاني ١٣١٥هـ، الموافق ٢٠ أيلول ١٨٩٧م، ص:٢.

[٢] ثمرات الفنون، عدد ١٤،٢٦٥ صفر الخير ١٢٩٧هـ ، الموافق ٢٦ كانون الثاني ١٨٨٠م، ص:١.

وعلوم الدنيا على الطريقة العصرية الأوروبية مع المحافظة على التربية الإسلامية الوطنية.[١]

مسيرة المدرسة:

حظيت المدرسة الوطنية في طرابلس باهتمام واسع من التيار الإصلاحي في الدولة العثمانية أمثال مدحت باشا وحمدي باشا. وقد بارك هؤلاء منهاجها السائر في الاتجاه الإصلاحي القائل بضرورة الانفتاح على العلوم العصرية والأخذ بأسباب التقدم.[٢]

برنامجها الدراسي:

ضمّت المدرسة في برنامجها التعليمي عددا" من العلوم العصرية التي لم يألف المسلمون مثلها في مدارسهم من قبل، كما ضمّت بين معلميها أساتذة من غير المسلمين، وهذا أمر آخر لم يكن المسلمون قد اعتادوا عليه أيضاً نظراً لما شعروا به من حذر إزاء توافد الإرساليات الأجنبية على البلاد ونشر مدارسهم المسيحية التي انعكست سلباً لدى المسلمين وأثارت عندهم المخاوف والشكوك، كما عرضنا في الفصل الأول من هذا البحث.

وقد تولّى الشيخ حسين إدارة المدرسة واختار للتدريس فيها عددا" من المدرّسين كيوسف الحرفوش لتدريس اللغة الفرنسية، كما عهد إلى نفسه شخصيا" تدريس العلوم

---

[١] خالد زيادة ، "الشيخ حسين الجسر"، أعلام النهضة الحديثة، الحلقة الثانية، ط١؛ بيروت، دار الحمراء للطباعة والنشر،١٩٩١، ص:٤٧-٤٨. ربما تكون فكرة تأسيس مدرسة عصرية قد راودت الشيخ حسين الجسر قبل مدة من تأسيسه للمدرسة ولكن الظروف العامة لم تكن لتسمح بتحقيقها قبل عام ١٨٨٠. راجع: م.ن.، ص:٤٨.

[٢] ألقى متصرف اللواء إبراهيم باشا كلمة في افتتاح المدرسة جاء فيها: "لا أستطيع أن أصف لكم عظم درجة سروري لوجودي في هذه الجمعية الخيرية التي هي بحوله تعالى تكون فاتحة حسنة لتقدم وترقي مدينتكم الفيحاء المجيدة المعدودة من مشاهير مدن الأراضي المقدسة الفلسطينية والمشهورة في الأعصر السابقة بنبوغ العلوم والفنون الدينية والمعقولة، ثم أصبحت في أشد الاحتياج للمدارس المنتظمة لأجل تعليم العلوم والفنون الدينية وأنواع اللغات التي هي السبب الوحيد لامتياز أنواع البشر..." راجع: خالد زيادة، "الشيخ حسين الجسر"، اعلام النهضة الحديثة، الحلقة الثانية،ط١،بيروت،دار الحمراء للطباعة والنشر،١٩٩١، ص:٤٨.

الدينية والفلسفية واللغوية.[١]

أما برنامج الدراسة فكان يقسم إلى المواد التالية:

العلوم الدينية: تفسير وحديث وفقه وعبادات وتوحيد.

علوم الآلة: نحو وصرف ولغة وبيان ومعان وإنشاء وأدب وعروض.

العلوم الفنية: منطق وحساب وجغرافيا وهندسة.

القانون العثماني.

اللغات: تركية وفرنسية قراءة وكتابة.[٢] أضيفت إليهما فيما بعد الفارسية.[٣]

ويتضح لنا من مواد التدريس أن المدرسة كانت الأولى بين المدارس الإسلامية في طرابلس التي تعتمد مثل هذه العلوم في برنامجها على إن تدريس العلوم فيها كان بمجمله باللغة العربية بالإضافة إلى تعليم اللغتين التركية والفرنسية.

وقد حازت المدرسة على سمعة طيبة وشهرة رائجة بعد فترة قصيرة من تأسيسها حيث ظهر تميّزها في نظامها التعليمي وفي برنامجها الدراسي،[٤] فأقبل عليها عدد كبير من

---

[١] م.ن.، ص:٤٨-٤٩.

[٢] م.ن.، ص:٤٨.

[٣] ثمرات الفنون ،عدد ٤٣٦، ٤ رمضان ١٣٠٠هـ، الموافق ٢٧ حزيران ١٨٨٣م، ص:٣.

[٤] تخبرنا ثمرات الفنون أن علامات النجاح والتفوق بدأت تظهر عليها بعد شهرين على افتتاحها وتوجهت أنظار الناس وأولياء الطلبة إليها وقد نال الطلاب فيها بمدة نحو شهرين من فوائد العلوم واللغات من النحو والتصريف وتجويد القرآن والتركي والفرنساوي وغيرها ما لا ينال في مدة سنة كما ظهر ذلك بالاختبار والمشاهدة. راجع: م.ن.، عدد ٢٧٥، ٢٥ ربيع الثاني الأنور ١٢٩٧هـ، الموافق ٥ نيسان ١٨٨٠م، ص:١.

أبناء المدينة.[1] أما موقعها فكان بداية في الغرف الملحقة بجامع طينال.[2]

إغلاق المدرسة:

لم يكتب لهذه المدرسة العمر الطويل إذ إنها أقفلت بعد حوالي ثلاث سنوات على إنشائها. وقد تعددت الآراء والأسباب حول هذا الإقفال:

فبينما يقول الشيخ عبد الكريم عويضة، وهو أحد تلامذة المدرسة، إن السبب في إغلاقها يعود لبعض علماء زمانه الذين حسدوا سعي الشيخ حسين الجسر فوضعوا العقبات أمام طريقه وسعوا في تأليب أولياء الأمر عليه.[3]

يقول الشيخ رشيد رضا: إن الحكومة العثمانية "لم تقبل أن تعدها من المدارس الدينية التي يعفى طلابها من الخدمة العسكرية فكان ذلك سببا" لإلغائها".[4]

وقد ذهب الدكتور خالد زيادة إلى القول إن الأجواء الإصلاحية التي رافقت نشوء المدرسة وحضّت على قيامها كانت قد بدأت بالزوال بعد أشهر قليلة وعوقب المصلحون بالاضطهاد بمن فيهم مدحت باشا الذي حوكم ونفي وقتل بعد ذلك.[5]

ومن المرجّح القول إن النفس الإصلاحي الداعم لهذه المدرسة لم يكن ليعبر عن موقف الحكومة بقدر ما كان يعبر عن موقف فردي، وبغياب أصحاب هذا الموقف ظهرت حملة سياسية منظمة من جانب السلطنة عمدت إلى ضرب التوجه الإصلاحي التربوي

---

[1] من هؤلاء الطلاب نذكر: رشيد رضا وعبد القادر المغربي وعبد المجيد المغربي وإسماعيل الحافظ وعبد الكريم عويضة. راجع: خالد زيادة، "الشيخ حسين الجسر"، اعلام النهضة الحديثة، الحلقة الثانية، ط١، بيروت، دار الحمراء للطباعة والنشر، ١٩٩١، ص:٤٩.

[2] سميح وجيه الزين، تاريخ طرابلس قديما وحديثاً منذ أقدم الأزمنة حتى عصرنا الحاضر، ط١؛ بيروت، دارالأندلس، ١٩٦٩، ص:٣٢٢.

[3] خالد زيادة، "الشيخ حسين الجسر"، اعلام النهضة الحديثة، الحلقة الثانية، ط١، بيروت، دار الحمراء للطباعةوالنشر، ١٩٩١، ص: ٤٩.

[4] المنار والأزهر، ص:١٣٩.

[5] خالد زيادة، "الشيخ حسين الجسر"، اعلام النهضة الحديثة، الحلقة الثانية، ط١، بيروت، دار الحمراء للطباعة والنشر، ١٩٩١، ص:٥٠.

الذي كان قد بدأ يتعارض مع النظام التربوي العثماني التقليدي، ولذلك نجد أن ما حلّ بمدرسة حسين الجسر في طرابلس قد أصاب أيضا" "المقاصد" في بيروت وصيدا عندما تمادت في ابتعادها عن الأجواء العثمانية التربوية وأرادت إنشاء مدرسة كلية داخلية على النمط العصري (السلطانية)، الأمر الذي كان سبباً لإلغائها وإسناد أمورها إلى شعبة المعارف كما مرّ معنا.

وكان من آثار هذه المدرسة أن فتحت الباب أمام تغيير أفكار المسلمين حيث شكّلت نقطة تحوّل في قلبها لمفاهيمهم إن من حيث نظرتهم إلى العلوم العصرية الاتية من الغرب المسيحي، أو لجهة تقبلهم لفكرة تعليم أولادهم على أيدي مدرّسين من غير المسلمين.[١]
واللافت في هذه المدرسة أيضاً أنها بقدر ما سعت إلى إدخال العلوم العصرية في منهاجها، بقيت محافظة ووفية للعلوم التقليدية حيث تمكنت من الجمع بين الاثنين.[٢]

وبإقفال هذه المدرسة خسرت طرابلس ظاهرة سبّاقة في التوجه نحو إقامة مدرسة إسلامية عصرية سوف يتأخر تكرارها إلى ما بعد بداية القرن الحالي.

٢- المدرسة الحميدية:

أنشأها عثمان باشا زاده سعاد تلو محمد بك المحمد في قرية مشحة قضاء عكار في ٢٥ ربيع الثاني ١٣١١هـ-١٨٩٣م. وقد سمّيت بالحميدية تيمّناً باسم الخليفة عبد الحميد الذي أهدى المدرسة خزانة كتب دينية نفيسة. وقد عيّن للمدرسة المذكورة معلم أول هو أحد علماء طرابلس الشيخ محمد الحسيني. وقد جرى لافتتاحها احتفال حضره علماء طرابلس ووجهاؤها. وقد وقف لها منشئها عقارات تفي بما تحتاج إليه من المصاريف وخصص لها محلات للتدريس ولمبيت طلبة العلم الشريف من أهالي القضاء.[٣]

---

[١] في هذا الإطار يذكر د. خالد زيادة انه أصبح بين طلاب المدرسة الوطنية عدد من الطلاب الذين يقرأون الفرنسية بل ويتكلمون بها ويفاخرون بذلك؛ راجع: م.ن.، ص:٤٩.

[٢] يذكر الشيخ رشيد رضا أن رأي الشيخ حسين في إصلاح الأمة الإسلامية ورقيها لا يكون إلا بالجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا على الطريقة العصرية الأوروبية مع التربية الإسلامية الوطنية. المنار والأزهر، ص:١٣٩.

[٣] ثمرات الفنون، عدد ٩٥٤، ٤ جمادى أولى ١٣١١هـ، الموافق ١٣ تشرين الثاني ١٨٩٣م، ص:٢.

مواد التدريس:

وكانت مواد التدريس في هذه المدرسة تتلخص بالعلوم العربية والفرائض الدينية كالنحو والصرف والفقه والفرائض وعمل المناسخات(المكاتبات ونسخ النصوص) وغيرها[١]

وقد لاقت هذه المدرسة ارتياحا" لدى الناس واهتماما" من المسؤولين[٢] بعد أن لمسوا استعداد الطلاب واجتهادهم أثناء اختبارهم في مبادئ العلوم والفنون.[٣] وكانت العادة في المدرسة أن تجري امتحاناتها النهائية في احتفال يحضره الوجهاء والمسؤولون وتنتدب لجنة من العلماء لاختبار الطلاب.[٤]

٣- المدرسة العلمية:

أسست المدرسة في كانون الثاني سنة ١٨٩٥ في طرابلس على يد السيدين عبد المجيد المغربي ومحمد شفيق ملك اللذين توليا الإدارة وكان من أساتذتها محمد أفندي

---

[١] طرابلس الشام، عدد ٢٦٨، ١٣ ربيع أول ١٣١٦هـ، الموافق ٣١ تموز ١٨٩٨م، ص:٢؛ وعدد ٣٤، ٢٧ ربيع الثاني ١٣١١هـ، الموافق ٦ تشرين الثاني ١٨٩٣م، ص:٢.

[٢] كانت المدرسة تدأب على إجراء الامتحانات النهائية باحتفال علني تحت إشراف شعبة المعارف وأعلام علماء العلم. راجع: م.ن.، عدد ٢٣،١٣٠ جمادى الأولى ١٣١٣هـ، الموافق ١٠ تشرين الثاني ١٨٩٥م، ص:٢.

[٣] "كان الطالب وقت الاختبار في المدرسة يجيب عما يسأل عنه في الفقه ويشفع جوابه بالدليل أو من الكتاب العزيز أو السنة المطهرة". راجع: ثمرات الفنون، عدد ١٤٥٥، ١٩ شعبان ١٣٢١هـ، الموافق ٩ تشرين الثاني ١٩٠٣م، ص:٥.

[٤] في كل سنة وأثناء فترة الاختبار النهائي لطلاب المدرسة كانت تنتدب لجنة من العلماء تقوم باختبار الطلاب وامتحانهم. وفي سنة ١٣١٤هـ-١٨٩٦م تشكلت للجنة من العلماء السادة: الشيخ حسين الجسر والشيخ علي الميقاتي والشيخ عبد الحميد أفندي، وهؤلاء منتخبون من قبل صحب الفضيلة مفتي طرابلس. وكذلك عام ١٣١٦هـ- ١٨٩٨م تشكلت اللجنة من كل من الشيخ حسين الحسن والشيخ علي الميقاتي والشيخ عبد الغني بارودي وعبد الحميد الخطيب؛ راجع:م.ن.، عدد ١٠٨٩، ٢٣ صفر الخير ١٣١٤هـ، الموافق ١٣ آب ١٨٩٦م، ص:٢؛ طرابلس الشام، عدد ٢٦٨، ١٣ ربيع أول ١٣١٦هـ، الموافق ٣١ تموز ١٨٩٨م، ص:٢.

البارودي.[١] وقد عرف عن هذه المدرسة اهتمامها الزائد بالجانب السلوكي والأخلاقي للطلاب، إلى جانب اعتنائها بتدريس سائر العلوم الدينية والفنون العربية لا سيما تدريب الناشئة لتحصيل فن الإنشاء.[٢]

نظام المدرسة:

أما نظام المدرسة وبرنامج الدروس فيها، فقد وردا في إعلان لها من ستة بنود تتضمن شروطها وخطة سيرها:

"أولاً: هذه المدرسة تفتح نهاراً فقط.

ثانياً: تقبل هذه المدرسة كل من يريد الدخول من أي جهة كانت بشرط أن لا يكون سنّه أقلّ من ١٣ سنة.

ثالثاً: تدفع الأجرة سلفاً وهي نصف مجيدي على أن يتكفل الطالب باستحضار كتبه التي تقرأ في المدرسة. ومجيدي وحينئذ تتكفل المدرسة بتقديم ما يحتاجه من الكتب فيها.

رابعاً: تعيين المتعلمون حسب الفنون التي تقرأ أو ترتب على السنين.

خامساً: نهاية مدة التلميذ في المدرسة ست سنوات لمن لم يكن له سابقة في الاشتغال بالتحصيل وإلا فيقيّد بالصف الذي يكون هو متأهلاً له.

سادساً: يبتدأ بقراءة الدروس من الصباح إلى الساعة ١٠ على حسب ما ترتبه المدرسة بمقتضى الأوقات التي تختلف باختلاف الفصول ويعطى أثناء النهار فرصة لأداء الفريضة وللغذاء وإراحة النفس".[٣]

مواد التدريس والكتب المعتمدة:

توسّعت المدرسة في تدريس العلوم العربية والدينية، كما أضافت إلى منهاجها عدة مواد أخرى ووزعتها على سنوات الدراسة. وقد حددت الإدارة هذه المواد والكتب العائدة

---

[١] طرابلس الشام، عدد ٩٤، ١٨ رجب ١٣١٢هـ، الموافق ١٤ كانون الثاني ١٨٩٥م، ص:٢.

[٢] م.ن.، عدد ١٢٤، ١٢ ربيع أول ١٣١٣هـ، الموافق ٢ أيلول ١٨٩٥م، ص:٣.

[٣] م.ن.، عدد ٨٥، ٤ جمادى الأولى ١٣١٢هـ، الموافق ١٢ تشرين الثاني ١٨٩٤م، ص:٣.

إليها على الشكل التالي:[١]

النحو والصرف :إظهار كافية ابن عقيل، وشرح البناء للأحدب.

- علوم البلاغة: الجوهر المكنون - مختصر السعيد.

- المنطق: الشمسية.

- المناظرة: الكلنبوي- توحيد السنوسي.

- الرسالة الحميدية: التجويد مع القراءات السبع.

- فقه حنفي: متن نور الإيضاح- الطائي.

- فقه شافعي: متن أبى شجاع شرح ابن قاسم الخطيب

- أصول فقه حنفي: المنار شافعي الوريقات

- مصطلح الحديث: البيقونية- مقدمة القسطلاني

- في المصطلح: الفرائض الرجبية- شرح السيد علي السراجية.

- الإنشاء: رسالة حلّ النظم.

- المثل السائر: لغة نهاية المتحفظ. أطواق الذهب.

- الوضع: شرح الرسالة الوضعية.

- العروض: متن الكافي ورسالة الصبان.

- تفسير الجلالين: حديث مختصر الزبيدي.

- خط.

وفيما بعد أدخلت إدارة المدرسة على منهاج الدروس كتاب "نهج البلاغة" والمقامات الحريرية والمقصورة الدريدية .[٢]

وكان من ضمن سياسة هذه المدرسة، اعتمادها أسلوب الثواب والعقاب تجاه الطلاب، لحثهم على الجد والاجتهاد وتقويم سلوكهم وآدابهم. فخصصت لذلك مكافأة للتلميذ

---

[١] طرابلس الشام، عدد٨٥، ٤ جمادى الأولى ١٣١٢هـ، الموافق ١٢ تشرين الثاني ١٨٩٤م، ص:٣.

[٢] م.ن. عدد ٢٢٤، ٢٣ ربيع الثاني ١٣١٥هـ، الموافق ٢٠ أيلول ١٨٩٧م، ص:٣.

الذي يحلّ في المرتبة الأولى.[١] كما عمدت الإدارة إلى تعقب حركات الطلاب وتسجيل مخالفاتهم أو انضباطهم أسبوعياً على دفتر خاص، بحيث يحاسب الأول (المخالف) حساباً عسيراً ويشكر الثاني (الملتزم) ويثنى عليه ثناءً جميلاً.[٢]

وقد اهتمت هذه المدرسة أيضاً بإجراء اختبارات أسبوعية، كانت بمثابة أبحاث علمية تطبيقية لما تمت دراسته من قبل الطلاب، فيقوم مديرو المدرسة بإعداد أسئلة في مختلف الفنون، وعلى الطالب أن يقدّم أجوبته عليها في نهاية الأسبوع الثاني تحريرياً مع ذكر الأسانيد والكتب التي تمّ الرجوع إليها في كل قول أو رأي. وكل ذلك "تمريناً لما يحصّلونه من المسائل والأحكام.[٣]

واللافت في هذه المدرسة، أنها على الرغم من توسّعها في المواد التدريسية، بقيت متمسكة بالمنهاج التقليدي وسيطر عليها بوضوح النفس المحافظ، فلم تتأثر بالحركات الإصلاحية التعليمية التي بدأت تشقّ طريقها في أغلب المراكز مجاراة لروح العصر واحتياجاته. فلم نقع في منهاجها على ما يشير إلى اهتمامها بعلوم الحساب أو التاريخ أو الجغرافيا أو في تدريس اللغة التركية على الأقل وهي اللغة الرسمية للدولة. علماً بأن قيامها قد تأخر زمنياً عن الكثير من المدارس الإسلامية التي استفادت من هذه الحركة التغييرية كمدرسة حسين الجسر مثلاً.

مكاتب ابتدائية :

١- مكتب التهذيبية:

نشأ هذا المكتب بهمّة مجلس المعارف ورعايته سنة ١٣١٢هـ-١٨٩٤م وجرى افتتاحه بالأسكلة بحضور المفتي ومجلس المعارف وأعيان الأسكلة.[٤] وقد عيّن للمكتب

---

[١] طرابلس الشام، عدد ١٣٦، ٧ رجب ١٣١٣هـ، الموافق ٢٣ كانون سنة ١٨٩٥م، ص:٣.

[٢] م.ن.، عدد ١٧١، ٢٨ ربيع أول ١٣١٤هـ، الموافق ٧ أيلول ١٨٩٦م، ص:٣.

[٣] م.ن.

[٤] أسكلة: وهي في الأصل كلمة إيطالية من (Scala) دخلت التركية بصيغة أسكلة وتعني الميناء أو رصيف ومرسى الميناء، وتطلق في التركية والعربية أيضا على (السقالة) التي يقف عليها البناؤون. كما -(يتبع)

المذكور مدير ومعلم أول هو العالم الأديب الشيخ محمود الحج ومعلم ثان هو الشيخ محمد المصري والكاتب الأديب احمد كبّارة لتعليم حسن الخط والحساب.[١] وقد دأب المكتب على إجراء احتفال سنوي في نهاية العام الدراسي لتوزيع الجوائز على تلاميذ المكتب.[٢]

٢- مدرسة الإناث:

أنشأتها شعبة المعارف قبل عام ١٣١١هـ-١٨٩٤م. وكانت الطالبات تتلقين فيها القران الكريم قراءة وحفظا و العقائد الدينية وطرفا" من العلوم الأدبية[٣] بالإضافة إلى بعض الأشغال اليدوية.[٤]

٣- مكتب الكورة:

ومن المكاتب الإبتدائية المتأخرة التي أنشأتها السلطنة في عام ١٣١٤هـ-١٨٩٧م المكتب الذي افتتح في قرية عفصديق التابعة لقضاء الكورة ليستفيد منه أبناء جبل لبنان من المسلمين. وقد تبرّع مصطفى اسعد الأيوبي بقطعة الأرض التي بني عليها المكتب . وعيّن الشيخ صالح رضا معلماً أولاً لهذا المكتب.[٥]

-تطلق على رصيف الميناء البحري ثم توسع فيها فأطلقت على الميناء نفسه. راجع: حسان حلاق، أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني، ط١، بيروت، المركز الإسلامي للإعلام والإنماء، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص:٥٢.

[١] طرابلس الشام، عدد ١٧١، ٢٨ ربيع أول ١٣١٤هـ، الموافق ٧ أيلول ١٨٩٦م، ص:٣.

[٢] م.ن.، عدد ٢٦٥، ٢٢ صفر الخير ١٣١٦هـ، الموافق ١١ تموز ١٨٩٨م، ص:٢.

[٣] م.ن.، عدد ٥٠، ٢٦ شعبان ١٣١١هـ، الموافق ٢٦ شباط ١٨٩٤م، ص:٢.

[٤] كان من ضمن الأشغال اليدوية للطالبات في هذا المكتب: القناوشة والتنته من جميع أنواع الأزياء الدارجة الرائجة في البلاد؛ راجع:م.ن.،عدد٩٨،١٦ شعبان ١٣١٢هـ، الموافق ١١ شباط ١٨٩٥م، ص:٢.

[٥] م.ن.، عدد ١٩٩، ٢٥ شوال ١٣١٤هـ، الموافق ٢٩اذار ١٨٩٧م، ص:٣.

التعليم في صيدا :

لمحة عن بدايات التعليم عند مسلمي صيدا:

لم تكن بدايات التعليم عند مسلمي إيالة* صيدا –كما وردت التسمية في الوثائق–[1] في أوائل القرن التاسع عشر، مختلفة عمّا كانت عليه لدى مسلمي بيروت وسائر المدن الإسلامية، إذ كان التعليم الديني التقليدي الموكول إلى زعماء الطوائف المختلفة لا يزال هو المسيطر. و لم يكن للدولة أي دور فاعل في المجال التعليمي حتى الربع الأخير من القرن الماضي عندما أنشأت السلطات العثمانية المدرسة الرشدية.

وكانت المرحلة الأولى من التعليم تتمثل بالكتاب أو المكتب القائم على شيخه يتلقى الطلاب عليه مبادئ القراءة والكتابة والعربية ومبادئ الحساب والقرآن الكريم. ويذكر أحمد سراج الدين أنه لدى انتهاء الطالب من هذه الدراسة يلتحق– إذا سمحت له ظروفه– بفرع التعليم العالي أي "المدرسة" حيث يلتزم الطلاب بأنظمة ومواعيد محددة، كما يخضعون لامتحانات مستمرة، و يقوم العلماء بتلقينهم مواداً أكثر وأرقى من الكتاب وهي: علم النحو والصرف وعلم الهيئات وعلم الكلام والحديث والتشريع الإسلامي وعلم التفسير. وكانت أكثر هذه العلوم تدرّس بالعربية مضافا" إليها في بعض الأحيان اللغة الفارسية.[2] وكان الأجر في كتاب صيدا في أواخر القرن التاسع عشر بشليكا" واحدا" أسبوعيا" عن كل تلميذ.[3]

---

*إيالة وتعني: إقليم أو مقاطعة؛ وقد وردت في قاموس أوكسفورد كما يلي: Eyalat. Province. راجع:
H.C. HONY and FAHIRIZ, A.D. ALDERSON and FAHIRIZ, The Oxford Turkish -English Dictionary, 3Edition, OXFORD CLARENDON Press, 1984 p.171

[1] راجع الوثيقة رقم –٢– المرفقة في نهاية هذا الفصل.

[2] أحمد سراج الدين، "الحركة التربوية وتطورها في سوريا ولبنان خلال القرن التاسع عشر"، الأبحاث، مج٤، ج٣، أيلول ١٩٥١، ص:٣٢٢.

[3] الاتحاد العثماني، عدد ٤٦٤، ١٩ ربيع أول ١٣٢٨هـ، الموافق ٣٠ آذار ١٩١٠م، ص:٣.

وهكذا نجد أن المؤسسات التعليمية التي كانت سائدة في المنطقة، مع بدء القرن التاسع عشر، كانت مؤسسات للتعليم الديني التقليدي سواء في المؤسسات الابتدائية التي كانت تعرف "بالكتاب" أو في النوع الآخر أي مؤسسات التعليم العالي التي عرفت باسم المدارس.

المبادرة الرسمية:

١- المدرسة الرشدية:

على الرغم من تأخر السلطات الرسمية في الاهتمام بالتعليم، إلا أن أولى المبادرات لإقامة مراكز تعليمية في صيدا، كانت من قبل السلطنة العثمانية التي أنشأت المدرسة الرشدية، حوالي عام ١٨٧٣م.[١] وما لبثت هذه المدرسة أن لعبت دورها في الحياة التربوية، إذ كانت المدرسة الحديثة الأولى في المدينة. وكانت تعنى بتدريس المواد التالية: اللغات العربية والتركية والفارسية، والحسابات البسيطة والجبرية، وفنون الفقه، والجغرافيا والتاريخ والهندسة.[٢] وقد تخرجت الدفعة الأولى من طلاب المدرسة الرشدية عام ١٨٧٧م كما ذكر ذلك في "الثمرات" التي تقول عن هؤلاء الخريجين: "منهم من دخل (المكتب الإعدادي الشاهاني) في دمشق الشام،.....ومنهم من أكملوا خدمتهم ....وسيتوجهون إلى الآستانة قريبا".[٣]

وقد بلغ عدد طلاب المدرسة عام ١٨٧٨م سبعة وسبعين تلميذاً، كانوا موضع عناية من المسؤولين والأهالي الذين كانوا يحرصون على المشاركة والحضور في كل نشاطات المدرسة ومناسباتها، وبخاصة تلك الاحتفالات التي كانت تجري في نهاية العام لتوزيع الشهادات على الخريجين.

---

[١] أحمد عارف الزين، تاريخ صيدا، صيدا، مطبعة العرفان، ١٣٣١هـ -١٩١٢م،ص:١٢١.

[٢] ثمرات الفنون، عدد ١١،١٦٧ رجب ١٢٩٥هـ، الموافق ١١تموز ١٨٧٨م، ص:٤.

[٣] م.ن.

وقد كان للمدرسة الرشدية أثر ظاهر في المساهمة بمدّ المؤسسات المختلفة بالعناصر المتعلمة، حيث توزع خريجوها سنوياً بين المدرسة الحربية في إستانبول، أو المصالح الأميرية، أو ممارسة التجارة وغير ذلك.

وتقول ثمرات الفنون في معرض حديثها عن نجاح "رشدية صيدا" :"...وقد ازداد هذا المكتب كمالاً وحسناً بهمّة معلمه الأول جناب العالم الفاضل محمد أمين أفندي ومعلمه الثاني مودنلو شهاب الدين أفندي المشهورين بالفضل والمعارف وحسن الإدارة والترتيب والاهتمام بمصالح التلامذة وتهذيبهم."[1]

٢- نمونة[2] رشدي:

بيد أن حالة المدرسة الرشدية وما شهدته من تطور ورقي ، بدأت بالتعثر والتراجع، بسبب قصور المسؤولين عن متابعة الاهتمام بها ومدّها بأسباب النجاح. وفي عام ١٩٠٩م حاول ناظرها نائل بك أن يقيل عثرتها وينقذها من الإهمال ويرقى بها إلى مدرسة من الدرجة الأولى فأطلق عليها اسم "نمونة ترقي" أي الرشدية النموذجية، وراح يسعى جاهداً مع فائق بك مدير المعارف السابق، من أجل توفير المساعدات اللازمة لها. وبالفعل فقد نجح الناظر في الحصول على موافقة الدولة بتعيين ثلاثة معلمين للمدرسة بصفة دائمة، وأربعة سيّارين لتعليم القرآن الكريم واللغة الفرنسية والألعاب الرياضية والرسم والخط. كما اؤليت اللغة التركية عناية كبيرة كونها اللغة الرسمية للدولة. وكان عدد تلاميذها في ذلك الحين اثنين وسبعين تلميذاً، ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات، حيث يدرس الطلاب في الصف المبتدئ العلوم الدينية والعربية والتركية والفرنسية والحساب والجغرافيا وحسن الخط، أما طلاب الصفين المنتهيين فكانوا يدرسون إضافة إلى ذلك، الهندسة والمعلومات الفنية والمدنية والرسم.[3]

---

[1] ثمرات الفنون، عدد ١١،١٦٧ رجب ١٢٩٥هـ، الموافق ١١ تموز ١٨٧٨م، ص:٤٤ م.ن.، عدد٢٩٣ ٣رمضان ١٢٩٧هـ، الموافق ٩ آب ١٨٨٠م، ص١٠.

[2] وتعني الرشدية النموذجية.راجع ص ٤٩، هامش ٤.

[3] أحمد عارف الزين، تاريخ صيدا، ص:١٢٢.

إلا أنه وبعد مرور عام واحد على هذه المحاولات والجهود التي بذلها الناظر ومدير المعارف للرقي بمستوى المدرسة الرشدية عادت لتعاني أزمة الإهمال من جديد، وبدأ الطلاب ينفضون عنها، كما ابتدأ القلق يساور الأهلين على مستقبل أبنائهم. ويقول الدكتور طلال المجذوب في هذا الصدد، إنه في سنة ١٩١٠ قدم الأهالي شكوى إلى مدير معارف الولاية من النقص في الهيئة التعليمية في المدرسة مما تسبّب في تأخير افتتاحها لذلك العام، كما حذروا السلطات من أن إهمال المدرسة والتباطؤ في تعيين المعلمين يجعل التلاميذ يتركونها إلى المدارس الأجنبية.[١] وقد تذبذب عدد طلاب المدرسة الرشدية ومعلميها خلال فترة أربعين سنة من عمرها (١٨٧٣-١٩١٤)، فبينما كانت تشهد إقبالاً جيداً من الطلاب في بدايات عهدها حيث ازداد العدد من تسعة عشر طالباً بعيد الافتتاح عام ١٨٧٤م إلى حوالي خمسة وثمانين طالباً عام ١٨٨٨م، عاد ليتراجع إلى واحد وأربعين عام ١٨٨٩م، ثم تصاعد مرة أخرى إلى اثنين وتسعين عام ١٩١٢م.[٢] وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على ما كانت تواجهه هذه المدرسة من صعوبات خلال عمرها التعليمي.

وكما تشير "ثمرات الفنون"، فإن المدرسة الرشدية في صيداء، وإبّان عهديها القديم والجديد، وعلى الرغم مما شهدته من رقي وتراجع، بقيت وحتى نهاية القرن التاسع عشر، الظاهرة الوحيدة التي أدّت مهمتها في تأمين التعليم للمرحلة الرشدية، حيث كان على الراغبين من أبناء صيدا بمتابعة تحصيلهم العلمي، أن ينتقلوا إلى بيروت أو دمشق أو استانبول أو إلى مكان آخر كمصر مثلا" نظراً لعدم توفر مراكز تعليمية أعلى.[٣]

---

[١] طلال ماجد المجذوب، تاريخ صيدا الاجتماعي،١٨٤٠-١٩١٤، (تقديم نقولا زيادة)، بيروت. المكتبة العصرية، ١٩٨٣، ص:٢٢٩.

[٢] م.ن.، ص:٣١٠؛ أحمد عارف الزين، تاريخ صيدا، ص:١٢٢.

[٣] ويؤكد قولنا أنه في سنة ١٩١١ تخرج من المكتب السلطاني في بيروت اثنا عشر طالبا كان من بينهم محمد القواص من صيدا.راجع الاتحاد العثماني، عدد ٨٥٦، ١٤ رجب ١٣٢٩هـ، الموافق ١١ تموز ١٩١١م، ص:٣.

أما موقع المدرسة فكان بداية في بناية مستأجرة داخل صيدا فوق مركز الجمارك، ثم نقلت إلى سراي سليمان باشا المعروفة "بالخستة خانة" أمام الجامع العمري الكبير بعد أن أمر الوالي مدحت باشا ببيع المكتب الرشدي القديم وإعادة تعمير السراي وتخصيص جزء من المبنى للمدرسة الرشدية.[١] وقد جرى إصلاح المدرسة بعد ذلك سنة ١٩٠٣ عندما أنفقت البلدية عليها أربعة آلاف قرش ونيّف.[٢] وقد أغلقت المدرسة أبوابها في الحرب العالمية الأولى، وفي عهد الاستقلال تحولت الى الحكومة اللبنانية وأصبح اسمها اليوم مدرسة صيدا التكميلية للصبيان.[٣]

وقد أدت مرحلة التعليم الرشدي دورها في تشكيل نواة حركة تعليمية عند المسلمين، كان لابد من تعميمها وتكريسها، من خلال إفساح المجال ليكون التعليم متاحاً أمام الجميع. ولما كانت المدرسة الرشدية لا تقبل الأطفال المبتدئين، كان واجباً إيجاد مدارس ابتدائية تقوم بهذه المهمة، وهذا ما أخذه الأهالي على عاتقهم فبادروا إلى إنشاء مدارس ابتدائية أهلية تفوق الكتاتيب إتقاناً وتنظيماً.

المبادرة الأهلية المنظمة (المؤسساتية):

جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية- صيدا:

إن ظروف إنشاء جمعية المقاصد في صيدا وأسبابها وأهدافها، تكاد تكون هي نفسها التي أملت تأسيس "المقاصد" في بيروت. وتلخصها آسيا البساط برغبة جامحة غير محددة، للنهوض بالطائفة الإسلامية، ونتيجة ردود الفعل على واقع المدارس الرشدية آنذاك، ولحاجة أبناء وبنات المسلمين لتلقي العلم في المدارس المسيحية. وحين تأسست الجمعية

---

[١] ثمرات الفنون، عدد ١٦٧، ١١ رجب ١٢٩٥هـ، الموافق ١١ تموز ١٨٧٨م، ص:٤؛ وعدد ٢٦٦، ٢ صفر الخير ١٢٩٧هـ، الموافق٢شباط ١٨٨٠م، ص:٤.

[٢] الإقبال، عدد ٦١، ١٨ رمضان ١٣٢١هـ، الموافق ٢٤ تشرين الثاني ١٩٠٣م، ص:٥.

[٣] منير الخوري، صيدا عبر حقب التاريخ من ٢٨٠٠ قبل الميلاد الى ١٩٦٦، بيروت، المكتب التجاري، ١٩٦٦، ص:٣٧١.

كانت تراود أذهان المؤسسين جملة مطامح ورغبات بدءاً من منطلق عريض هو النهوض بالطائفة الإسلامية وذلك عن طريق افتتاح المدارس والمعاهد العلمية.[1] وفي هذا المجال يقول سليم سلام (أبو علي) في ما كان يقصته عن جهاد الأحرار العرب للتحرر من الأتراك: "إن جمعية بيروت هي التي حثت الصيداويين على إنشاء فرع لها في مدينتهم وإن وراء المؤسسين في المدينتين كانت فكرة عربية إذ إن وطأة الحكم التركي كانت قد اشتدت على العرب وأخذ هؤلاء يشعرون بوجوب رفع الكابوس عنهم وهو الكابوس الذي كان يحتقرهم ويظلمهم ويثير البغضاء بين طوائفهم."[2] هذا بالإضافة إلى تردي الأوضاع لدى مسلمي صيدا على كافة الصعد وغياب المدرسة اللائقة لأبنائهم. فبعد الحركة الرائدة لأهل بيروت بتأسيسهم جمعية "المقاصد" إشتد أزر مسلمي صيدا ليسيروا سيرهم، وقد كان التواصل والتلاقي قائمين بين أهالي المدينتين، وكانوا يتحادثون ويتناقشون بما هي عليه حال المسلمين في كل من بيروت وصيدا. وبعد عام على تأسيس ونجاح "المقاصد" في بيروت ثارت حميّة واندفاع أهالي صيدا لإنشاء جمعية تعنى بأمور المسلمين وتعليمهم على غرار جمعية بيروت.[3]

مرحلة التأسيس:

تأسست جمعية المقاصد في صيدا بتاريخ ١٦ ربيع الثاني ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م. وقد جاء في بيانها الأول: "إنه بعد الاتكال على الله سبحانه وتعالى والاستمداد من فيوض روحانية صاحب الرسالة العظمى عليه الصلاة والسلام قد تعاهد واتفق كل من الموقعين فيه على أن يكون كل منهم عضواً واحداً متناصرين لمنافع الوطن العمومي والذبّ عن

---

[1] آسيا البساط، جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في صيدا، "النشؤ والتطور"، رسالة أعدّت لنيل شهادة الماجستير في الجامعة اللبنانية عام ١٩٨١، ص:١١١.

[2] أوراق لبنانية، مج ١، ج٤، ١٩٥٥، ص:١٨٤.

[3] ولعلّ الفضل الأكبر في إنشاء الجمعية يعود إلى شاب من آل الصلح هو محمود منح الصلح الذي كان على صلة طيبة ببعض الشباب البيروتيين. فنقل إلى إخوانه وأصدقائه في صيدا فكرة وجوب تأسيس الجمعية. راجع: م.ن.

مضاره بكل إقدام بما في الوسع والإمكان والله المستعان."[١] وقد وقع هذه الوثيقة –المعاهدة كل من الأعضاء التالية أسماؤهم ومناصبهم في الجمعية: محمد فريد خورشيد (رئيساً)، محمد كامل المغربي (نائباً للرئيس)، وعبد الله لطفي، محمد محي الدين حشيشو، ناصيف الأسعد، محمود منح الصلح، عمر نحولي، محمد منيب الصلح، عبد السلام زنتوت، محمد عبد الهادي زنتوت، محمد النعماني، محي الدين الجوهري، حسن الجوهري، عبد اللطيف لطفي (أعضاءً).[٢]

والملاحظ أن من بين الخمسة عشر مؤسساً لهذه الجمعية، كان هناك عضو شيعي واحد هو ناصيف الأسعد، فيما ينتمي الأعضاء الباقون إلى الطائفة السنية.[٣] وقد بنت هذه الجمعية ثمانية دكاكين وأربعة مخازن وخاناً واحداً وقهوة سمّيت (القهوة الخيرية)، وذلك في محلة الفاخورة القديمة، وكل ذلك مما جمعته من تبرعات. وكانت واردات الجمعية بالإضافة إلى التبرعات من استثمارات أبنيتها.[٤]

أعمال الجمعية:

١- المكتب الخيري للذكور:

كان العمل الأول للجمعية بعد مضي أقل من شهر على تأسيسها، هو افتتاحها للمكتب الخيري للذكور، في ١٥ جمادى الأولى ١٢٩٦هـ/١٨٧٩. ويقول الشيخ أحمد عارف الزين أنه كان في هذا المكتب أربعة معلمين واجتمع فيه مایة وخمسون طالباً. أما موضع هذا المكتب فكان في محلة (ظهر المير) لجهة البحر في مكان فسيح الساحة حسن

---

[١] أحمد عارف الزين، تاريخ صيدا، ص:١١٠. أوراق لبنانية، مج ١، ج٤، ١٩٥٥، ص:١٨٤-١٨٥.

[٢] أوراق لبنانية، مج ١، ج٤، ١٩٥٥، ص:١٨٤-١٨٥.

[٣] أحمد عارف الزين، تاريخ صيدا، ص:١١١.

[٤] م.ن.

البناء جيّد الموقع.[١]واستمرّت هذه المدرسة بنجاحها وحازت رضا المسؤولين ودعم الأهالي في صيدا الذين كانوا يتابعون نشاطاتها بالأمل والرجاء.[٢]

٢- المكتب الخيري للإناث:

وبعد حوالي سنة على قيام مكتب الذكور، أنشأت الجمعية مدرسة للبنات، على مبدأ مساواة الفتيات بالفتية في مجال التعليم. وكان افتتاح هذه المدرسة في الأول من محرم ١٢٩٨هـ- ١٨٨٠م، في محلة بوابة الشاكرية.[٣]

تحوّل المقاصد إلى شعبة المعارف:

أصدرت السلطات العثمانية في شهر محرّم سنة ١٣٠٠هـ-١٨٨٢م، قراراً قضى بإلغاء جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في صيدا، وإلحاق جميع مؤسساتها ومدارسها بمجلس المعارف الخاص بمدينة صيدا، الذي صار مسؤولاً مباشرة عن المدارس الرسمية والخاصة (الإسلامية) في المدينة.[٤] ونظرا لأن معظم أعضاء مجلس المعارف كانوا

---

[١] أحمد عارف الزين، تاريخ صيدا، ص:١١١. وعن هذا الأمر أيضا، تخبرنا ثمرات الفنون فتقول: "أخبرنا أن شعبة جمعية المقاصد الخيرية في صيدا توقفت لفتح مدرسة للذكور وقررت فتح مدرسة للإناث." راجع: ثمرات الفنون، عدد٢٣١، ٣١ جمادى الثانية ١٢٩٦هـ، الموافق ٢حزيران ١٨٧٩م، ص:١.

[٢] جاء في ثمرات الفنون: "جاءنا رسالة من أحد الأفاضل مؤداها أنه قد زار أثناء ذهابه صيدا مكتبها الخيري للذكور وصادف وقت الامتحان فرأى من نجابة التلامذة وسرعة أجوبتهم مع حسن أداء الألفاظ بالعلوم والفنون التي تلقوها ما يسرّ الخاطر ويشرح الصدر." راجع:م.ن.، عدد١٣٤١، ٢٠ ربيع الاخر ١٣١٩هـ، الموافق ٥ آب١٩٠١م، ص:٥.

[٣] أسيا البساط، جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في صيدا، ص:١١١. (عن برنامج جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في مدينة صيدا). وقد زرنا مركز الجمعية في صيدا طلبا لبرنامج الجمعية، فأخبرنا السيد محمد أبو مرعي، رئيس الدائرة الإدارية في الجمعية، أن قسما كبيرا من أرشيف ووثائق الجمعية قد فقد أثناء الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان عام ١٩٨٢ وبرنامج الجمعية من ضمنها. مقابلة مع السيد محمد أبو مرعي، صيدا، ٥ شباط ١٩٩٦.

[٤] تشكلت أول شعبة مجلس معارف في صيدا من السادة: محمد كامل المغربي رئيسا، وكل من :إبراهيم القطب، علي البزري، عبد السلام زنتوت، عثمان البزري، محمد زنتوت، محي الدين الجوهري، حسين الجوهري، عبد الله لطفي، عمر نحولي، محمد النعماني، محمد أبو ظهر، عبد اللطيف لطفي، أعضاء. راجع: طلال المجذوب، تاريخ صيدا الاجتماعي، ص: ٣١٢.

مقاصديين فإنهم سعوا إلى تأدية رسالتهم التي أوكلها إليهم القانون هذه المرة. وقد استمرت مسيرتهم التعليمية في تطور حتى يومنا هذا.

ويتضح لنا، أن قرار إلغاء "المقاصد" من قبل السلطات العثمانية كان يستهدف الجمعية كإطار لتجمع فكري اجتماعي وربما سياسي، وليس كإطار تربوي تعليمي، بدليل بقاء المؤسسات التعليمية قائمة والسماح بفتح المزيد منها. وإن التغيير الوحيد الذي حصل بقرار الإلغاء كان إحلال مجلس المعارف (التابع إدارياً للدولة) محل جمعية المقاصد لإدارة مدارسها، مع العلم أن المجلس تشكل من وجهاء صيدا ومن العائلات المعروفة فيها، الذين كان معظمهم أفراد الهيئة التأسيسية والإدارية للمقاصد. وهذا ما يثبت أن هدف السلطات كان إلغاء استقلالية الجمعية وإخضاع حركة المقاصد وإطارها للدولة، لتكون تحت الرقابة المباشرة، دونما التعرض لدورها التعليمي.

إنجازات مجلس المعارف:

١- **مكتب الشمعون:**[١] تابعت شعبة مجلس المعارف في صيدا عملها، وفي ٢٦ ربيع الأول عام ١٣١٧هـ/١٨٩٩م، أتمّت افتتاح المدرسة الثالثة (بالإضافة إلى المكتب الخيري بقسميه الذكور والإناث) التي أطلق عليها اسم "مدرسة الشمعون" في محلة البساتين. وكانت تتألف من قسمين، واحد للذكور وآخر للإناث.[٢]

---

[١] أطلقت التسمية على هذا المكتب نسبة للمنطقة التي أقيم فيها. فقد جاء في "ثمرات الفنون": "كما أحتفل أيضاً بتأسيس مكتب جديد لتعليم الذكور والإناث العلوم في محلة الشمعون، وقد لفظ صاحب الفضيلة الموثوق بنزاهته ومحاسن أخلاقه نايب القضاء ووكيل القائمقامية فضيلتلو السيد محمد جميل أفندي خطابا." راجع: ثمرات الفنون، عدد ١٢٩٨، ١٦ جمادى الأولى ١٣١٨هـ، الموافق ١٠ أيلول ١٩٠٠م، ص:٦.

[٢] م.ن.، عدد ١٢٤٧، ٤ جمادى الأولى ١٣١٧هـ، الموافق ١١ أيلول ١٨٩٩م، ص:٥؛ أحمد عارف الزين، تاريخ صيدا، ص:١١٤. ذكرت صحيفة لسان الحال: "وكان من إنجازات شعبة المعارف أنه في سنة ١٨٩٩ أقيمت مدرسة للذكور في منطقة الشمعون وأخرى للإناث." راجع: لسان الحال، عدد ٣٢١٦، ٨ جمادى أولى ١٣١٧هـ، الموافق أول أيلول ١٨٩٩م، ص:١.

٢- المكتب الفيضي:

وكانت حاجة الأهالي إلى المزيد من المدارس كبيرة، كما كان تجاوب الشعبة مع هذه الحاجات مسألة مرهونة بالإمكانات، فكلما تيسّر للشعبة بعض القدرات المالية سارعت إلى استحداث المزيد من دور التعليم تماماً كما حصل عندما عملت على افتتاح المكتب الفيضي في ٢٣ ذي القعدة سنة ١٣١٨هـ-١٩٠٠م، لسدّ حاجات أبناء صيدا. وكان هذا المكتب يقع إلى جانب المكتب الخيري في محلة (ظهر المير) وكان يضم قسمين أيضاً واحداً للذكور وآخر للإناث.[١]

٣- المكتب المحمودي:

وكان تأسيس المكتب المحمودي في ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣١٩هـ-١٩٠١م،[٢] وهو بمحلة القناية قرب حارة صيدا، وكان هو أيضاً للذكور والإناث.[٣]

٤- مكتب الأطفال للذكور والإناث:

وفي السنة نفسها أي ١٣١٩هـ-١٩٠١م، تذاكر القائمقام وأعضاء شعبة المعارف في فتح مدرسة جديدة لتعليم الأحداث. وتذكر "ثمرات الفنون" إن محسناً من أبناء صيدا هو الحاج محمود إسماعيل البعاصيري، تبرّع بمحل مخصوص يشتمل على بعض الغرف وفسحة دار واقعة بمحلة (الدكرمان)، مع غرفة أمامه لتكون مكتباً لتعليم أبناء الفقراء من المسلمين. وعلاوة على ذلك فقد أقرض الحاج البعاصيري شعبة المعارف مبلغاً وقدره

---

[١] أحمد عارف الزين، تاريخ صيدا، ص:١١٤.

[٢] آسيا البساط، جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في صيدا، ص:١١٢.

[٣] أحمد عارف الزين، تاريخ صيدا،ة ص:١١٤. ذكرت ثمرات الفنون، انه في احتفال أقيم في ٢٠ آب سنة ١٩٠١ في ذكرى صعود عبد الحميد الثاني إلى العرش افتتح القائمقام عبد اللطيف أفندي المكتب العلمي الذي شيّد مجدداً لتعليم الأطفال ذكوراً وإناثاً في موقع لطيف على شاطئ البحر ووسم بالاسم (الحميدي) الكريم. ثمرات الفنون، عدد ١٣٤٦، ٢٥ جمادى أولى ١٣١٩هـ، الموافق١٩ أيلول ١٩٠١م، ص:٦.

خمسة آلاف قرش، للاستعانة به، وقد تسلمت الشعبة الدار وافتتحت فيها المدرسة وعيّن محمود أفندي معلماً فيها.[١]

ويقول الشيخ الزين إن هذه المكاتب كانت تضمّ في صفوفها مجتمعة ستماية وثمانية عشر تلميذاً و خمسماية واثنتين وثلاثين تلميذة، وكان عدد المعلمين فيها سبعة عشر معلماً وثماني عشرة معلمة وستة بوابين، وكان مدير مكتب الذكور سعيد أفندي سنو بينما كان لمكاتب الإناث مفتش هو كامل أفندي المغربي من علماء صيدا وممن واكبوا أعمال الجمعية منذ نشأتها.[٢] أما موارد الجمعية فكانت مما اجتمع لديها من تبرعات المحسنين الذين كانوا يقدمون مساعداتهم المالية لها، كما كانت الجمعية توافيهم بكتب الشكر والامتنان لحثهم على مواصلة هذه الإعانات.[٣]

المواد التعليمية:

المواد التعليمية في مدارس جمعية المقاصد، كانت على الشكل التالي:

القرآن الكريم والتجويد والعلوم الدينية والصرف والنحو والأخلاق والحساب وحسن الخط والإملاء ومبادئ الجغرافيا والتاريخ. ويقول الشيخ الزين إنه كان هناك معلم من قبل الحكومة التركية يعلم اللغة التركية. وكانت الفتيات في مدارسهن يتعلمن المواد السابقة نفسها التي كان يتعلمها الذكور ما عدا الرياضة فقد كنّ يتعلمن بدلاً منها التطريز والأشغال اليدوية . أما الكتب التي كان الطلاب يدرسون فيها فكانت في غالبيتها قد طبعت في صيدا على نفقة أحد أبنائها وهو عبد الرحمن أفندي الأنصاري، وقد نسقها بعض أساتذة المكتب.[٤]

---

[١] م.ن.، عدد ١٣٥٣، ١٥ رجب الفرد ١٣١٩هـ، الموافق ٢٨ تشرين أول ١٩٠١م، ص:٦.

[٢] أحمد عارف الزين، تاريخ صيدا، ص:١١٤.

[٣] بدأت الجمعية عملها كما ذكرنا، معتمدة على ما اجتمع لديها من هبات ومساعدات. فبنت بعض الدكاكين والمخازن لاستثمارها. وفيما بعد اعتمدت الجمعية بشكل أساسي على واردات ممتلكاتها لدعم موازنتها وتغطية أعبائها المالية. راجع: م.ن.، ص:١١١-١١٢-١١٣-١١٤. راجع أيضاً: الوثيقتين رقم ٣و٤ المرفقتين في نهاية هذا البحث.

[٤] أحمد عارف الزين، تاريخ صيدا، ص:١١١.

وقد اهتمت هذه المدارس أيضاً بالنشاطات الرياضية التي أصبح لها نصيب وافر من ضمن برامج المدرسة اللامنهجية.[١]

وكانت الحكومة العثمانية تعتبر شهادة مكاتب المقاصد بمثابة شهادة مكاتبها الابتدائية.[٢] لذلك كان طلاب هذه المكاتب يحوزون على شهادات تخولهم الدخول إلى المدارس الرشدية دون أي امتحان دخول.[٣]

ويقول الشيخ أحمد عارف الزين :"إن التعليم في مدارس هذه الجمعية كان على درجة رفيعة من الرقي. ولو تيسّر لهذه المدارس أساتذة مهرة ملمّين بكيفية التعليم الحديث لبلغت منزلة عالية."[٤]

كما يقول الأستاذ محمد كاظم مكي "إن مدارس جمعية المقاصد في صيدا اتسعت وأدت لجبل عامل خدمات جليلة في العلم".[٥]

وهكذا استطاعت جمعية المقاصد سواء في مرحلتها الأولى، أو بعد أن حلت وتحولت إلى شعبة معارف، أن تنشئ عدداً من المعاهد التعليمية للبنين والبنات، لتقدّم خدماتها بالمجان. علماً بأن هذه المعاهد بقيت في مراحلها الابتدائية بسبب اقتصار علومها على المبادىء الأساسية التي تعادل الأقسام الأولى من المرحلة الابتدائية في أيامنا هذه.

دور مدحت باشا:

إن الدور الإيجابي الذي لعبه مدحت باشا في دعم العلم والتعليم في بيروت، وكما مرّ معنا، إمتدّ أيضاً إلى مقاصد صيدا، حيث كان للرجل أياد بيضاء على هذه الجمعية، كان منها أن

---

[١] م.ن.، ص١١٤.

[٢] م.ن.

[٣] آسيا البساط، جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في صيدا، ص:١١٣.

[٤] أحمد عارف الزين، تاريخ صيدا، ص:١١٥.

[٥] محمد كاظم مكي، الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل، ط٤، بيروت، دار الأندلس، ١٩٦٣، ص:٢٠٠.

منحها محلاً أميرياً لتجعل منه مدرسة ابتدائية. وقد تبرّع يونس أفندي المجذوب بتعمير مدرسة للإناث ضمن المكان المذكور.[١]

كما كان لمدحت باشا الكثير من المساهمات المادية والمعنوية، التي قدّمها لحقل التربية والتعليم و"للمقاصد" و"شعبة المعارف" على حدّ سواء.[٢]

مدارس مهنية متأخرة:

إلى جانب اهتمام شعبة المعارف في صيدا، بإنشاء المدارس التقليدية، التي تقدّم العلوم المختلفة والنظرية، والتي استمرت حتى السنوات الأولى من القرن الحالي، فقد اهتمت الشعبة أيضاً بإقامة مدارس مهنية، لتعليم بعض الحرف البسيطة، ولكن كان أكثرها موجهاً للإناث. ففي سنة ١٩٠٣ أنشئت مدرسة لحياكة المنسوجات الوطنية "الصايات" (ديما وحرير)، وتألفت من غرفتين تضمان خمسة أنوال. وكان محلها في صيدا القديمة في مكان مشرف على البحر، جنوب الجامع العمري الكبير.[٣] وجرى افتتاحها في ذكرى مولد السلطان عبد الحميد الثاني بحضور القائمقام وأعضاء شعبة المعارف، وقد تفقد الحضور المدرسة، وخلال ذلك أنجز طلابها حياكة قطعة من قماش نالت إعجاب الحاضرين.[٤]

وفي السنة نفسها، أي ١٩٠٣، إفتتحت شعبة المعارف مدرسة خياطة للإناث مع مشغل للتدريب (مشغل سجاد) كان يجري التدريس والتدريب فيه على الطريقة العصرية.[٥]

---

[١] ثمرات الفنون، عدد ٢٨٨ رجب الفرد ١٢٩٧هـ، الموافق ٥ تموز ١٨٨٠م، ص:٤.

[٢] ذكرت ثمرات الفنون: "في مساء الخميس الماضي شرّف إلى بلدتنا حضرة صاحب الأبهة والدولة مدحت باشا والينا الأفخم... وبعد ذلك رغّب الشعبة وحثّها على السعي والاجتهاد ووعدها بالمساعدة ثم بعد ذلك أدّى صلاة الجمعة بالجمع العمري ودخل إلى سراي سليمان باشا وعاين محلاتها الخيرية فأمر ببيع المكتب الرشدي القديم وأن يصرف ثمنه في تعمير السراي المذكور وتقسم على المدرسة الرشدية وعلى الشعبة لتجعلها محلا لها ولمدرستها." راجع: م.ن.، عدد ٢٦٦، ٢ صفر الخير ١٢٩٧هـ، الموافق ٢ شباط ١٨٨٠ م، ص:٢.

[٣] الإقبال، عدد ٥٥، ٥ شعبان ١٣٢١هـ، الموافق ٢٦ تشرين الأول ١٩٠٣م، ص:٧.

[٤] ثمرات الفنون، عدد ١٤٥٦، ٢٦ شعبان ١٣٢١هـ، الموافق ١٦ تشرين الثاني ١٩٠٣م، ص:٤.

[٥] الإقبال، عدد ٥٥، ٥ شعبان ١٣٢١هـ، الموافق ٢٦ تشرين الأول ١٩٠٣م، ص:٧.

هذا ما كانت عليه حال التعليم في مدينة صيدا منذ مطلع القرن الماضي وحتى الربع الأول من القرن الحالي، والذي يظهر لنا بوضوح أن هذه المدينة، لم تنل حظها الوافي من انتشار الحركة التعليمية، على غرار ما شهدته بيروت أو طرابلس في تلك الفترة. وإن الدور الذي لعبته المدرسة الرشدية، كمبادرة رسمية من الدولة العثمانية، والنشاط الأهلي المتمثل بجمعية المقاصد وشعبة المعارف في هذا المجال، بقي دون الحاجة المطلوبة لأبناء صيدا، سواء من حيث توفر الفرص المؤاتية لمتابعة تحصيلهم العلمي ما فوق الرشدي، أو من حيث وجود مراكز تعليمية عصرية، كالتي أوجدتها مدارس الإرساليات أو بعض المدارس الإسلامية الأخرى في بيروت وغيرها من المناطق، تتولى تقديم العلوم الحديثة وغير التقليدية، وتنزع نحو تحقيق قفزة نوعية في مضامين المناهج المقررة والمواد المدرّسة، التي كانت قائمة أساساً على القرآن والعلوم الدينية. فبالرغم من أن جمعية المقاصد في صيدا قد عاصرت شقيقتها الكبرى "مقاصد بيروت" وشهدت محاولاتها التطويرية في إطار التعليم، إلا إنها لم تحاول إنشاء مدرسة عالية مثلاً على غرار "السلطانية" في بيروت، في وقت كان أبناء صيدا بأمسّ الحاجة إلى مثل هذه المدارس، حيث لم يكن في صيدا، وحتى بدايات القرن الحالي، تعليم فوق "الرشدية". ولعلّ السبب في ذلك- وكما تشير الدلالات- يعود إلى عدم استعداد "مقاصد صيدا" إلى التأثر بما كان يدور حولها تربوياً، إضافة إلى ما كان يسود منطقة صيدا، حسب موقعها الجغرافي وتأثرها بالمناخ الاجتماعي لجبل عامل، من جو محافظ، جعلها أقل قدرة على تلقف الحركات العصرية والأخذ بها وتطبيقها على شؤونها العامة والتربوية.

الفصل الثالث

التعليم عند الشيعة في لبنان

توطئة:

من المرجح، إن المسلمين الشيعة في الجنوب اللبناني، لم يعانوا كسائر المسلمين، أزمة تعليمية عامة في الفترة التي سبقت القرن الماضي. بل تجمع المراجع التي بين أيدينا[1] على نشاط الحركة التعليمية في جبل عامل منذ حقبات سابقة. وكان الطلاب يؤمون المدارس العاملية سعياً وراء التحصيل الديني كهدف رئيس. ويعود هذا الانتعاش العلمي لدى العامليين إلى "الرحلات العلمية" التي قام بها بعضهم إلى مراكز التعليم في الحواضر الشيعية المقدسة طلباً للعلم والثقافة منذ فترة طويلة. وعاد أصحاب هذه الرحلات، بعد أن نهلوا من منابع المعارف ومقاصد العلماء في كثير من البلاد الإسلامية، لينقلوا خبراتهم وعلومهم إلى أبناء وطنهم، فكان لهم دور بارز في شيوع الحركة الثقافية وانتشار مراكز التعليم، كما برّز منهم الكثيرون في مجالات العلوم الفقهية وفي ميادين الفكر والأدب والسياسة.

---

[1] -محسن الأمين، أعيان الشيعة ، تحقيق وإخراج ولده حسن الأمين، ط٥؛ بيروت، مطبعة الإنصاف، ١٩٦١.

-محسن الأمين، خطط جبل عامل، تحقيق وإخراج ولده حسن الأمين، بيروت، مطبعة الإنصاف، ١٩٦١.

-محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ط٢؛ بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٨١.

-محمد كاظم مكي، الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل، ط١؛ بيروت، دار الأندلس، ١٩٦٣.

-محمد بن الحسن (الحر العاملي)، أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل، ج١، تحقيق السيد أحمد الحسيني، الطبعة المحققة الأولى؛ النجف الأشرف، مطبعة الآداب، ١٣٨٥هـ.

-سعيد الصباح، "مراحل العلم في جبل عامل"، العرفان، مج٤٩، ج١٠، ١٣٨١هـ-١٩٦٢م.

أحمد رضا، "صحف تاريخية المتاولة أو الشيعة في جبل عامل"، العرفان، مج٢، ج٨، ١٣٢٨هـ-١٩١٠م.

-سليمان الظاهر، "جبل عامل صحيفة من تاريخه العلمي"، العرفان، مج٤، ج١، ١٣٣٠هـ-١٩١٢م.

وكان ممن قصد العراق لهذه الغاية، العلامة الكبير إسماعيل بن الحسين بن العودي الأسدي الحلي، م(٥٨٠هـ-١١٨٤م)،[١] الملقب بالجزّيني نسبة إلى بلدته جزّين، وقد اشتهر عنه حكمته وامتيازه في علوم الدين والحديث، حتى أضحت دارته مقصداً لطلاب العلم والمفكرين والمشتغلين بالفقه الإسلامي وأصوله.

ومنهم من تعدّى في ترحاله الحواضر الشيعية إلى مصر ودمشق وفلسطين، كما فعل "الشهيد الأول" محمد بن مكي[٢] (٧٣٤هـ-٧٨٦هـ) (١٣٢٤م-١٣٨٤م)، وهو ابن جزّين أيضاً. إنتقل إلى العراق ودرس في "الحلة"، ثم طاف في مكة والمدينة ودمشق والقدس ومصر، وعاد إلى مسقط رأسه ليفتح مدرسة فيها عام ٧٧١هـ-١٣٧٠م، وكان فقيهاً عالماً، صنف كتاباً في الفقه (اللمعة الدمشقية) الذي ما زال حتى اليوم من أمهات كتب التدريس في هذا المجال، كما كان أيضاً شاعراً وأديباً.وقد أطلق عليه اسم الشهيد الأول لأنه أول عالم قتل في سبيل الدين بعد أن تألب عليه الأعداء، فقبض عليه وسجن وقتل وصلب وحرقت جثته في عصر السلطان برقوق من ملوك دولة المماليك البرجية المصرية.[٣]

وترسّم خطاه أيضاً الشيخ زين الدين م(٩٦٥هـ-١٥٥٧م)، المعروف "بالشهيد الثاني"،[٤] الذي تولى التعليم في المدرسة "النورية" في بعلبك، كما ترك آثاراً علمية كثيرة. أما إيران، فقد شكل القرن العاشر الهجري، في عهد الدولة الصفوية، مجالاً واسعاً لبروز علوم الشيعة فيها، وقد توافد العامليون على بلاد فارس بكثرة، يعلّمون ويتعلمون، ومنهم الشيخ علي بن عبد العال الكركي م(٩٣٧هـ-١٥٣٠م) المعروف بالمحقق الثاني،[٥] الذي

---

[١] محسن لأمين، أعيان الشيعة، ج ٣، ص: ٣١٩.

[٢] سليمان الظاهر، "جبل عامل"، العرفان، مج ٣١، ج٣، ١٣٦١هـ-١٩٤٢م، ص:١٢٦.

[٣] علي مروة، تاريخ جباع ماضيها وحاضرها، ط١؛ بيروت، دار الأندلس، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م، ص:٣٢.

[٤] عباس القمّي، الكنى والألقاب، ج٢، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٥٦، ص:٣٤٦-٣٥١.

[٥] مير مصطفى التفرشي، نقد الرجال، طهران، ١٣١٨هـ، ص:٢٣٨؛ سليمان الظاهر، "جبل عامل"، العرفان، مج٣١،ج٣،، ١٣٦١هـ-١٩٤٢م، ص:١٢٧.

أسّس مدرسة الكرك[١]، وكذلك الشيخ محمد بن الحسين ، المعروف ببهاء الدين العاملي م(١٠٣١هـ-١٦٢٢م)،[٢] بالإضافة إلى عدد من العلماء العامليين الذين جمعوا إلى علمهم مآثر شعرية وأدبية مميزة.

وقد اتسع نطاق هذه الرحلات حتى وصلت إلى الهند وحيدر آباد التي قصدها الشيخ جمال الدين الموسوي العاملي م(١٠٠٨هـ-١٥٩٩م)،[٣] والشيخ محمد بن علي آل خاتون.[٤] هذه الحركة الدؤوبة سعياً وراء التفقه في الدين،والتزوّد في المعارف،التي تجشمها أبناء جبل عامل ردحاً طويلاً من الزمن، أثمرت حيوية علمية نشيطة في أغلب مناطق الجنوب، فكما في جزّين كذلك في ميس حيث أنشأ الشيخ علي بن عبد العال الميسي المعروف بالمحقق الأول م(٩٣٣هـ-١٥٢٦م) مدرسته، يضاف إليهما مدرسة شقرا التي أسّسها أبو الحسن موسى بن حيدر الحسيني العاملي م(١١٩٥هـ-١٧٨٠م)[٥].

وكانت هذه المدارس بأغلبها تعنى بالعلوم الدينية، ويدرّس فيها الفقه والأصول والحكمة الإشراقية والكلام والتوحيد والمنطق والفلسفة القديمة، بالإضافة إلى العلوم العربية كالنحو والصرف والبيان واللغة.[٦]

ولكن هذه المدارس كانت تمرّ بفترات ازدهار وانحطاط تبعاً للظروف السياسية والأمنية التي كانت تسود المنطقة آنذاك. فالدراسة كانت تتوقف تماماً أثناء الحروب، كما

---

[١] راجع بشأنها: محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص:٢٣٧.

[٢]عباس القمّي، الكنى والألقاب، ج ٢، ص:٩٠.

[٣] محمد بن الحسن (الحرّ العاملي)، أمل الأمل في تراجم علماء جبل عامل، ص:٤٦.

[٤] محمد جابر آل صفا، "صفحات من تاريخ جبل عامل"، العرفان، مج٢٨، ج٣، ١٣٥٨هـ-١٩٣٨م، ص:٢٢٥-٢٢٦.

[٥] راجع بشأن هذه المدارس: محمد جابر آل صفا، "صفحات من تاريخ جبل عامل"، العرفان، مج ٢٧، ج٦، ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م، ص: ٤٦٠-٤٦٥.

[٦]م.ن.، ص:٤٦٠.

حصل مثلاً عندما ثارت الفتن والأحداث بين زعماء جبل عامل وولاة الدولة، فنكل "الجزار" بمن قبض عليه من علماء جبل عامل وهاجر من سلم من القتل أو السجن، واستمر إغلاق هذه المدارس فترة طويلة امتدت إلى ما بعد موت الجزار عام ١٢١٩هـ-١٨٠٤م، حين عادت الحياة التعليمية إلى التململ واليقظة من جديد، وذلك مع بداية القرن التاسع عشر.[١]

<u>مرحلة التعليم الأهلي:</u> (اعتماد الشيعة على أنفسهم)

إنطلق شيعة جبل عامل تاريخياً في سعيهم من أجل إنشاء المدارس من عاملين دينيين اثنين: أما الأول فيتمثل بالنظرة الإسلامية للتعليم على أنه واجب وفريضة على المسلمين، وأما الثاني فواجب المحافظة على التشيّع وسط مجتمع متنوّع الطوائف والمذاهب. وتولدت لديهم قناعة بأن اعتماد التعليم هو الوسيلة الفضلى التي تسهم في بناء قاعدة شيعية[٢] متّصلة اتصالاً وثيقاً بجذور التعاليم والعقائد التي قام عليها مذهب التشيّع. وهم في سبيل تحقيق هذين الهدفين لم يجدوا بداً من الاعتماد على أنفسهم أولا وأخيراً.

ويتلخص سير العلم والتعليم في جبل عامل مع بداية القرن الماضي، باقتصاره على كتاتيب المشايخ لتعليم القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة والحساب، في المرحلة الأولى. وكان العامليون يعتمدون في تثقيف ناشئتهم في المرحلة اللاحقة على مدارس التعليم الأهلي الديني،[٣] الذي استمرّ طيلة القرن الماضي تقليدياً، حسبما ذكرت لنا المراجع وكما سيمر معنا، حيث لم تنشأ المدارس على المناهج الحديثة، إلا في أوائل القرن الحالي، على الرغم من المحاولات الحثيثة التي قام بها الإصلاحيون في جبل عامل بهدف تحديث المدارس وتطوير المناهج على النمط العصري.

---

[١] م.ن.، ص:٤٦٥.

[٢] مقابلة مع السيد حسن محسن الأمين، بيروت: ١٩٩٥/١١/٢٣.

[٣] محمد جابر آل صفا، "صفحات من تاريخ جبل عامل"، العرفان، مج٢٧، ج٥، ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م، ص:٣٨٧.

المدارس التي أنشئت في القرن التاسع عشر وأخبارها:

١- مدرسة الكوثرية:

أعقب موت الجزار، الذي أقلق جبل عامل ونكّل بأهله وقضى على وجوهه السياسية والعلمية، حقبة من الاستقرار والاطمئنان، إنسحبت على مجمل نواحي الحياة العامة للعامليين، وبشكل خاص على الحركة التعليمية التي شهدت يقظة جديدة تمثلت بقيام العديد من المدارس. ومن المرجح أن تكون "الكوثرية"، التي أنشئت في العقد الرابع من القرن الثالث عشر الهجري،[١] هي أول مدرسة تدرّس العلوم العربية والدينية وآداب اللغة، بعد فترة اضطهاد الجزار.[٢] أما منشئها فهو الشيخ حسن قبيسي م(١٢٥٨هـ-١٨٤٢م)[٣].

ويقول آل صفا إنه كان في جملة طلابها "حمد البيك نصّار" م(١٢٦٩هـ-١٨٥٢م)، - يبدو أنه توفي مبكراً كما نلاحظ من تاريخ وفاته التي أعقبت وفاة مؤسس المدرسة الكوثرية بسنوات قليلة- وقد كان من أعظم آل الصغير مقاماً وأوسعهم شهرة وأوفرهم علماً وفضلاً. وقد لعب دوراً كبيراً في مساعدة الأتراك لمحاربة المصريين وطردهم من فلسطين وجنوبي سوريا. فقدّر الأتراك دوره وولّوه قيادة الجيش الجنوبي،[٤] وأصبح بعد ذلك حاكماً لبلاد بشارة في تبنين (جبل عامل). كما كان أيضاً من طلاب مدرسة الكوثرية العالم اللغوي الشيخ علي السبيتي م(١٣٠٣هـ-١٨٨٣م)، وعلي إبراهيم الحسيني المفتي في جبل عامل م(١٢٦٠هـ-١٨٤٤م)، والشيخ عبد الله نعمه (مؤسّس مدرسة جبع) م(١٣٠٣هـ-١٨٨٣م)، ومحمد علي عز الدين (مؤسّس مدرسة حنويه) م(١٣٠١هـ-١٨٨٥م)، والشاعر علي بن ناصر بن زيدان م(١٢٨٩هـ-١٨٧٢م)، وغيرهم. وقد

---

[١] سليمان الظاهر، "أسماء قرى جبل عامل"، العرفان، مج ٨، ج١٠، ١٣٤١هـ-١٩٢٣م، ص:٧٦٣.

[٢] محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص:٢٣٣.

[٣] محسن الأمين، خطط جبل عامل، ج١، ص: ١٥١.

[٤] محمد جابر آل صفا، تريخ جبل عامل، ص:٥١-٥٢-٥٣-٥٤-٥٥.

استمرّت هذه المدرسة حتى سنة ١٢٥٨هـ-١٨٤٢م) تاريخ وفاة رئيسها العلامة حسن قبيسي، فانتهت حياتها بانتهاء حياة مؤسّسها.[١]

٢- **مدرسة جبع:**

إن التعليم في جبع قديم في تاريخه، فجبع منذ القرن التاسع الهجري بدأت مدّها العلمي بتقديم الكبار من الرجالات في هذا المضمار كالشهيد الثاني ومن تعاقب من ذرّيته من العلماء الذين سمّوا "بسلسلة الذهب".[٢] فجعلوا من جبع واحدة من الحواضر العلمية القديمة المهمة في جبل عامل بعد جزّين. وظلّت جبع غنيّة بالعلم والمعرفة وكان غناها يكمن فيمن تخرّج من أبنائها وفي ما أنتجوه وتركوه من آثار علمية وثقافية.[٣]

قامت مدرسة جبع على يد تلميذ مدرسة "الكوثرية"، الفقيه الشيخ عبد الله نعمه م(١٣٠٢هـ-١٨٨٥م)،[٤] أسّسها في أواسط القرن الثالث عشر الهجري بعد إن كانت جبع قد مرّت بفترة تراجع علمي بين أواخر القرن الحادي عشر الهجري وأواسط القرن الثالث عشر الهجري -أواخر القرن السابع عشر الميلادي وأواسط القرن التاسع عشر الميلادي.[٥] وكان الشيخ نعمه قد زار العراق وأنهى تحصيله في جامعة النجف الأشرف، حتى بلغ درجة الاجتهاد الكبرى، فرحل إلى إيران وأقام فيها عدّة سنوات، ثم عاد إلى موطنه وأسّس مدرسته المذكورة.[٦] وقد اعتنت هذه المدرسة بالعلوم العربية عناية خاصة.[٧]ويقول السيد محسن الأمين في "أعيانه" إن هذه المدرسة لم تف بالغرض المطلوب من أبنائها لأنه (أي الشيخ عبد الله نعمه) "كان يقتصر في بحثه على الفقه خاصة ويكل

---

[١] م.ن.، ص:٢٤٢.

[٢] سعيد الصباح، "مراحل العلم في جبل عامل"، العرفان، مج٤٩، ج١٠، ١٣٨١هـ-١٩٦٢م، ص:٩٥٢.

[٣] ذكر السيد محسن الأمين ما يزيد على ثلاثين شخصية علمية وفكرية من علماء جبع. راجع: محسن الأمين، خطط جبل عامل، ج١، ص: ٢١٢.

[٤] م.ن.، ص: ١٥١.

[٥] محمد كاظم مكي، الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل، ص:٣٣-٣٤؛ علي مروة، تاريخ جباع، ص:٣٠-٣١.

[٦] محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص:٢٤٢-٢٤٣.

[٧] أحمد رضا، "صحف تاريخية، المتاولة أو الشيعة في جبل عامل"، مج٢،ج٨،١٣٢٨هـ-١٩١٠م، ص:٣٨٨.

سائر العلوم من علوم العربية والبلاغة والمنطق والأصول وغيرها إلى غيره كما أنه كان يكل إدارة المدرسة إلى غيره وكان الذين يحضرون دروسه في الفقه غير متشبعين بما يحتاج إليه الفقه من المقدمات فلم يستفيدوا في الفقه كبير فائدة وكان من أوكل إليهم إدارة المدرسة يسيرون بها على الطريقة القديمة العقيمة في كيفية التدريس وإلقاء الدروس."[1]

وقد تخرّج في مدرسة جبع عدد من الطلاب منهم: العلامة السيد حسن يوسف مكي (مؤسّس المدرسة الحميدية في النبطية)، والعلامة السيد موسى شرارة (مؤسّس مدرسة بنت جبيل)، والشيخ محمد سليمان الزين والشيخ حسين أبو خليل الزين والشيخ حسن نعمه(إبن عبد الله نعمه) والشيخ علي الحرّ، وغيرهم ممن أشارت المصادر إلى علومهم الفقهية.

كما كان من تلامذتها أيضاً عدد من أهل النبطية ومنهم الشيخ قاسم محمد قديح والشيخ قاسم صفا والسيد قاسم أحمد فحص. وعمّرت هذه المدرسة أربعين سنة وأفل نجمها على حياة مؤسّسها.[2] ونرجّح أن إغلاق المدرسة كان في العقد الثامن من القرن الماضي.

٣- مدرسة حنويه:

لم تكد مدرسة جبع تقفل أبوابها حتى أنشأ الفقيه الشيخ محمد علي عز الدين م(١٣٠٤هـ-١٨٨٦م)، مدرسته في حنويه.[3] وكانت دائرة التعليم في هده المدرسة أوسع منها في مدرسة جبع فعمل مؤسّسها على نهضة مسيرتها بإدخاله العديد من العلوم العصرية النافعة كعلم النفس والأخلاق والفلسفة الحديثة، بعد إيابه من النجف وإتمام تحصيله العلمي. وكان الشيخ عز الدين فقيهاً عالماً ترك لنا آثاراً قيّمة في علوم الدين

---

[1] محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ٨، ص:٦٠.

[2] محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص:٢٤٣.

[3] محسن الأمين، خطط جبل عامل، ج ١، ص :١٥٢.

وفنون الأدب والشعر منها: "روح الإيمان في علم الكلام، وتحفة القارئ في الحديث، وسوق المعادن في فنون شتى" وغيرها، كما أن له ديوان شعر مخطوط.[١]

وكان لعميد كلية الطب في جامعة ليون الفرنسية الدكتور "لورتيه" (DR LORTET) زيارة لهذه المدرسة خلال رحلته إلى المنطقة التي دامت من ١٨٧٥ إلى ١٨٨٠،حيث أقام في القرية وأجرى حفرياته قريباً منها. وقد قال بشأن المدرسة بعد زيارته لها عام ١٨٨٠: "الثقافة منتشرة جداً بين المتاولة في حنويه القرية الصغيرة ذات الأربعمائة نسمة ويوجد في حنويه ليس فقط مدرسة ابتدائية يقصدها كل الأطفال الصغار (إشارة إلى كتّاب القرية) ولكن مدرسة عليا عامرة".[٢]

كما كتب الشيخ محمد علي عز الدين حول هذه الزيارة يقول :"عام ١٢٩٧هـ-١٨٨٠م، شرّف بزيارة بلدتنا الدكتور لورتيه مصحوباً بزوجته وعندما زار مدرستنا كان لي معه مقابلة سألني خلالها أسئلة تتعلق بالمذهب الشيعي في البلاد وتلبية لرغبته أنشأت هذه الخلاصة الصغيرة لتاريخنا ليحملها معه."[٣] وكانت هذه المدرسة حافلة بالطلاب تخرّج فيها عدد وافر منهم حيث كان لبعضهم فيما بعد الأثر الواضح في الحركة الفكرية النشطة في جبل عامل، ومنهم محمد بن علي بن إبراهيم الحسيني م(١٣٣٤هـ-١٩١٥م)، (وهو مؤسّس مدرسة النبطية)، ومهدي شمس الدين م(١٣٣٤هـ-١٩١٥م) (مؤسّس مدرسة مجدلسلم)، والعلامة نجيب فضل الله م(١٣٣٦هـ-١٩١٧م) (مؤسّس مدرسة عيناثا).

وقد تابعت هذه المدرسة مسيرتها التثقيفية بعد وفاة مؤسّسها إذ تولاّها حفيده إبراهيم حسن عز الدين بعد إنهاء تحصيله في النجف، فسار بالمدرسة على نهج جده حتى توفي

---

[١] محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص٢٤٤.

[٢] - DR L'ortet, LA SYRIE D'aujourd'hui, voyages dans la phenicie, le Liban et Le judée 1875 /1880, Paris, Hachette, 1884, P:134.

[٣]م.ن.، ص:١٣٢. (قمنا بترجمة هذه المعلومات عن الفرنسية، كما ذكرها د.لورتيه في كتابه.)

عام (١٣٣٣هـ-١٩١٤م).[١] وقد كانت هذه المدرسة مجمعاً لفضلاء الطلاب ودارة لفنون مختلفة، كما كانت سوقاً عامرة للأدب والشعر قدّمت من الشعراء والأدباء العدد الكبير ونالت عناية الزعماء السياسيين وبخاصة أمير البلاد علي بك الأسعد، مما بعث في نفوس طلابها حب الأدب وكسب الفوائد.[٢]

٤- مدرسة بنت جبيل:

أسّسها أحد طلبة مدرسة حنويه سابقاً العالم الفقيه الشيخ موسى شرارة عام (١٢٩٧هـ-١٨٧٩م)، وربما بعد هذا التاريخ بقليل، فانتقل إليها عدد وافر من الطلاب، وأصبحت بنت جبيل محطّ رحال الأدباء والعلماء، وقد توافد إليها عدد من تلامذة مدرسة حنويه، التي شهدت بعض الفتور بعد موت مؤسّسها وقبل أن يتولى حفيده رعايتها من جديد.[٣] ويقول السيد محمد رضا فضل الله في الشيخ شرارة إنه ولد سنة (١٢٦٧هـ-١٨٥٠م)، وسافر إلى النجف الأشرف سنة (١٢٨٤هـ-١٨٦٧م)، وأكمل تحصيله وآب منها في سنة ١٢٩٨هـ-١٨٨٠م)، [٤] وتوفي سنة (١٣٠٤هـ-١٨٨٦م). وتعتبر هذه المدرسة من المدارس التي جددّت العلم على يدي شيخها وسعيه في بعض الإصلاحات الدينية.[٥] أما علومها فكانت العربية من نحو وصرف وبيان وعلم المنطق وعلمي الأصول والفقه.

---

[١] محمد جابر آل صفا، "صفحات من تاريخ جبل عامل"، العرفان، مج٢٧، ج٧، ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م، ص:٦٣١-٦٣٢.

[٢] أحمد رضا، "صحف تاريخية المتاولة أو الشيعة في جبل عامل"، العرفان، مج٢، ج٨،١٣٢٨هـ ١٩١٠م، ص:٣٩٠.

[٣] محسن الأمين، خطط جبل عامل، ج١، ص:١٥٢.

[٤] محمد جابر آل صفا، "صفحات من تاريخ جبل عامل"، العرفان، مج٢٧، ج٧،١٣٥٦هـ-١٩٣٧م، ص:٦٣٢.

[٥] يقول السيد محسن الأمين في سيرته أن من إصلاحات الشيخ موسى شرارة الدينية غير إنشائه المدرسة اهتمامه بمجالس العزاء للإمام الحسين على غرار مجالس العراق.... وتعليمه الأدباء طريقة النقد في الشعر. ومن المجالس التي أنشأها واحداً ليلة الجمعة عنده وكان يعظ فيه ويجتمع الطلبة ويتذاكرون في المسائل العلمية ويقرأ في نهج البلاغة، وآخرا يوم الجمعة عصراً وكان يسأل الطلبة ليلة الجمعة-(يتبع)

وقد تخرّج فيها العلامة السيد محسن الأمين الذي يخبرنا عن هذه المدرسة فيقول: إنه قرأ فيها "حاشية ملاّ عبد الله في المنطق وشرح الشمسية والمطول والمعالم، ذهبت إليها من مدرسة مجدلسلم بعدما تفاعلت بالقرآن الكريم لي ولرفيقي الصالح الشيخ محمد دبوق."[١] أما تلامذة المدرسة فبالإضافة إلى الشيخين دبوق والأمين فقد ذكرت لنا المراجع منهم أيضاً الشيخ حسين مغنية والشيخ عبد الحسين صادق والسيد يوسف شرف الدين والسيدين حيدر وجواد مرتضى والسيد نجيب فضل الله والشيخ موسى مغنيه والشيخ عبد الكريم الزين وغيرهم ممن كان لهم الدور المؤثر في الحياة العلمية والفكرية في البلاد.[٢]
وقد استمرّت هذه المدرسة حتى عام ١٣٠٤هـ-١٨٨٦م عندما أفل نجمها بوفاة منشئها.[٣]

٥- مدرسة النبطية الفوقا أو "النورية":

أسّست هذه المدرسة منذ عهد قديم في النبطية الفوقا.[٤] وتعرف أيضاً بالمدرسة النورية نسبة لآل نور الدين، الذين كانوا وراء تأسيسها، بعد أن وصل أعيانهم إلى بلدة النبطية قادمين من قرية سكيك في الجولان التي كانوا قد انتقلوا إليها من كفرحونا في إقليم جزين- ونحن لم نقع على أية إشارة لهذا التاريخ - إلا أن آخر من تولى التدريس فيها كان الأستاذ محمد علي نور الدين،[٥] والذي كان يدرّس فيها المنطق والبيان. وكان من تلاميذ هذه المدرسة السيد عبد الحسين نور الدين والسيد إبراهيم نور الدين والعلامتان الشيخان

-مسائل في العلوم التي يقرأونها عند غيره من النحو والصرف والمنطق... راجع: محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج١٠، ص:٣٤٢.

[١] محسن الأمين، خطط جبل عامل، ج١، ص:١٥٢.

[٢] محمد جابر آل صفا، "صفحات من تاريخ جبل عامل،مج ٢٧،ج٧،١٣٥٦هـ-١٩٣٧م ص: ٦٣٢-٦٣٣.

[٣] محسن الأمين، خطط جبل عامل، ج١، ص: ١٥١.

[٤] م.ن.

[٥] "هو الأستاذ محمد بن حيدر نور الدين بن علي بن أبي الحسين الموسوي العاملي الجبعي عالم فاضل مدقق ماهر في أكثر العلوم العقليات والنقليات". راجع:محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص:٢٤٨؛ محمد بن الحسن (الحر العاملي)، امل الأمل، ج١، ص:١٦٠.

أحمد رضا وسليمان ظاهر (عضوا المجمع العلمي العربي في دمشق) وكان فيها بدء تحصيلهما، والشيخ حسين محمد صفا وغيرهم.[1] وقد توفي الأستاذ محمد نور الدين سنة ١٣٢٥هـ-١٩٠٧م، ولا نعلم تاريخ تأسيس هذه المدرسة ولا تاريخ إقفالها، بيد أننا نرجّح بقاءها حتى أوائل العقد الأخير من القرن الماضي، بسبب انتقال التدريس إلى النبطية الكبرى قبل وفاته حيث نشأت المدرسة الحميدية.[2]

٦- المدرسة الحميدية:

وتعرف باسم النبطية التحتا، حيث كان موضعها. أما اسمها فيزعم محمد جابر آل صفا أنه نسبة إلى السلطان عبد الحميد على ما درجت عليه العادة في ذلك الوقت.[3] أسّسها السيد حسن يوسف مكي وهو من مدرسة جبع سابقاً، وقد أسّس مدرسته في النبطية بعد عودته من النجف سنة (١٣١٠هـ- ١٨٩٢م).[4] وقد تعهّد بناء المدرسة عدد من أبناء النبطية بينهم الحاج حيدر جابر الذي قدّم الأرض ووقفها على بناء المدرسة لنشر العلم ودرس الشريعة الإسلامية،[5] وكان الإقبال عليها شديداً، وانضمّ إليها تلامذة المدرسة النورية لعدم وجود غيرها في المنطقة على النمط التقليدي. وكان طلابها معفيين من الخدمة العسكرية تطبيقاً لإرادة السلطان عبد الحميد القاضية بإعفاء طلاب كل مدرسة

---

[1] محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص:٢٤٨.

[2] م.ن.

[3] يقول جابر آل صفا إن أعوان السلطان عبد الحميد كانوا يلزمون الناس بمثل هذه التسميات تزلفا إليه. راجع: تاريخ جبل عامل، ص٢٤٩.

[4] هو السيد حسن بن يوسف بن إبراهيم المكي ولد في حبوش (١٢٦٠هـ-١٨٤٤م) ودرس في جبع ثم هاجر إلى العراق فدخل جامعة النجف الأشرف فلبث فيها اثنتين وعشرين سنة أتم دروسه وفي سنة (١٣٠٩هـ-١٨٩١م) عاد إلى جبل عامل فأقام في النبطية وأسّس المدرسة الحميدية. راجع :محسن الأمين، خطط جبل عامل، ج١، ص:١٥٢؛ محمد جابر آل صفا،تاريخ جبل عامل، ص:٢٥١.

[5] محسن الأمين، خطط جبل عامل، ج١، ص:١٥٢؛ محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص:٢٥٢.

تدرّس الفقه الإسلامي، أسوة بالمدرسة الكبرى في عاصمة السلطنة.[١] وقد لمعت المدرسة وذاع صيتها فقصدها طلاب العلم والثقافة من جميع البلدان، وقد ضمّت في صفوفها ما يزيد على ثلاثماية طالب. ويقول جابر آل صفا إن عناية المدرسة بالطالب كانت كبيرة وكان مؤسّسها يسهر على دراستهم وتوجيههم في مباحثهم وآدابهم وسلوكهم كما كانت المدرسة تعتني بمأكلهم وملبسهم ومنامهم ولا سيّما الطبقة الفقيرة منهم فكان الشيخ يقدّم لهم مساعدات مالية.[٢] ومن الدروس التي كانت تدرّس في المدرسة الأدب والمنطق والبيان.[٣] أما منهاج المدرسة كما رآه جابر آل صفا فكان من ضمنه أن يجمع شيخها الطلبة في باحتها عصر كل يوم فيؤلفون حلقة كبيرة ليتولى بنفسه إدارة النقاش فيها وامتحان كل تلميذ. ويقول آل صفا أيضاً إنه مع شدّة تمسّك الشيخ بأصول وتقاليد العلماء ورجال الدين كان لا يأنف من المناقشة في تبديل الأوضاع القديمة التي لم تعد تلائم روح العصر الحاضر ووسائل الثقافة الجديدة. كما أنه كان منفتحاً لدرجة أنه يقرّ ما يتمّ التوافق عليه في الرأي في إدارة المدرسة عقيب كل اجتماع يؤلف من كبار الطلبة والمدرسين تحت رياسته.[٤]

وقد أدّت هذه المدرسة خدماتها العلمية طيلة أربعة عشر عاماً (١٨٩٢هـ-١٩٠٦م)، وانتهت حياتها بموت منشئها كأكثر مدارس جبل عامل، وتفرّق طلابها بعد أن أفل نجمها وأغلقت أبوابها فأشرفت على الخراب إلى أن عمّرها تعميراً محكماً الحاج حسين الزين وأخوه يوسف بك، ليتولى التدريس والإدارة فيها العالم الشيخ محمد رضا الزين. ولكن ذلك لم يستمرّ إلاّ مدّة يسيرة.[٥] وكان من خرّيجي المدرسة الشيخ أحمد عارف الزين صاحب

---

[١] سعيد الصباح، "مراحل العلم في جبل عامل"،العرفان، مج ٤٩، ج١٠،١٣٨١هـ-١٩٦٢م، ص:٩٥٦.

[٢] محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص:٢٥٣.

[٣] م.ن.، ص:٢٤٩.

[٤] م.ن.، ص:٢٥٣.

[٥] محسن الأمين، خطط جبل عامل،ج١، ص: ١٥٢؛ إبراهيم الأسود، تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، مج٣،بيروت:المطبعة العلمية،١٩٣٠، ص:٥٩٠-٥٩١.

"العرفان" والشيخ سليمان الظاهر والشيخ أحمد رضا[١] ومحمد جابر آل صفا كما يذكر في كتابه "تاريخ جبل عامل".[٢] كما كان من خرّيجيها أيضاً الأستاذ سعيد الصباح.[٣]

مدارس قليلة الشهرة بسيطة التأثير:

ونشأت مدارس لم يكن لها الأثر الكبير في الحياة العلمية في جبل عامل نذكر منها:

١- مدرسة طير دبّا:

أنشأها العالم الفقيه الشيخ حسين بن حسن بن محمود آل مغنية[٤] وكان والده قد أرسله وأخيه إلى العراق، ولمّا توفي أبوهما وهما في العراق حضرا إلى البلاد بعد نكبة الجزار.[٥]

وأغلب الظن أن قيام هذه المدرسة كان في بدايات النصف الأول من القرن الماضي، وقد سكتت المراجع عن ذكرها والتحدّث عن أحوالها نظراً لعدم قيامها بدور هام في الحياة التعليمية.

٢- مدرسة كفرة:

وكانت برئاسة العلامّة الشيخ علي بن محمد السبيتي.[٦] ويذكر السيد محسن الأمين أن ولادته كانت سنة ١٢٣٦هـ-١٨٢٠م، في كفرة، ووفاته سنة ١٣٠٣هـ-١٨٨٥م وكانت دراسته الأولى على الشيخ حسن مروة ثم انتقل إلى النميرية عند السيد علي آل إبراهيم.

---

[١] سعيد الصباح، "مراحل العلم في جبل عامل"،العرفان، مج ٤٩، ج١٠،١٣٨١هـ-١٩٦٢م، ص:٩٥٧.

[٢] محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص:٢٤٩.

[٣] سعيد الصباح، "مراحل العلم في جبل عامل"،لعرفان، مج ٤٩، ج١٠،١٣٨١هـ-١٩٦٢م، ص:٩٥٦.

[٤] محسن الأمين، خطط جبل عامل،ج١، ص: ١٥٣.

[٥] محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٥، ص: ٤٨٦.

[٦] محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص:٢٤٧.

ولما تراجعت مدرسة النميرية انتقل إلى مدرسة جبع عند الشيخ عبد الله نعمه.[1] وكان يدرّس في مدرسة كفرة محمد علي عز الدين قبل تأسيسه مدرسة حنويه.[2] مما يدفعنا إلى القول إن كفرة كانت متقدمة زمنياً على حنويه.

٣- مدرسة عيناثا:

أنشأها العالم الفقيه السيد نجيب إبن السيد محي الدين فضل الله الحسيني.[3] ويذكر السيد محسن الأمين في "أعيانه" إن ولادته كانت سنة ١٢٨٠هـ-١٨٦٣م ووفاته كانت سنة ١٣٣٦هـ-١٩١٧م في عيناثا. وقد قرأ أولاً على الشيخ محمد علي عز الدين في حنويه ثم على الشيخ موسى شرارة في بنت جبيل، وهو من أساتذة السيد محسن الأمين قرأ عليه المطول وشرح الشمسية وشرح ملا عبد الله وشيئاً من المعالم وذلك في بنت جبيل حال وجود الشيخ موسى شرارة فيها.[4] ويرجّح قيام هذه المدرسة في العقد الأخير من القرن الماضي واستمرّت مع بداية القرن الحالي حيث أفل نجمها مع وفاة مؤسّسها.[5]

٤- مدرسة عيتا الزط:

أنشأها العالم السيد جواد مرتضى[6] بعد عودته من العراق سنة (١٢٩٧هـ-١٨٧٩م)، وقرأ فيها السيد محسن الأمين بعضاً من النحو والصرف فيقول: "أرسِلت إليها (المدرسة) حوالي سنة (١٢٩٧هـ-١٨٧٩م) وشرعت جماعة في قراءة القطر عليه (الشيخ) ولكوني في سن الطفولة كنت إذا فتحت الكتاب ليلاً للمطالعة حسب العادة لا أهتدي إلى فهم شيء

---

[1] محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٨، ص: ٣٠٣.

[2] محسن الأمين، خطط جبل عامل، ج١، ص: ١٥١.

[3] م.ن.، ص: ١٥٣.

[4] محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج١٠، ص: ٢٠٦.

[5] محسن الأمين، خطط جبل عامل، ج١، ص: ١٥٢.

[6] م.ن.، ص:١٥٢.

من العبارة." ويتابع: "وبعد شرح القطر شرعنا في قراءة شرح ابن الناظم على الألفية بكل إتقان وجعلنا نراجع بكل دقة في أثناء ذلك شرح الشيخ الرضي على كافية ابن الحاجب الذي هو من أجلّ كتب النحو ويحوي فلسفة علم النحو واللغة العربية بطرز عجيب لا يوجد في غيره ونراجع أيضاً عدة من كتب النحو المشهورة كشرح الخيامي."[١] وكان من تلاميذ هذه المدرسة بالإضافة إلى السيد الأمين كل من الشيخ أحمد برّي والشيخ محمد دبوق وآخرون.[٢]

وهذه المدرسة تراجعت بعد عودة منشئها إلى العراق حوالي عام (١٣٠٠هـ-١٨٨٢م) حيث انتقل عدد من طلابها بينهم الأمين ودبوق إلى مدرسة مجدلسلم.

ويقول السيد محسن الأمين في "خططه" إن المدرسة أعيدت على يد الشقيق السيد حيدر مرتضى ، ولكنها ما لبثت أن توقفت[٣] وانتهت. ونحن لا علم لنا بالزمن الذي رئسها فيه السيد حيدر مرتضى ولا المدة التي استمرّت فيها.

٥- مدرسة مجدلسلم:

أنشأها تلميذ مدرسة حنويه العالم الشيخ مهدي شمس الدين[٤] حوالي سنة (١٣٠٠هـ-١٨٨٢م) وقد قرأ فيها السيد محسن الأمين في علمي البيان والمنطق في المطول وحاشية ملا عبد الله. وكانت فائدة الطلاب من هذه المدرسة قليلة جداً إن لم نقل معدومة والسبب في ذلك يعود إلى عدم كفاءة المدرّس وجدارته في الشرح وعجزه عن الإجابة على أسئلة الطلاب وسوء إدارته للنقاش أثناء الدرس. وإذا كان الطلاب قد حصّلوا بعضاً من الفائدة

---

[١] محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج١٠، ص:٣٤٠.

[٢] م.ن.

[٣] محسن الأمين، خطط جبل عامل، ص: ١٥٢.ومن الطرف التي يرويها السيد الأمين في سيرته وتعكس المشقة والمعاناة التي كان الطالب يتكبدها في سعيه وراء التحصيل العلمي في ذلك الزمن أنه كان وزميله الشيخ أحمد بري يستأجران امرأة لنقل الماء من العين التي تبعد نحواً من ربع ساعة عن القرية ويقول: "ونلاقي في ذلك مشقة لعدم وجود من نستأجرها في كل وقت فاخترع الشيخ أحمد بذلك أن صنع لصفيحة من صفائح الكاز خشبتين وشدّهما بها شداً وثيقاً فيحملها أربعة من التلاميذ وينشدون شعر ألفيّة ابن مالك ذهاباً وإياباً فيكون في ذلك عدّة فوائد. راجع: محسن الأمين،أعيان الشيعة، ج١٠، ص: ٣٣٨.

[٤] محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص: ٢٤٧.

فيما يدرسون فذلك مردّه إلى جدّهم الشخصي والتباحث بأمور الدرس فيما بينهم.[١] ولم يمضِ وقت طويل على هذا الزمن حتى تراجعت المدرسة فانتقل السيد محسن الأمين وبعض من رفاقه بينهم الشيخ دبوق إلى مدرسة بنت جبيل التي كانت تحت رئاسة الشيخ موسى شرارة، وكان ذلك حوالي سنة (١٣٠١هـ-١٨٨٣م)[٢] ونرجّح أن مدرسة مجدلسلم لم تعمّر طويلاً بعد هذا التاريخ.

٦- مدرسة النميرية:

قامت هذه المدرسة على مرحلتين، فقد أنشأها أولاً الفقيه السيد علي إبراهيم[٣] في النصف الأول من القرن الماضي، ثم مرّت بفترة تراجع إلى أن تولاّها ولده السيد حسن علي إبراهيم م(١٣٢٩هـ-١٩١١م).[٤] وقد درس في المدرسة لفترة أشهر الشيخ سليمان الظاهر[٥]. ونرجّح أن المدرسة استمرّت حتى نهاية القرن الماضي.

---

[١] محسن الأمين،أعيان الشيعة، ج١٠، ص: ٣٤١.

[٢] يروي السيد محسن الأمين انتقاله ورفيقه الشيخ محمد دبوق من مدرسة مجدلسلم إلى مدرسة بنت جبيل فيقول: "ولما ابتدأنا بقراءة المطول كان أول درس لنا في كلمة (مقدمة) فقط فلما جئنا للمباحثة وجدنا أنه لم يعلق بذهننا مما قرره (المعلم) شيء وبقينا على هذه الحال مدة لا نستفيد مما يقرره سيناوإنما فائدتنا من المطالعة نفهم أكثر ما نطالعه فإذا استعصى على فهمنا شيء راجعناه في الحواشي وتأملنا فيه فنهتدي إليه وإذا حضرنا الدرس نقوم كما جلسنا ثم نتباحث فيما فهمناه من المطالعة وإذا بقي شيء لم نفهمه حال المطالعة نفهمناه حال المباحثة ولم تزل هذه حالنا حتى وصلنا في الحاشية إلى دليل الافتراض فطالعناه فلم نفهمه فراجعنا الحواشي فلم نفهمه فأتينا للدرس فلم نفهمه فجئنا للمباحثة فلم يتضح لنا فطالعناه في الليلة الثانية فكانت كالأولى فأعدنا الدرس عند الشيخ والمباحثة بلا جدوى وكان قد سبق لنا الظن بأننا لسنا في هذا التدريس على صواب وأنه (أي الشيخ) لو كان فاهماً له لفهمناه منه." فقال لرفيقه الشيخ دبوق: "أرى أننا في هذا التدريس لسنا على صواب ونريد الانتقال من هذا البلد ...فذهبنا من فورنا إلى بنت جبيل." راجع:م.ن.، ج١٠، ص: ٣٤١.

[٣] محسن الأمين، خطط جبل عامل، ج١، ص: ١٥٢.

[٤] محمد جابر آل صفا، صفحات من تاريخ جبل عامل،العرفان،مج٢٧،ج٧،١٣٥٦هـ-١٩٣٧م، ص:٦٣٣.

[٥] إبراهيم الأسود، تنوير الأذهان في تاريخ جبل لبنان، مج٢، بيروت، مطبعة القديس جاورجيوس، ١٩٢٧، ص:٦٠٣-٦٠٤.

٧- مدرسة أنصار:

أنشأها السيد حسن علي إبراهيم[1] م(١٣٢٩هـ-١٩١١م)، إبن السيد علي إبراهيم (مؤسّس مدرسة النميرية). ويذكر جابر آل صفا من التلاميذ الذين درسوا على السيد حسن علي إبراهيم كلاً من :السيد محمد إبراهيم والشيخ أحمد عبد المطلب مروة والشيخ باقر بن الشيخ الحافظ محمد حسين مروة والشيخ طالب سليمان البياضي والشيخ حسن بن الشيخ محمد علي قبيسي والشيخ خليل كوثراني.[2] ونظن أن قيامها كان في السنوات الأخيرة من القرن الماضي.

من هذا كله يتضح لنا مدى اعتماد الشيعة في جبل عامل، خلال القرن الماضي وما قبله، على التعليم الأهلي الخاص في مسيرتهم التعليمية. وقد شكّل هذا التعليم لديهم ظاهرة، لعلها عادت إلى فكرة قديمة، تنطلق من الرغبة في عدم تدخّل السلطات في شؤونهم التعليمية ومن ورائها الدينية الداخلية. هذا بالإضافة إلى غياب الرعاية الرسمية من السلطات العثمانية للتعليم بشكل عام قبل فترة مدحت باشا، وإهمال جبل عامل بشكل خاص. ويمكننا القول إن المدارس العاملية التي قامت على أكتاف شيوخها كانت جميعها دينية تعنى بالعربية ومبادئ الفقه والأصول. ولم يكن قيام هذه المدارس بفعل مؤسسات عامة أو جمعيات أهلية ترعاها وتسير بها نحو الأفضل، بل كانت بمبادرات فردية من علماء تلك المدارس، ويسهم في أزرها ودعم مسيرتها بعض المتبرعين. وكانت إذا ما خبت واحدة قامت أخرى. وكان العلماء في المدارس كحملة المشاعل، فإذا ما توفي عالم في مدرسته، إنبرى آخر يحمل عنه المسؤولية. وكان الطلاب، كما ذكرنا، يلاحقون المدرسة من مكان إلى آخر، وكانوا يضطرون أن يدرسوا في عدد من المدارس وعلى أكثر من عالم وفق ما تقتضيه الظروف والحاجات.

---

[1] محسن الأمين، خطط جبل عامل، ج١، ص: ١٥٢.

[2] محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل،ص:٢٤٧-٢٤٨.

وقد كانت المواد المدرّسة في هذه المدارس آنذاك، توازي المرحلة المتوسطة من نظامنا التربوي العام، كما كان البعض الآخر يماثل المستوى الثانوي.[١] وكانت فترة الدراسة في هذه المدارس تمثل للطالب فرصة اختبار تميّزه ونبوغه، حتى إذا ما تأكد له ذلك رحل إلى النجف لمتابعة تحصيله الديني فيبلغ مرحلة العالم الفقيه، إذ إن مدارس جبل عامل بمجملها كانت تطبق المنهج التحضيري لجامعة النجف. وعلى الرغم من إن هذه المدارس جميعاً كانت مدارس للذكور لا ترتادها النساء إطلاقاً، إلا أن هذه الفترة عرفت التعليم عند النساء في البيوت، خاصة في وسط العائلات العلمية. وكثيرات هنّ المتعلمات اللواتي أخذن العلم إما عن أمهاتهن أو استقدم لهنّ المعلمات إلى المنزل.

وكان العرف الاجتماعي السائد في أوساط الشيعة العامليين خلال القرن الماضي أن يسير الأبناء مسار الآباء باشتغالهم بطلب العلوم الدينية، وهذا أمر قلّ أن نجد بينهم من خرج عليه.

العلوم التي كانت تدرّس في جبل عامل:

المواد التي كان الطالب يدرس بعضها في مدارس جبل عامل كانت: النحو والصرف، وعلوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، وعلم المنطق، وعلم التوحيد المشتمل على العقائد الخمس (التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد)، والإلهيات، وعلم الفقه، وعلم التفسير، وعلم الحساب، وفن الأدب الذي تقتصر الدراسة فيه على حفظ الأشعار. فأول ما يبتدئ به الطالب بعد حفظ القرآن الكريم وتعلم الكتابة، هو النحو فيحفظ متن الأجرومية غيباً ثم ينتقل إلى كتاب قطر الندى لابن هشام الأنصاري، وهو كتاب في النحو أرقى من الأجرومية، ثم ينتقل إلى ألفيّة ابن مالك وغيرها من الكتب المتعلقة بالنحو والصرف والإعراب. وهذه المرحلة مخصصة لدراسة اللغة ونحوها. ثم يوجّه الطالب إلى دراسة البيان والبلاغة والبديع، فيقرأ كتاب المطول في المعاني والبيان ويقرأ معه حاشية

---

[١] مقابلة مع السيد حسن محسن الأمين.

اليزدي، ثم الشمسية في علم المنطق للشيرازي، وبعدها ينتقل الطالب لدراسة أصـول الفقه في مؤلفات عاملية.[1]

وفي الحقيقة، إن هذه الدروس التي كـانت تـدرّس فـي مدارس جبل عامل، خلال القرن الماضي، لم تكن مهمتها إعداد علماء دين أو فقهاء شريعة، وإنما كان دورها العناية بإعداد الطالب حتى يتقن اللغة العربية بشكل جيّد، ليتسنى له دراسة العلوم الدينية التي لم تكن تعدو كونها مبادئ عامة في أصول الفقه والشريعة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فقد كانت مهمتها العامة العناية بنشر جو من الثقافة والمعرفة بين الناس.

مدة الدراسة:

لم تكن مدة الدراسة في المدارس العاملية محددة بسنوات معينة، بل كـانت تتفاوت من طالب إلى آخر ومن مدرسة إلى أخرى، وذلك تبعاً لجّد التلميذ ونشاطه وفطنته وقلة الموانع التي تعترض سبيل تحصيله، بالإضافة إلى إمكانية استيعابه وقدرته على تلقي العلوم.

أوقات الدوام والتعطيل:

كان الطلاب يداومون على الدرس في هذه المدارس ستة أيام فـي الأسبوع، وكـان نهار الجمعة هو العطلة الأسبوعية حيث يقضيه الطالب بـالدرس والمراجعة. وكـان العامليون يفضلون الابتداء بالتدريس يوم الأربعاء عملاً "بالحديث" المشهور: "ما بدئ به شيء إلا وتمّ". أما العطل الباقية فكانت ترتبط بالمناسبات الدينية، فشهر رمضان مثلاً كان عطلة كاملة كما اليوم العاشر من محرّم.[2]

طرائق التدريس:

كانت الطرق المتبعة في هذه المدارس طرقاً تقليدية. أما الدروس فكانت تختلف تبعاً للفئة التي تتولى التعليم. "وكانت العادة أن يطالع الطلاب ليلاً دروسهم التي سيقرؤونها نهاراً ويطالعها أستاذهم ليلاً أيضاً، تحضّراً لتفسيرها لهم نهاراً، فإذا حضروا في النهار

---

[1] محسن الأمين، خطط جبل عامل، ج١، ص: ١٥٣-١٥٥.

[2] م.ن.، ص: ١٥٥-١٥٦.

عند المعلم كان مع كل واحد منهم كتاب يحوي الدرس الذي يريدون قراءته، فيفتحون كتبهم جميعاً على محل الدرس ويبتدئ أحدهم عبارة الدرس والباقون ينظرون ويفتتح قراءته بالتسمية والتحميد والصلاة على النبي وآله ثم يشرع في قراءة العبارة فإذا أخطأ القارئ في قراءة كلمة ردّه الأستاذ إلى الصواب أو أحد الطلبة فإذا فرغ التلميذ من قراءة عبارة الدرس أخذ الأستاذ كتاباً من أحدهم وافتتح كلامه بالتسمية والتحميد والتصلية وشرع في تفسير عبارة الدرس لهم."[1]

ويقول "العاملي" في "منية المريد" إنه من جملة آداب الأستاذ في درسه :"أن يقدّم على الشروع في البحث والتدريس تلاوة ما تيسّر من القرآن العظيم تيمّناً وتبرّكاً. ويدعو عقيب القرآن لنفسه وللحاضرين ولسائر المسلمين. ثم يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ويسمّي الله تعالى ويحمده ويصلي ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه، ثم يدعو للعلماء الماضين والسلف الصالحين ولمشايخه خاصة ولوالديه وللحاضرين وإن كان في مدرسة أو نحوها دعا لواقف المكان." ويقول في ذلك :"فيه اقتداء بالسلف من العلماء فقد كانوا يستحبون ذلك."[2]

أما طريقة إلقاء الدروس فلم تكن واحدة في كل المدارس، بل كانت تختلف من معلم لآخر. وقد نجد الدروس في بعض المدارس عرضة لنقاشات، كأن يصل الأستاذ في قراءته إلى موضوع "له فيه رأي يخالف رأي صاحب الكتاب بيّنه لهم واحتجّ عليه وإذا كان في عبارة المؤلف خلل أو خطأ في نقل أو غيره بيّنه لهم وإذا لم يفهم أحدهم ما قرّره الأستاذ طلب منهم إعادته حتى يفهمه وإذا كان لأحدهم اعتراض على تفسير الشيخ للعبارة أو على اعتراض يعترضه على المؤلف أبداه فيجيبه الشيخ حتى يقنع أحدهما الآخر فيرجع إلى

---

[1] م.ن.

[2] زين الدين بن أحمد العاملي (الحر العاملي)، منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، تحليل وتحقيق عبد الأمير شمس الدين، ط١، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١، ص١٧٧.

رأيه أو يبقى مصراً عليه ويشترك معهما في المناقشة باقي الطلبة أحياناً حسب مقتضى الحال وإذا بدا من أحدهم شغب أو سوء أدب ردّه الشيخ وزجره."[١]

وقد نجد أيضاً مدارس يعتمد شيوخها في إلقاء دروسهم طريقة أخرى مثلاً :كأن يعرضوا عن عبارة الكتاب وتفسيرها ويلقون أبحاثاً خارجة عنها لا يفهم الطلاب جملة منها. ويقول السيد محسن الأمين في حديثه عن دروس إحدى المدارس :"لعلّ الأساتذة أيضاً كانوا لا يفهمون جملة مما يلقونه فكانت الفائدة الحاصلة من تلك المدرسة لا تتناسب مع الجهود والأوقات التي صرفت."[٢] ومما يذكره السيد محسن الأمين أيضاً عن شيخه في إحدى المدارس التي درس فيها فيقول :"وكان شيخنا ذا حالة غريبة فهو لا ينظر في عبارة الكتاب ولا يفسّرها ويشرع في البحث ويذكر مطالب لا نفهم منها ساعة البحث إلاّ خيالات فإذا أردنا المباحثة نجد أنه لم يعلق بذهننا منها شيء فنتباحث فيما فهمناه بالمطالعة ومراجعة الحواشي. وكان حسن ظننا بالأستاذ يحملنا على الاعتقاد بأنه يأتي بمطالب عالية ليست لنا قابلية فهمها فنقول له نحن لا نريد منك إلاّ تفسير عبارة الكتاب ولا نريد فوق هذا فيقول قيدوني كتفوني أنا لا أستطيع إلاّ هكذا وصدق." ويختم السيد محسن :"حقاً أن قدرته على هذه الطريقة كانت من العجائب."[٣]

أما الامتحانات فكان الشيخ يجريها أسبوعياً ليلة كل جمعة عندما يجمع الطلاب ويسألهم عن ماضي دروسهم كل واحد في العلم الذي يقرأ فيه فيكون بذلك بمنزلة امتحان أسبوعي.[٤]

وهكذا كانت تختلف طريقة إلقاء الدروس من مدرسة إلى أخرى تبعاً للشيخ المدرّس. وفيما نجد بعض الأساتذة محبّذين للنقاش أثناء الدرس، نجد البعض الآخر

---

[١] محسن الأمين، خطط جبل عامل، ج١، ص: ١٥٦.

[٢] محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ٨، ص:٦٠.

[٣] محسن الأمين، اعيان الشيعة، ج١٠، ص: ٣٤١.

[٤]محسن الأمين، خطط جبل عامل، ج١، ص: ١٥٧.

يمارسون شيئاً من قمع الطلاب وتلقينهم أفكاراً وموادا جاهزة ومحضّرة لا تقبل الجدل والنقاش.

ويمكننا القول إن نجاح عملية التدريس في مدارس جبل عامل كان يقوم على عناصر ثلاثة: فبالإضافة إلى عنصر الكتاب الذي يمثّل نقطة الانطلاق، وعنصر الأستاذ الذي هو محور التعليم، هناك الطالب الذي ترتبط عملية التدريس ونجاحها بشكل أساس بدرجة انتباهه واستعداده ودافع رغبته في العلم وحبه لمكانة المتعلمين في ذلك الوقت. وكان انتباه الطلاب أمراً ضرورياً وطبيعياً في آن معاً كون الدروس والمعارف جميعها نظرية خالية من وسائل الإيضاح كتلك المتّبعة في مدارس اليوم. وفي هذا المجال يقول الدكتور لورتيه (DR. L'Ortet) واصفاً طلاب مدرسة حنويه :"يبدأون دروسهم بانتباه قوي، رصينون ويضعون على ركبهم القرآن الكريم."[١] أما الدراسة في مثل هذه المدارس فكانت تتعيّن وتتحدّد مراحلها بالكتب المقروؤة من قبل الطالب أو عليه، أي أنه لم يكن هناك صفوف منظمة وإنما تحدّد مرتبة الطالب تبعاً للمواد التي تكون قد قرئت عليه من قبل. وكانت طريقة التدريس تماثل النظام المتبع في جامعة النجف بحدود معيّنة كما كانت تمثل المنهج التحضيري لها تمهيداً لمتابعة الطلاب دراستهم فيها.[٢]

محاولات الإصلاح التعليمي في جبل عامل:

١- مدرسة النبطية الحديثة:

إستمرّ التعليم في جبل عامل يجري على الطريقة التقليدية حتى بدأت النهضة العلمية الحديثة في العقدين الأخيرين من القرن الماضي، عندما افتتحت المدرسة الحديثة في النبطية سنة ١٣٠٠هـ-١٨٨٢م، هادفة إلى زرع بذور التعليم العصري في منطقة جبل عامل بأسره. وقد جاءت هذه المدرسة ثمرة للجهد المشترك الذي بذله أهالي المنطقة

---

[١] DR. L'Ortet p 134.

[٢] علي البهادلي، النجف جامعتها ودورها القيادي، ط١،بيروت،مؤسسة الوفاء، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، ص:٤٧؛ باقر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ط٢؛ بيروت: دار الأضواء، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ج١، ص: ٣٧٩.

والزعيم الوطني الراحل رضا بك الصلح، الذي ساعد وأسهم في تأسيسها عندما تولّى حكومة النبطية وملحقاتها. وقد شهدت إقبالاً من الطلاب منذ السنوات الأولى لتأسيسها وضمّت ستين طالباً من ناشئة النبطية وسائر قرى جبل عامل. ومن شدّة اهتمام رضا الصلح بها فقد أحضر لها أساتذة من بيروت وطرابلس، كما كان يزورها في كل يوم ويقوم بإلقاء بعض الدروس بنفسه، كما كان يعمد إلى تدريب الطلاب على فن الخطابة بين يديه ويبثّ بينهم الروح القومية.[١]

أما مواد التدريس في المدرسة فيخبرنا جابر آل صفا إنها كانت واقفة على النحو والصرف والأدب والحساب والجغرافيا والتاريخ واللغة التركية (لغة الدولة). ولمّا رقي رئيس المدرسة السيد مصطفى العكاري، إلى قائمقام في المرقب (من أعمال اللاذقية)، أضطر إلى الاستقالة من رئاسة المدرسة، وتولى رئاسة التدريس فيها العلامة السيد محمد علي إبراهيم (أحد تلامذة مدرسة حنويه)، فوسّع دائرة التدريس وعني بتثقيف كبار الطلبة وتلقينهم الأدب الرفيع وتمرينهم على إنشاء الرسائل وقرض الشعر. وكان يلقي عليهم دروساً في المنطق والبيان والفلسفة، على طريقة ابن سينا، وبعض الطبيعيات، ثم كتاب "النقش في الحجر" للدكتور كرنيليوس فانديك (١٨١٨-١٨٩٥)[٢]، الذي يعتبر موسوعة هامة في العلوم الحديثة، لما تضمن من معلومات في مختلف مجالات المعرفة وبخاصة في الطبيعيات والكيمياء[٣]، مما شكل نقلة نوعية مؤثرة في طرق التعليم ومناهجه، وفتح العيون

---

[١] محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص:٢٥٠.

[٢] الدكتور كرنيليوس فانديك، هولندي الأصل، أمريكي النشأة والثقافة، تفقه في علوم الطب والصيدلة والرياضيات واللغات القديمة. أختير سنة ١٨٤٠ طبيبا مرسلا للديار السورية، فقدم إلى بيروت وأقام فيها، وتعلّم اللغة العربية حتى أتقنها وبرع في فنونها. أحب الوطن السوري وقدّم له خدمات جلى في ميادين الطب والتعليم والاجتماع. أسّس مدرسة عبيه، وعيّن أستاذا في المدرسة الكلية(الجامعة الأميركية في بيروت لاحقا) عند تأسيسها سنة ١٨٦٦. له مؤلفات في أهمّ العلوم العصرية كالطب والفلك والرياضيات والهندسة والكيمياء وغيرها. راجع:جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مصر. مطبعة الهلال، ١٩١٤، ج٤، ص:٢١٨-٢١٩.

[٣] النقش في الحجر، مؤلف في تسعة مجلدات صغيرة في العلوم الحديثة كالفلسفة الطبيعية والكيمياء والجغرافية الطبيعية والنبات والفلك والجيولوجيا للتعليم في المدارس، وقد طبع الكتاب في المطبعة الأدبية في بيروت عام ١٨٨٦-١٨٨٨. م.ن.، ص:٢١٩.

والأذهان أمام ما يمكن أن يحدثه هذا التطوير من خروج على الأصول والأعراف المتداولة.

ولم تكن عناية المدرسة وقفاً على الطلاب، بل عمّت البلدة بفضل رئيسها الذي كان يعقد مجلساً عاماً في منزل آل رضا ليلاً، حيث يجتمع القوم على اختلاف طبقاتهم، فيلقي فيهم دروساً دينية في العقائد والعبادات، كما كان يحضّ الناس على النهضة والتعليم ونبذ الجمود ومساعدة الطلبة والمشتغلين في طلب العلوم.

ونتيجة لهذه الخطوات التحديثية التي طبقها السيد محمد علي إبراهيم، سواء في داخل المدرسة عن طريق المناهج والأساليب، أو خارجها بعقده لحلقات التعليم والتنوير واليقظة، فقد بدأت العراقيل والمعاكسات تعيق عليه السبل، وراحت حملات المتعصبين والتقليديين من وجهاء المنطقة السياسيين والدينيين تشتدّ في وجهه، معتبرة ما قام به يمثل خرقاً لعاداتهم وتهديداً لميراث الطائفة وكيانها، وانتهت الأمور إلى إقفال المدرسة سنة ١٣٠٩هـ-١٨٩١م عندما قدم السيد حسن يوسف الحسيني من العراق وافتتح المدرسة الحميدية.[١]

وقد تخرّج في مدرسة النبطية عدد من المفكرين والأدباء. وقد تولتها فيما بعد جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في النبطية حتى أوائل الحرب العالمية الثانية. ثم آلت بعد ذلك إلى الدولة اللبنانية، حيث أصبحت نواة المدرسة الرسمية التي أدارها المربي عبد اللطيف فياض.

ويمكن القول إن المدرسة الحميدية التي أقيمت بعد إغلاق المدرسة الحديثة في النبطية، لم تكن إلا خطوة متراجعة ، سواء من حيث الدروس أو المنهاج، على الرغم من أن قيامها كان بعد مدرسة النبطية زمنياً. فعادت لتسير سيرة المدارس التقليدية التي كانت متبعة قبل ذلك. وهكذا انتهت الحركة التجديدية في التعليم في جبل عامل بانتهاء مدرسة النبطية وإقفالها الذي كان مؤشراً واضحاً إلى أن ظروف التعليم العصري لم تنضج ولم يحن وقتها بعد.

---

[١] محمد جابر آل صفا، تاريخ جبل عامل، ص:٢٥٠.

٢- مشروع لم يتمّ:

واستكمالاً لأهداف المدرسة الحديثة في النبطية، نشأت فكرة إقامة مدرسة كلية داخلية لتهذيب ناشئة جبل عامل على الأصول الجديدة. ومن أجل هذه الغاية اختير مكان لها في الربوة الواقعة جنوبي النبطية، المعروفة (بالرويس). ويعود الفضل في إطلاق فكرة هذا المشروع إلى المصلح رضا بك الصلح وقائمقام مرجعيون خليل بك الأسعد، الذي كان محباً للعلم ، راغباً في إيجاد نهضة في البلاد على أساس علمي. ومن أجل القيام بهذا المشروع النافع، وافى رضا الصلح النبطية سنة ١٣١١هـ-١٨٩٦م، وعقد اجتماعاً حافلاً بوجهاء البلاد، لكنه لم يسفر عن نتيجة إيجابية بسبب مناهضة بعض المحافظين الذين كانوا يرون في هذه المدارس القائمة على الأساليب العصرية خطراً على العقائد الدينية.[١]

وعلى الرغم من مساعي الإصلاح التعليمي في المنطقة، فقد واجه هؤلاء الإصلاحيون مقاومة قوية استطاعت عرقلة أعمالهم وإفشالها. وقد ساهم في ذلك نشأة الجيل القديم على التعليم التقليدي الرافض لأية محاولة للخروج عليه، واعتبار ذلك شكلاً من أشكال المسّ بالمقدسات. وكانت الفكرة السائدة لدى جمهور العامليين في ذلك الزمان قائمة على الاعتقاد بأن هذا النوع من التعليم سيؤدي بالناشئة إلى قطع علاقاتهم بجذورهم ويشوّه صفاء إيمانهم.[٢] ناهيك عن أن التعليم الحديث ارتبط ارتباطاً مادياً بمدارس التبشير المسيحي، مع ما يرافق ذلك من محاذير تدريس العلوم القادمة من الغرب المسيحي، وربما أوكل تعليم أبنائهم إلى مدرسين من غير المسلمين. وهذا النوع من التعليم لا بد له من أن يكون مرفوضاً ومقاطعاً شيعياً حتى لو كانت الفكرة صادرة عن أحد أبناء الطائفة.

المبادرة الرسمية:

إن عناية الدولة العثمانية بالجنوب على المستوى التعليمي لم تشمل جبل عامل، إذ إن المدارس الرشدية التي أنشأها مدحت باشا، والي سوريا، في مراكز الأقضية، والإعدادية في مراكز الألوية، لم تلحظ جبل عامل، وإنما اقتصرت على مراكز الحكومة

---

[١] محمد جابر آل صفا،"صفحات من تاريخ جبل عامل"،العرفان،مج٢٧،ج٥،١٣٥٦هـ-١٩٣٧م، ص:٣٨٩.

[٢] مقابلة مع السيد حسن محسن الأمين.

في الساحل.[١] وقد تركز نشاط التعليم الرسمي في مدينتي صيدا وصور، حيث الوجود الإسلامي السني هو البارز. وقد أنشأت السلطة العثمانية في صور مدرسة رشدية وبعض الابتدائيات في مرحلة لاحقة كان منها للإناث القسط الوفير. ونحن سنعرض لبعضها من خلال ما لدينا من وثائق.

١- المدرسة الرشدية:

أنشئت هذه المدرسة في صور سنة ١٢٩٣هـ- ١٨٧٥م، إلا أنها لم تستطع النهوض بدورها بسبب إهمال السلطة لها وعدم مدّها بأسباب رقيّها وازدهارها. وقد بقيت اسماً لغير مسمّى حتى سنة ١٣٠١هـ-١٨٨٤م،[٢] عندما أحضرت الولاية معلماً لهذه المدرسة وأخذ يباشر مهامه.[٣] فبدأت بالتحسن والنجاح بفضل اعتناء القائمقام والنائب فضلاً عن جهود المعلم المذكور. وفي احتفال فحص التلامذة عام ١٣٠٣هـ-١٨٨٦م، بحضور قائمقام القضاء، دلت أجوبة التلاميذ على نجاحهم فيما تعلموه من العلوم.[٤]

٢- إفتتاح مكتبين ابتدائيين للإناث في صور:

ومن المكاتب الابتدائية التي أنشأتها شعبة المعارف التابعة للسلطنة العثمانية، في صور، مكتب للإناث جرى افتتاحه عام ١٣٠٣هـ-١٨٨٦م، وتوافدت إليه الطالبات من جهات القضاء والقرى التابعة له.

---

[١] محمد جابر آل صفا، "صفحات من تاريخ جبل عامل"،العرفان، مج ٢٧، ج٥،١٣٥٦هـ-١٩٣٧م، ص:٣٨٦؛ ثمرات الفنون، عدد ٥٠٦، ٦ صفر ١٣٠٢هـ، الموافق١١ تشرين الثاني ١٨٨٤م، ص:١.

[٢] ذكرت ثمرات الفنون :"...لأن مكتب الرشدية تشكل في صور منذ عشرة أعوام لكنه اسم بدون مسمى." راجع: م.ن.، عدد ٥٣٤، ٢٥ شعبان ١٣٠٢هـ، الموافق ٢٧ آذار ١٨٨٥م، ص:٤.

[٣] ذكرت ثمرات الفنون: "أتانا من حاضرة الولاية معلم مكتب الرشدية وأخذ يباشر مأموريته فمأمولنا أن يتوفق لسد احتياج أولادنا." راجع: م.ن.، عدد٤٧٨، ١٧ رجب ١٣٠١هـ، الموافق ٣٠ نيسان ١٨٨٤م، ص:٤.

[٤] م.ن.، عدد ٥٨٤، ٥ رمضان ١٣٠٣هـ، الموافق ٢٦ أيار ١٨٨٦م، ص:٤.

كما تمّ افتتاح مكتب آخر سنة ١٣١١هـ-١٨٩٣م، بفضل مساعي قائمقام المنطقة المصلح رضا بك الصلح، الذي جهد لإنشاء مدارس في صور وقضاها، إحياءً للعلم وتنشيطاً للوطن. فبادر إلى افتتاح مدرسة ابتدائية للإناث جاعلاً مصاريفها مما تبرّع به أهل الغيرة والإحسان.[١]

وقد تميّز التعليم الرسمي في جبل عامل بظاهرتين اثنتين: أولهما الرعاية الرسمية الخجولة لهذا التعليم، كما تعكسه صورة المدرسة الرشدية وما عانته من نقص في الهيئتين الإدارية والتعليمية من جهة، ومن جهة أخرى، إحجام الناس عن إرسال أبنائهم إلى مثل هذه المدارس لعدم ثقتهم بها من الناحية الأكاديمية، وعدم اطمئنان الشيعة على أولادهم في تلك المدارس، لجهة كونها مدارس السلطة العثمانية، التي لن تراعي خصوصيات التعليم الديني لدى الطائفة الشيعية. بالإضافة إلى محاذير تتعلق بالتعليم العصري. أما الطلاب الذين أقبلوا على المدرسة فكانوا يقبلون عليها إجمالاً بهدف التعليم الأكاديمي غير الديني. ولم تعرف صور خلال القرن الماضي، على غرار ما عرفنا عن صيدا، تعليماً فوق مستوى الرشدية.

<u>**دور رضا الصلح في دعم مسيرة العلم بعامة، ومحاولات تحديثه في جبل عامل:**</u>

لايمكن إغفال الدور الإصلاحي التربوي لرضا بك الصلح في جبل عامل في العقدين الأخيرين من القرن الماضي، لجهة بثّ بذور التعليم المعاصر، وعمله في إطار توعية الناس وحثهم على ضرورة إدخال العلم الحديث إلى المنطقة، بعد أن استمرّ دينياً بحتاً طيلة القرن الماضي وما قبله. "وقد اهتم الرجل بنشر العلوم والمعارف، ومن حين وصوله إلى المنطقة ابتدأ يرغّب الأهالي ويحضّهم على الاجتناء من ثمرة العلم."[٢]

---

[١] ذكرت طرابلس الشام: "انه بظل الحضرة العلية الشاهانية أدام الله عرش سلطنتها على سائر البرية الساهرة على نجاح وفلاح سائر ممالكها المحروسة لقد سعى قائمقامنا الأفخم صلح زاده عزتلو حسن رضا بك بإنشاء مدارس في نفس صور وقضاها... ففي هذا النهار قد فتحت المدرسة المذكورة وشرفت لها كبار المأمورين والوجوه والأعيان للاحتفال بافتتاحها وتواردت الأطفال أفواجا أفواجا لكي يرتووا من منهل العلم العذب وغب أن غص المجلس بأهله." راجع: طرابلس الشام، عدد ٢٣، تاريخ ٩ صفر الخير ١٣١١هـ، الموافق ٢١ آب ١٨٩٣م، ص:٣.

[٢] م.ن.، عدد ٢٣، ٩ صفر الخير ١٣١١هـ، الموافق ٢١ آب ١٨٩٣م، ص:٣.

وليس خافياً أن الصلح هو أول من حاول إدخال العلوم العصرية إلى مدارس جبل عامل، من خلال التعليم الأهلي، عندما سعى في إنشاء المدرسة الحديثة في النبطية، ذات المناهج العصرية، كما سعى جاهداً من أجل إقامة المدرسة الكلية الداخلية في النبطية أيضاً والتي لم يكتب لها أن تبصر النور. إضافة إلى مساعيه المستمرة في تنمية التعليم الرسمي في صور وترقيه، فضلاً عن إنشائه عدداً من الإبتدائيات في المدينة، موليا تعليم الإناث عناية خاصة. ومما لا شك فيه بأن العلاقة الوطيدة التي ربطت بين مدحت باشا والي سوريا وبين رضا الصلح، في تلك الأثناء، كان لها الأثر الكبير في دفع الدور الذي تولاه الصلح في منطقة جبل عامل. فقد عرف عن مدحت باشا حبه للعلم، وتشجيعه لفكرة اعتماد العلوم الحديثة، وسعيه الدائم في إنشاء المدارس الحكومية والأهلية. كما أنه ارتبط بعلاقات وثيقة مع أهالي جبل عامل، وبخاصة زعماء آل الصغير، ولعب دوراً مهماً في توطيد الأمن والاستقرار في تلك المنطقة. بالإضافة إلى دعمه للتوجه الإصلاحي في التعليم والذي تمثل بشكل ظاهر في تأييده ومده لإقامة المدرسة الحديثة في النبطية كما في مشروع إقامة المدرسة الكلية الداخلية[١].

---

[١] لعب مدحت باشا دورا مهماً في توطيد مسيرة الأمن في جبل عامل عبر تعليق المشانق لكل من سولت له نفسه العبث براحة وسلامة الأهالي. كما منح الوظائف لأبناء جبل عامل وشكل قائمقامية مرج العيون بعدما كانت ناحية تتبع للنبطية وضم إليها بعض النواحي وعين لها خليل بك الأسعد قائمقاما كما عين نجيب الأسعد قائمقاماً على صهيون (لواء اللاذقية) بعدما كان من الصعب علىالفرد العربي وخاصة من أبناء الشيعة تبؤ مثل هذا المنصب. راجع: م.ن.، عدد ٢٣، ٩ صفر الخير ١٣١١هـ، الموافق ٢١ اب ١٨٩٣، ص:٣.

التعليم عند الشيعة خارج جبل عامل:

ومن الجدير ذكره هنا، وقبل أن نختم الحديث عن التعليم عند الشيعة في لبنان، هو أن هذه الحركة العلمية، القديمة والحديثة، التي شهدها جبل عامل، والتي استقت منابعها الأساسية من الأصول الدينية، لم تنسحب بمفاهيمها واستمراريتها وأشكالها، على باقي الشيعة في لبنان، وبخاصة الشيعة في منطقة البقاع – الهرمل، حيث لم نجد، فيما وقعنا عليه من مراجع وأخبار، أي إشارة إلى هذه المنطقة، كما لم نجد ذكراً لأي مدرسة أهلية قامت في القرن الماضي، على غرار ما حدث في جبل عامل، باستثناء المدرسة النورية البعلبكية، التي سبقت الإشارة إليها في بداية هذا الفصل، والتي تولى التدريس فيها الشهيد الثاني، خلال منتصف القرن السادس عشر الميلادي، ومدرسة الكرك، التي أنشأها الشيخ علي الكركي، في تلك الفترة الزمنية أيضاً.

أما على صعيد المبادرة الرسمية، فقد أنشأت قائمقامية بعلبك، في أوائل القرن الحالي، اثنتي عشرة مدرسة ابتدائية للذكور ومدرسة للإناث.[1]

إلا أن هذه المدارس واجهت، على ما يبدو، بعض الفتور والمقاطعة من الأهالي، ولم يظهروا حماستهم لإرسال أبنائهم إليها، مما أدّى إلى تعطيل دورها ووقف عملها. فبعد أشهر على إنشاء هذه المدارس، حضر المعلمون إلى عملهم كالعادة، واستدعوا التلامذة للالتحاق والدوام، لكن آباءهم أبوا إرسال أبنائهم إليها قائلين: "إنه لا يلزمنا مدارس ولسنا بحاجة إليها ولذلك رجع المعلمون إلى مركز القضاء."[2]

ومما يدعو إلى التساؤل في هذا المجال، هو إحجام الشيعة في البقاع عن احتذاء حذو إخوانهم في جبل عامل، في اتخاذ المبادرات الفردية أو الأهلية، لإنشاء مدارس لتعليم أبنائهم، علماً بأن وجودهم في بقعة متنوعة المذاهب والطوائف، كالسنة والمسيحيين على أطراف مناطقهم، كان يفرض مثل هذه المبادرات، على الأقل بدافع ديني. وقد يقودنا الظن بأن الموقف الشيعي السلبي من مدارس السلطة العثمانية كان وراء هذا الرفض الذي أشرنا

---

[1] ثمرات الفنون، عدد ١٣٧٩، ١١ صفر الخير ١٣٢٠هـ، الموافق ١٩ نوار ١٩٠٢م، ص:٦.

[2] م.ن.، عدد ١٤٥٥، ١٩ شعبان ١٣٢١هـ، الموافق ٩ تشرين ثاني ١٩٠٣م، ص:٦.

إليه في تقبّل المدارس المختلفة التي أنشأتها السلطنة، وقد يمكننا إضافة عامل آخر لهذا الواقع والذي يتمثّل بعدم توفر بعض العناصر المسؤولة، التي يمكنها أن تقدّم المبادرات أو تساهم في إنعاشها على غرار ما تهيأ لسكان جبل عامل.

الفصل الرابع

التعليم عند الدروز والعلويين في لبنان

- **التعليم عند الدروز:**

لمحة عن حال التعليم عند الدروز تاريخيا:

حرص الدروز على التعليم منذ نشوء المذهب الدرزي وتحديد مفاهيمه، إذ إنهم كسائر المسلمين يعتبرون التعليم فريضة عليهم، كما أنه الوسيلة الأكيدة لدرس وتعلم خصوصيات المذهب. ولعلّ الطائفة الدرزية قد أحدثت سبقاً مدنياً عندما فرضت على أبنائها التعليم بهدف إدراك الدين ومطالعة كتبه. فكان مفروضاً على عقالهم دينياً تعليم القراءة والكتابة للذكور والإناث كما أن أمراءهم وشيوخهم وأعيانهم و نساءهم أيضاً جميعاً يقرأون ويكتبون. أما الأميون منهم فقد خالف آباؤهم النصوص الدينية والوصايا الأدبية بإهمال تعليمهم.[١]

ومع نهاية القرن الثامن عشر، برز نوع من التعليم في الجبل، قلّ أن وجدناه أو شاع نظير له في البلاد الأخرى، وهو يتمثل بالمعلمين المتجولين الذين يأتون من الحواضر، ويعقدون حلقات التعليم في بعض القرى الدرزية. وكان هؤلاء يدرّسون مبادئ القراءة والكتابة والخط، ويتقاضون أجوراً عينية كالزيت والصابون والتين والزبيب وغيرها، كما أنهم كانوا ينتمون إلى مذاهب أخرى مختلفة.[٢]

وقد استمرّ التعليم عند الدروز خلال القرن الماضي، في العديد من القرى والبلدات الدرزية، قائماً على بعض المشايخ الذين درسوا على آبائهم وأنسبائهم ثم أخذوا ينقلون معارفهم إلى أبناء قراهم والقرى المجاورة ويعلمونهم مبادئ القراءة والكتابة.

---

[١] بطرس البستاني،دائرة المعارف(بإدارة فؤاد افرام البستاني)،مج٧،بيروت دار المعرفة،١٨٨٣ ص:٦٧٣.

[٢] راجع: رياض تقي الدين وشوقي حمادة وغسان الغصيني، "تاريخ التربية في بعقلين مبادرات رائدة ومحطات مضيئة"، يوم تكريم الطالب في بعقلين، المهرجان الأول، ١٩٩٥/٩/١٥، ص:١٨. (سنورده لاحقا تحت اسم الكاتب والمقالة).

أما بشأن تعليم الإنـاث، فـإن الـدروز سـبقوا الطوائـف الإسـلامية الأخـرى فـي هـذا المجال، نظراً لما أولوه من عناية واهتمام كبيرين لتعليم الفتاة الدرزية، عملاً بكل الوصايا الدينية الدرزية، التي أكّدت بشكل خاص على ضـرورة مساواة المـرأة بـالرجل فـي مجـال التعليم الديني، وضرورة أن تقـرأ المـرأة الدرزيـة "الحكمـة" وتفهمهـا. وإذا كـان لا بـدّ مـن المفاضلة بين تعليم المرأة أو الرجل فيجب أن تكـون الأفضليـة للمـرأة.[١] وقـد وردت عـدّة أقوال تثبت تعلم المرأة الدرزية على نطاق عريض خلال الفترة الماضية. فقد كتب بيجيـه دو سان بيار (Puget De Saint Pierre) في منتصـف القـرن الثـامن عشـر أن النسـاء الدرزيـات أحسن تعلماً في الدين من الرجال وهذا يعطـي النسـاء مـيزة كبـيرة.[٢] كمـا كتـب الكولونيـل تشرشل (Churchill) أنه فـي أيـام الأمير التنوخـي نـاصر الديـن حسـين (٦٦٨هـ-٧٥١هـ) (١٢٦٩م-١٣٥٠م) كانت القراءة والكتابة منتشرة حتى بين الإناث، ويتابع قائلاً: وفـي هـذا الإطار فإن نساء المشايخ الدروز يحتفظـن حتـى هـذا اليوم (أواسـط القـرن التاسـع عشـر) بتفوق بارز على بقية جنسهن في طول البلاد وعرضها.[٣] وكتب المؤرخ اللبنـاني ميخـائيل مشاقه منذ أكثر من مئة عام :"وأما نساء الدروز فقلما يوجد بينهم (بينهن) من الجاهلات أو من لا تعرف القراءة."[٤] وهذا يقودنا إلى الترجيح بأن نسبة غير قليلة من النســاء الدرزيـات كنّ يعرفن القراءة والكتابة خلال القرن الماضي.

---

[١] تذكر د. نجلاء أبو عز الدين أنه في مجال التعليم الديني :"على الرجـل أن لا يفضـّل نفسـه علـى المـرأة بحال من الأحوال. بل التفضيل بالأحرى من نصيب المـرأة."كمـا تنسـب د. نجـلاء إلـى أحـد أئمـة الـدروز السيد عبد الله قوله :"وإن كانت المرأة لا تعرف الخط ولا هو (الرجل) أيضا فيجلب لها من محارمها من يعلمها الخط ولو خسر على تعليمها جانباً من رزقه."راجع: نجلاء أبو عز الدين، الدروز في التاريخ، ط١؛ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٥، ص:٣١٣.

[٢] Puget de Saint Pierr, Histoire des Druzes peuple du Liban , Paris 1763, p:167

[٣] Charles Henry Churchill, Mount Lebanon, Ten Year's Residence 1842-1852, Vol 1, London 1853, P.287

[٤] يعلل مشاقه كلامه:"والسبب في ذلك دوام وجود البنت عند أمهاتهن فتصيرلهن فرصة للتعلم. وأما الذكور فيكونون مع والديهم فـي مسـاعدتهم علـى أشـغال المعيشـة فـلا يمتلكـون وقتـا يتعلمـون فيـه - (يتبـع)

التعليم في القرى:

تمثّل التعليم في القرى لدى الدروز، خلال القرن الماضي، بالمدارس القائمة على معلم واحد وغالباً ما يكون من المشايخ، يقوم بتعليم أبناء قريته والقرى المجاورة، مبادئ القراءة والكتابة في اللغة العربية بالإضافة إلى الحساب والخط وما كان يدرّس من علوم ذلك الزمان بالعربية في حدود التعليم الابتدائي وما دون. وكان بعض الميسورين من الدروز، في بعض الأحيان، يستحسنون استحضار المعلمين المشايخ إلى منازلهم لتعليم أبنائهم وتأديبهم. كما أن بعض العائلات الدرزية -وكما تبين لنا من خلال مطالعة كتب التراجم لأعلام الدروز- كانت ترسل أبناءها إلى مدارس الإرساليات المسيحية، التي كانت منتشرة في البلدات القريبة منهم، وذلك للاستفادة من خدماتها التعليمية، ولكن بالطبع، مع المحافظة التامة على خصوصية معتقداتهم وعاداتهم. وكانت كل مدرسة من هذه المدارس الصغيرة، تحتفل بما يسمى "بالختمة"، وهي تشبه تخرّج الطالب في مرحلة تدريسية معينة، وكانت هذه الختمة حقاً لكل طالب يختتم الجزء الأخير من كتاب "السراج المنير" وهو الجزء المعروف ب(رمل البحر). حيث يقام احتفال خاص بهذه المناسبة، يشبه إلى حدّ بعيد ما كانت تجري عليه العادة في الكتاتيب في لبنان. ومن طريف ما يروى في هذا المقام أن العامة من الناس كانت تفخر بالطالب الذي تخرّج وأنهى هذه المرحلة، فتشير إليه بالبنان في المجالس قائلين :فلان وصل إلى رمل البحر، أي الجزء الأخير من كتاب السراج المنير.[1]

ومن هذه المدارس في القرى:

١- مدرسة الشويفات

التي كان يعلّم فيها الشيخ مرعي شاهين سليمان، حوالي سنة ١٨٧٥م.[2]

- إلا نادراً . 'راجع:ميخائيل مشاقه، منتخبات من الجواب على اقتراح الأحباب، (تح. أسد رستم وصبحي أبو شقرا)، بيروت، ١٩٥٥، ص:١٢٩.

[1] مقابلة مع الأستاذ شوقي حمادة، بعقلين، ١٩٩٦/٦/٢٣.

[2] محمد خليل الباشا، معجم أعلام الدروز، ط١، مج١، لبنان، الدار التقدمية ١٩٩٠، ص:١٤٥.

٢- مدرسة عين عنوب

التي كان يعلم فيها الشيخ أسعد فيصل، حوالي سنة ١٨٨٠م.[١]

٣- مدرسة المناصف

أخذت هذه المدرسة اسمها من منطقة المناصف في قضاء الشوف،و كان يعلم فيها الشيخ إبراهيم الباشا في منزله في دير بابا سنة ١٨٩٤م، ثم اتفق أهالي كفر فاقود في أواخر القرن الماضي على إنشاء مدرسة في قريتهم، فدعوا الشيخ ابراهيم لتأسيس هذه المدرسة والتعليم فيها. فبقي في هذه المدرسة نحو سبع سنوات ثم عاد إلى دير بابا سنة ١٩٠٧، ومكث فيها حتى وافته المنية سنة (١٣٢٨هـ-١٩١٠م)، وحلّ محله في مدرسة كفر فاقود اسماعيل ناصيف.[٢]

٤- مدرسة المعلم أسعد ولي الدين

تأسست سنة ١٨٨٨م في بعقلين على يد معلمها أسعد ولي الدين، الذي كان يدير المدرسة ويعلم فيها منفرداً، ويقصدها الطلاب من بعقلين والقرى المجاورة، وكان مكانها في محلة تدعى بليط، وقد بدأها المعلم أسعد تحت "السنديانة"، على عادة المدارس التقليدية التي كانت منتشرة في جبال لبنان والمعروفة بهذه التسمية، حيث كان الطلاب يجتمعون تحت شجرة كبيرة في ساحة القرية، في العراء. وكانت مثل هذه المدارس تتوقف أيام الشتاء والثلوج. إلى أن تمّ تأمين غرفة للتدريس فيما بعد تقي الطلاب البرد والأمطار، فانتقلت إليها. أما مواد التعليم فيها فكانت تقتصر على بعض العلوم العربية والدينية بالإضافة إلى الحساب والخط. وقد استمرت هذه المدرسة في تأدية خدماتها حتى عام ١٩٤٧ عندما قررت السلطات اللبنانية توقيفها، وهنا تنادى أهالي البلدة وقدموا عريضة يشهدون فيها بالثقة

---

[١] م.ن.

[٢] محمد خليل باشا، معجم أعلام الدروز،، مج١، ص:١٨٩.

بالمعلم أسعد ولي الدين لأن الشهادة من الإيمان.[١] وقد ضمت المدرسة من بين طلابها كلاً من الكاتبين سعيد وخليل تقي الدين.[٢]

٥- مدرسة المختارة

نشأت هذه المدرسة في السنوات الأولى من النصف الثاني للقرن التاسع عشر، وكانت تعنى بتدريس العلوم العربية. واللافت في هذه المدرسة أنها لم تكن مدرسة لعموم الأهالي، وإنما خاصة أنشأها إقطاعي المنطقة سعيد بك جنبلاط لتعليم ابنيه نجيب ونسيب. إلا إن المدرسة ضمت بالإضافة إلى البيكين الصغيرين عدداً من أبناء الأصدقاء والموظفين في خدمة سعيد بك. ولم يكن هذا النوع من المدارس منتشراً في الجبل إلا أنه كان معروفاً في البيوتات الإقطاعية. وميزة المدرسة أنها كانت تضمّ تلميذاً من النصارى. وكانت مواد التدريس تقتصر على علوم العربية بفروعها، حيث كان الطالب يدرس ديوان ابن الفارض غيباً ويقول القصيدة اليائية عن ظهر قلب إلى آخرها دون توقف، وكذلك ألفية ابن مالك وقصيدة لامية العرب. أما هيئتها التعليمية فكانت تتلخص بالشاعر الشيخ ابراهيم الأحدب الذي كان يتولى تدريس العربية بفنونها.[٣]

وكان عدد طلابها عام ١٨٥٦ تسعة هم: الشيخ صالح والشيخ حسن وهما ولدا الشيخ قاسم حصن الدين (مستشار سعيد بك)، والشيخ قاسم ابن الشيخ حسين شمس من غريفة وهو (صراف البيك)، وحسن ابن الماس من (عبيد البيك)، وأسعد أبو صوان الذي

---

[١] راجع: الوثيقة رقم -٥- المرفقة في نهاية هذا البحث.

[٢] رياض تقي الدين وشوقي حمادة وغسان الغصيني، "تاريخ التربية في بعقلين مبادرات رائدة ومحطات مضيئة"، ص:١٨.

[٣] يستذكر شاكر الخوري دروسه في المدرسة ليخبرنا أنه كان يسمع قصيدة لامية العرب: "التي لم أزل حافظها للآن بعد طول هذه المدة فلا شك أن هذه الكتب العظيمة وخصوصاً الشعر كان يعلم العربية على حقها وحيث الشعر موزون فيلزم قائله أن يلفظ جميع حركاته فيتعود على اللفظ الصحيح وكذلك لسهولة حفظ الشعر تبقى القواعد المذكورة فيه مدة مديدة بعكس ذلك النثر فانه ينسى بسهولة." راجع: شاكر الخوري، مجمع المسرات، (تقديم الياس قطار)، ط٤، بيروت، دار لحد خاطر، ١٩٨٥، ص:٢٨.

كان والده ووالدته من (خدمة البيك)، وعلي حسن طليع ابن شيخ العقل من الجديدة، وشاكر الخوري ابن (كاتم أسرار البيك).[١]

أما موقع المدرسة فكان في المختارة، حارة المشايخ، بيت نجم جنبلاط، (في المحلة التي قتل فيها نعمان بك أولاد عمه فوق الميدان الشرقي).[٢]

أما طريقة الدروس فكانت تتم على أساس أن يسمع كل طالب درسه بعد إنهاء درس البكوات.[٣] ولا نعلم الزمن الذي استمرت فيه المدرسة.

المبادرة الرسمية:

١- المدرسة الداودية:

نشأت المدرسة الداودية بجهود مشتركة من الأهالي والأعيان في الطائفة الدرزية من جهة ومن متصرف جبل لبنان داود باشا. وبدأت قصة تأسيس المدرسة عندما شعر الدروز بحاجتهم إلي مدارس لتعليم أبنائهم وتأديبهم. فتقدم سعيد تلحوق، أحد وجهاء الدروز، من المتصرف داود باشا بطلب يعرض فيه حاجة الدروز إلي مدارس، مقترحاً إنشاء مدرسة للعلوم العربية واللغات الأجنبية.[٤] فرفع داود باشا هذا الالتماس إلى الباب العالي وصدرت الإرادة السنية بإجابة طلبهم.[٥] على أن تعتمد المدرسة في تأمين نفقاتها على ربع أوقاف الدروز، كما وافق المتصرف على تحويل خلوات الشيخ أحمد أمين الدين

---

[١] يذكر شاكر الخوري قصة قدومه إلى مدرسة المختارة فيقول: "في سنة ١٨٥٦ أحضرني والدي معه إلى المختارة لأنه كان يحمل مستخدماً في المقاطعة بصفة كاتم أسرار المقاطعجي سعيد بك... فأركبني والدي حماراً وعليه فرشتي وأخذني مسافة ثلاث ساعات نحو الشمال إلى أن وصلنا إلى المختارة. فلأجل هذه المدرسة أحضرني والدي من بكاسين." راجع: م.ن.، ص:٢٧.

[٢] م.ن.

[٣] م.ن.، ص:٢٨.

[٤] محمد خليل الباشا، معجم أعلام الدروز، مج١، ص:٢٤٠.

[٥] م.ن.، ص: ٢٤٠؛ بطرس البستاني، دائرة المعارف،مج٧، ص: ٦٧٧.

في قرية عبيه إلى مدرسة.[١] وهكذا أنشئت أول مدرسة للدروز في لبنان عام ١٨٦٢م وسميت بالداودية عرفاناً باعتناء داود باشا في إنشائها. وقد عهدت إدارة المدرسة في أول الأمر إلى لجنة مؤلفة من القائمقام وشيخي العقل ووكيل الطائفة، إلا انه في سنة ١٢٩٦هـ- ١٨٧٨م عدل نظام المدرسة ونقلت إدارتها إلى عمدة مؤلفة من اثني عشر عضواً من أعيان الدروز يترأسها قائمقام القضاء.[٢]

وكانت واردات المدرسة من الأوقاف في بداية عهدها عبارة عن أربعين ألف غرش سنوياً[٣]، أما أساتذتها فكانوا من طوائف ومذاهب مختلفة، وكان أولهم المعلم اسعد الشدودي الذي كان يدرّس فيها الرياضيات واللغتين العربية والإنكليزية. ثم جاءها المعلم فضل الله الغرزوزي، فزاد على ما كان يعلمه الأستاذ الشدودي علم الفرائض. وبالإضافة إليهما كان سعد الله البستاني وغطاس البعبداتي وفاضل الخوري من بحمدون، وأحمد حسن سليم من جباع، وعلي بك ناصرالدين ونجله أمين بك في عهدها الأخير.[٤] ودرّس بالمدرسة أيضاً العالم الشيخ احمد عباس الأزهري بعضاً من العلوم العربية والدينية كما درّس الفرنسية اسكندر زيادة.[٥] وفي السنوات الأخيرة من القرن الماضي كان بالمدرسة أستاذ

---

[١] محمد خليل الباشا، معجم أعلام الدروز، مج١، ص:٢٤٠؛ نقولا زيادة، ابعاد التاريخ اللبناني الحديث، القاهرة: جامعة الدول العربية ١٩٧٢، ص:١٩٣. ويقول بطرس البستاني انه كان للطائفة الدرزية في ذلك الوقت اوقاف تدعى بأوقاف عامة كانت توزع قبل تأسيس المدرسة على الفقراء والمحتاجين من عقالهم. راجع: بطرس لبستاني، دائرة المعارف،مج٧، ص: ٦٧٧.

[٢] كان يتم انتخاب عمدة المدرسة على الشكل التالي: "ان يدعو القائمقام لا أقل من مئة وخمسين شخصا من أعيان روجوه الطائفة فينتخبون اثني عشر شخصا، والاثنا عشر أي (العمدة) ينتخبون رئيسا لهم منهم وقد جرت العادة ان ينتخبوا القائمقام في جملة الاثني عشر فيتفقون على انتخابه رئيسا للعمدة وذلك لغاية المحافظة على المدرسة واوقافها بما يكون بيده من سلطة الحكومة فيكون أقدر على المحافظة من غيره. راجع:م.ن.؛ نقولا زيادة، أبعاد التاريخ اللبناني الحديث، ص:١٩٣.

[٣] بطرس البستاني، دائرة المعارف،مج٧، ص: ٦٧٧.

[٤] نقولا زيادة، أبعاد التاريخ اللبناني الحديث، ص: ١٩٤.

[٥] ثمرات الفنون، عدد ٢٧،١٦٥ جمادى الثانية ١٢٩٥هـ، الموافق ١٧ حزيران ١٨٧٨م، ص:٣.

الفرنسية يوحنا يوسف الخوري.[١]

وكانت مواد التدريس تضمّ بالإضافة إلى الإنكليزية والافرنسية، العربية بفروعها كالصرف والنحو والعروض والبيان، والخط العربي وعلم الحساب والجغرافيا.[٢]

ولم تكن كتب التعليم تختص كل بمادة وانما كانت كتباً جامعة لعدة اختصاصات. وفي السنوات الأولى من القرن العشرين ظهرت عناية من المتصرف باللغة العثمانية[٣] خاصة وأنه كان لزاماً على طالبي الوظائف والمناصب معرفة اللغة التركية. وقد بدأت المدرسة مسيرتها على أن تتسع لثلاثين طالباً منهم عشرة تلاميذ يتعلمون مجاناً على نفقة المدرسة والباقون يدفعون مرتباً عن كل تلميذ ستماية غرش سنوياً[٤]. وارتفع فيما بعد إلى ثمانماية للطالب الواحد.[٥] وفي عام ١٨٨٣م كان فيها أربعة وعشرون تلميذاً بالإضافة إلى ناظر ومعلمين.[٦] وقد كان من تلامذتها سنة ١٢٩٥هـ- ١٨٧٨م كل من شامل عبدالملك وفرحان حماده (الذي لقب بشاعر الجنرال لقدرته على ارتجال الشعر الفرنسي، كما أن له ديواناً مخطوطاً لم ينشر لتاريخه)، وطعان قاسم[٧] وعباس حميه(الذي اصبح محافظ بيروت

---

[١] الصفاء، ج٤، السنة٥، جمادى الثانية ١٣١٥هـ، الموافق تشرين الثاني ١٨٩٧م، ص:١١٤.

[٢] بطرس البستاني، دائرة المعارف،مج٧، ص: ٦٧٧.

[٣] ذكرت ثمرات الفنون:"صدر أمر نظارة المعارف الجليلة بناء على انهاء حضرة دولتلو مظفر باشا متصرف جبل لبنان بتعيين ثلاثماية قرش راتباشهريا لمعلم العقائد واللسان العثماني في المدرسة الداودية الدرزية الكائنة في قرية عبيه في قضاء الشوف تصرف من صندوق المعارف في مركز الولاية الجليلة." راجع :ثمرات الفنون، عدد ١٤٦٧، ٢٢ ذي القعدة ١٣٢١هـ، الموافق ٨ شباط ١٩٠٤م، ص:٤.

[٤] م.ن.، ص: ٦٧٧.

[٥] نقولا زيادة، أبعاد التاريخ اللبناني الحديث، ص:١٩٣.

[٦] بطرس البستاني، دائرة المعارف،مج٧، ص:٦٧٧.

[٧] ثمرات الفنون، عدد ١٦٥، ٢٧ جمادى الثانية ١٢٩٥هـ، الموافق ١٧ حزيران ١٨٧٨م، ص:٣.

الممتاز)، ومحمود تقي الدين(الذي اصبح محافظاً لجبل لبنان)، وسامي العماد وتامر العماد.[١] كما كان بين طلابها عام ١٣١٥هـ -١٨٩٨ م علي تلحوق وعباس المصفي(الذي أصبح من المسؤولين الإداريين في جريدة الأهرام المصرية ومن كبار محرريها).[٢] كما ضمت عدداً قليلاً من الطلاب غير الدروز، وبخاصة من المسيحيين. وقد اهتمت إدارة المدرسة اهتماماً كبيراً بالطلاب المتفوقين، وأظهرت لهم رعاية مميزة، لتشجيعهم وحثهم على المثابرة، ومن مظاهر هذه الرعاية إن الإدارة كانت تخصص في نهاية كل عام، جوائز لمثل هؤلاء الطلاب وهي عبارة عن كتب متنوعة في محتواها كانت تقدم لهم مجاناً للاحتفاظ بها ودوام مطالعتها مع مهرها بخاتم المدرسة وكلمة ثناء من مدير المدرسة.[٣]

ولم تسلم مسيرة المدرسة من بعض التراجعات التي كانت تصاب بها جراء بعض العقبات فتشكل مانعاً أمام نجاحها ورقيها[٤] في فترات معينة، وهذا ربما عائد لارتباط الوضع الإداري والتربوي في المدرسة بالوضع السياسي القائم في الجبل بشكل مباشر.[٥] إلا أن المدرسة كانت تسعى لتجاوزها بهمة معلميها والراعين لها. وعلى الرغم من أن هذه المدرسة قامت بمسعى وتمويل من أهالي الطائفة الدرزية، فإنها طالما اعتبرت

---

[١] المنار، مج١، ج٥، ١٣٤٥هـ-١٩٢٧م، ص: ٢٩٥؛ الكشاف، مج١، عدد٥، ١٣٤٥هـ-١٩٢٧م، ص:٢٩٥.

[٢] الصفاء، ج٨، السنة ٥، شوال ١٣١٥هـ، الموافق آذار ١٨٩٨م، ص:٢٢٦؛ مقابلة مع الاستاذ شوقي حمادة.

[٣] راجع: الوثيقة رقم -٦- المرفقة في نهاية هذا الفصل.

[٤] ذكرت ثمرات الفنون: "ان مدرسة عبيه المعروفة (بالداودية) المختصة بطائفة الدروز كثيراً ما كان يعترض في وجه نجاحها موانع لكنها من مدة والحمد لله زالت حيث رفع حسن سليم (احد اساتذة المدرسة) من مكانتها فظهرت علامات النجاح."راجع: ثمرات الفنون، عدد ١٦٥، ٢٧ جمادى الثانية ١٢٩٥هـ، الموافق ١٧ حزيران ١٨٧٨م، ص:٣.

[٥] يذكر نقولا زيادة: "ان تبدل القائمقام بتبدل السياسة أو تبدل السياسة بتبدل القائمقام قد أضر بالمدرسة فجعلها تتقلب مع السياسة ادارة وتعليماً كما هو معروف." راجع: نقولا زيادة، أبعاد التاريخ اللبناني الحديث، ص:١٩٤.

حكومية بسبب رعاية الدولة لها ووصايتها عليها من خلال المتصرف والقائمقام. وقد برزت عناية خاصة بالمدرسة من رئيسها الأمير مصطفى ارسلان الذي كان يحرص على زيارة المدرسة أثناء الامتحانات، والإطلاع على أوضاعها والاهتمام باحتياجاتها خلال فترتي رئاسته لها الأولى[1] والثانية.[2]

وقد أدت المدرسة دوراً تربوياً ريادياً على مستوى تعليم أبناء الدروز خلال النصف الثاني من القرن الماضي. وهي على بساطة إمكاناتها وتأثيرها بسبب قلة عدد طلابها ودنو مستواها التعليمي، إلا أنها أهلت العديد من أبناء دروز الجبل لمتابعة التحصيل العلمي إذ إنها كانت المدرسة الدرزية الوحيدة الموجودة آنذاك بمفهوم المدرسة الصحيح.

وقد استمرت هذه المدرسة حتى بداية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ عندما أغلقت أبوابها، ولم تستأنف الدراسة فيها إلا في سنة ١٩٣١ حينما أصبحت مدرسة أهلية طائفية (درزية)[3] ولا تزال حتى يومنا هذا تحمل الاسم نفسه.

---

[1] ذكرت ثمرات الفنون: "...وقد شرفها (المدرسة) سعادة الأمير مصطفى ارسلان قائمقامنا الأكرم في يوم الأحد الماضي وجرى فحص تلامذتها بحضوره في العربية والفرنساوية فأبدوا البراعة مما يستحق الاعتبار والثناء على حضرة معلميها... كما أبدى سعادة القائمقام المومأ اليه الممنونية والتشكر من همة المعلمين ونجاح التلامذة." راجع: ثمرات الفنون، عدد ٢٧،١٦٥ جمادى الثانية ١٢٩٥هـ ، الموافق ١٧ حزيران ١٨٧٨م، ص:٣.

[2] ذكرت "الصفاء": "كان يوم الاثنين الواقع في السابع من آذار موعدا لامتحان طلبة المدرسة الدرزية في عبيه لنصف السنة فأقبل السري الهمام ذو السعدة حضرة الأمير مصطفى الأمين رئيس المدرسة ليشهد الامتحان وبعد ان جرى استقباله بما يليق به من التجلة ولج بهو المدرسة وما لبث الا قليلا حتى نهض يريد ردهة الدرس يحف به زمرة من الأدباء ولما شام الطلبة برق هيبته هتفوا بتحيته وانبأت وجوههم عما أكنته افئدتهم من الابتهاج الذي خامرها بمرآه فقابلهم باللطف والبشاشة. ثم شرعوا بالقاء الأسئلة على الطلبة فكانوا يجيبون عليها بمنتهى البراعة وابدوا من النباهة والذكاء ما شهد بمزيد اعتنائهم في تحصيل العلوم ومهارة اساتذتهم وسهرهم على نجاح التلامذة فسر سعادة الرئيس مما شاهد من نجابتهم شديداً. وبعد نهاية الامتحان تلا البعض من الحضور خطبا اثنوا فيها على سعادة الأمير لكونه مستفرغا جهده لتغدو المدرسة في مصاف المدارس المهمة." راجع: الصفاء، ج٨، السنة ٥، شوال ١٣١٥هـ، الموافق آذار سنة ١٨٩٨م، ص:٢٢٥-٢٢٦.

[3] رودريك دونالد ماثيوز ومتى عقراوي، التربية في الشرق الأوسط العربي، القاهرة : مجلس التعليم الأميركي بواشنطن، ١٩٤٩، ص:٦٧٣.

وبخلاف هذه المدارس الفردية، أو الأهلية المشتركة، التي وقفنا عليها في المراجع والمقابلات الشخصية، فإننا لم نجد ذكراً لمدارس أو نشاطات أخرى تمت بمبادرات فردية أو رسمية عند الدروز في لبنان ولربما يعود ذلك إلى سببين يتعلقان بالطائفة الدرزية بالذات وهما: اعتماد الدروز على مشايخهم في نقل المعرفة والعلم إلى الأبناء، في القرى والبلدات النائية، والاكتفاء بهذا الواقع دون التوسع به إلى إنشاء مدارس نظامية أخرى، وبالمقابل اعتماد البعض الآخر على مدارس الإرساليات وعدم اعتراضهم على إرسال أبنائهم إليها للتزود بما تقدم من العلوم، وهذا أيضاً ما حدّ من توفر الدوافع لتنشيط المبادرات والسعي لاقامة العديد من المدارس الخاصة بالطائفة على غرار ما تم عند بقية المسلمين في المناطق الأخرى.

- **التعليم عند العلويين في لبنان:**

واجهتنا عقبات كثيرة خلال بحثنا حول قضية التعليم لدى الطائفة العلوية في لبنان خلال القرن التاسع عشر. وقد تمثلت هذه العقبات بعدم ورود أية أخبار عن الحياة التعليمية لدى العلويين في صحف القرن الماضي من جهة، وغياب المصادر المكتوبة عن هذا الموضوع من جهة أخرى. وبعدما أعيتنا الحيلة لجأنا إلى الشيخ أسد عاصي،[١] وعقدنا معه جلسات عدة بغية تسليط الضوء على هذه القضية وتنوير جوانبها. وقد أمدنا الشيخ عاصي، بكثير من الصراحة والعقلية المنفتحة، بجزء كبير من المعلومات حول كيان الطائفة التاريخي ووجودها في لبنان، واسهب بتوضيح الظروف السياسية والاجتماعية التي احاطت بهذه الطائفة والعوائق التي واجهتها اثناء الحكم العثماني، كما وضع امامنا الأسباب التي حالت دون اقامة المدارس وانتشار التعليم بين ابنائهم. وإن أمانة البحث تدعونا هنا للاعتراف بأن جلّ ما نعرضه ونناقشه يعود الفضل به الى الشيخ عاصي الذي شكل بالنسبة لنا مصدرًا رئيسًا لهذا الفصل.

تاريخ الوجود العلوي في الشمال:

لعل الوجود العلوي في منطقة شمالي لبنان قديم جداً، وربما عاد تاريخه إلى القرن الأول الهجري، وتحديداً إلى فترة معركتي صفين والجمل وعاشوراء، ونفي ابي ذر الغفاري إلى الشام ومنها إلى جبل عامل. ويطيب للبعض أن يذكر أن هذا الوجود قد استمر، وإن أقل، مع بداية القرن الرابع عشر الهجري-التاسع عشر الميلادي، عندما جرّد السلطان محمد بن قلاوون، من سلاطين المماليك البحرية في مصر، حملة عسكرية عام ١٣٠٥هـ-١٨٨٧م وسيّرها برجاله إلى جبال كسروان في لبنان بهدف القضاء على الطوائف الشيعية هناك . وكان بين الذين فتك بهم، العلويون (النصيرية) الذين كانوا

[١] مقابلة مع الشيخ أسد عاصي(المرجع المؤقت للطائفة العلوية في لبنان)، طرابلس: ١٩٩٦/٥/٤.

موجودين في المنيطرة والعاقورة ونواحي البترون وعكار والضنية ثم امتدوا إلى كسروان قبل عام ١٣٠٥هـ- ١٨٨٧م. والذين نجوا من الموت من هؤلاء رحلوا إلى الشمال واللاذقية وإنطاكية واعتصموا في جبالها وبقي القليل منهم في لبنان.[1]

التعليم عند العلويين خلال القرن الماضي:

لقد شاب قضية التعليم لدى العلويين في لبنان خلال القرن الماضي الكثير من الغموض والضبابية بسبب غياب الوثيقة التاريخية التي تتحدث عن هذا الموضوع، بالإضافة إلى أن الطائفة العلوية لم تكن خلال القرن الماضي وما قبله على حال من الشخصية المتماسكة ذات المنهج المقرر، لأنها كانت تفتقر إلى مقومات حياتية وأمنية. فقد مثّل العلويون خلال تلك الفترة حالة من النقمة على الحاكم الذي طالما اعتبروه ظالماً ومضطهداً لهم، كما خاضوا صراعاً شرساً مع الجهل الذي كان شبه شامل بين أبنائهم، بالإضافة إلى المعاناة الكبرى جراء الفقر المدقع الذي كان يرزح تحته العلويون، ويصارعونه من أجل البقاء.

كذلك استمر التعليم لديهم في لبنان خلال القرن التاسع عشر تعليماً تقليدياً بدائياً. ولم تعرف الطائفة العلوية نشوّ المدارس العصرية الحديثة في صفوف أبنائها إلا في القرن العشرين.

وقد تمثل التعليم لدى العلويين خلال القرن الماضي في المشايخ الذين يعلمون الأولاد بعض المواد التعليمية العربية البسيطة في زوايا البيوت. وكانت هذه الزوايا منتشرة في القرى العلوية بمعدل زاوية في كل قرية أو قريتين. وكان شيخ الزاوية يدرّس الذكور دون الإناث، القرآن الكريم واللغة العربية ومبادئ الحساب والخط. أما الطلبة فكانوا يدفعون نظير تعليمهم بدلات عينية من محصلات البيوت كبيض الدجاج أو الصابون أو غير ذلك.

ولم يكن تعليم الزوايا لدى العلويين خلال هذه الفترة حالة عامة مؤمنة للجميع، وانما كان التعليم مقتصراً على طبقة من الناس الأثرياء والشيوخ أو الذين يعودون إلى

---

[1] محمود الصالح، النبأ اليقين عن العلويين، ط٢؛ دمشق: مطبعة عكرمة، ١٩٩٣، ص:١٥٨-١٥٩.

عائلات بارزة. إذ كان نادراً ان يجد المرء بين عامة الناس من يستطيع ان يقرأ صحيفة أو رسالة.

أما الفقراء، وهم الأغلبية، الذين لا تسمح ظروفهم الاقتصادية والمعيشية بالذهاب إلى زوايا البيوت لتعلم القراءة والكتابة، فكان لهم تعليمهم الخصوصي القائم على التلقين الإخباري المعتمد على قوة الذاكرة، إذ كان هؤلاء يكتفون بما يرثونه من العلوم الدينية عامة والمذهبية خاصة عن طريق الآباء والأجداد، وإن بقوا أميين لا يفقهون القراءة والكتابة. وكانت المجالس الليلية في البيوت العلوية كثيراً ما تضم بعض الرواة والقصّاصين من أبناء القرى، الذين كانوا يقصّون على المجتمعين سير أهل البيت وغيرها من سير عنترة وابي زيد الهلالي. وكثيراً ما كان يوجد بين هؤلاء من يحفظ العديد من الآيات القرانية والأحكام الدينية الأخرى وهو اميّ لا يقرأ ولا يكتب.

ولم تكن مصادر العلم والثقافة لدى شيوخ الزوايا جميعاً مستقاة من مدارس دينية كالأزهر أو النجف مثلاً، وإنما كانت علوم الشيخ تؤخذ من الجو الثقافي العام للطائفة و(كابراً عن كابر) أي شيخاً عن شيخ. أما دوافع التعليم فلعلها تعود لأسباب أساسية وجوهرية متعلقة بالحفاظ على المذهب العلوي بين سائر المذاهب، أولها إن التعليم لدى المسلمين واجب وفريضة وهو تكليف ديني: "اقرأ باسم ربك الذي خلق." ولكون العلوي يستند في حياته إلى سيد أو مرشد يعلمه علوم آل البيت من البيت العلوي، وكان هذا السيد أو المرشد الذي يعلم الأولاد في القرى يدعى "الخطيب"، وكان واجباً على الإنسان العلوي أن يتعلم تعاليم مذهبه بهدف "نجاة الروح". وإذا تخلى عنها ولم يعتنقها بشكل صحيح ذهب بروحه إلى النار.

ولم تستطع الطائفة العلوية خلال القرن الماضي أن تتجاوز هذا النوع من التعليم إلى تعليم أرقى(أي المدارس التي ترقى علومها على علوم زوايا البيوت) ، وذلك بسبب الأوضاع الاقتصادية المعيشية المتردية التي كان عليها العلويون. فكانوا يعيشون هواجس الخوف والقلق والضياع والجوع والفقر في ظل حاكم ظالم مستبد، بالإضافة إلى الخوف على المصير ممزوجاً بالصراع من أجل البقاء بسبب ما توالد عن فتوى ابن تيميه التي أحلت هدر دماء العلويين والشيعة. فكل هذا حال دون اهتمام العلويين بتطوير وضعهم

التعليمي إذ كان جلّ اهتمامهم في ذلك الوقت منصباً على تأمين أبسط مقومات العيش من الطعام مع الاحتفاظ بدينهم ومعتقدهم.

المبادرة الرسمية وموقف العلويين منها:

لو شئنا دراسة الوضع التعليمي للعلويين في لبنان لأوجب ذلك علينا دراسته في سوريا، لأنه من الصعب الفصل بينهما إذ كانت الطائفة في سوريا تمثّل العمق الديمغرافي الطبيعي للعلويين في لبنان.

وعلى الرغم من ان الطائفة العلوية في شمالي سوريا عاشت نهضة تعليمية على مستوى المبادرة الرسمية (العثمانية)، فإننا لم نجد لها أصداء في لبنان. ففي نهاية القرن الثالث عشر الهجري –النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي أدرك أحد أعيان جبل العلويين الشيخ أحمد علي احمد أن الوسيلة الأنفع لتحسين أوضاع العلويين هي العلم، فراح يعمل من أجل تعميم العلم في المناطق العلوية، مدركاً أن هذا لا يمكن أن يتم إلا من خلال مساعدة ومعاونة الدولة العثمانية، فالتقى متصرف اللواء (ضيا باشا) أكثر من مرة وبحث معه حالة العلويين وتطرّق إلى الصور المشوّهة المنقولة عنهم، طالباً منه المساعدة لإنقاذهم من الجهل والأمية، من خلال بناء مساجد في أوساط قراهم تكون مواضع للصلاة وبالوقت ذاته تكون مدارس للتعليم، فوعده المتصرف خيراً. وبعد تقديم رسالة بهذا الصدد من الشيخ إلى الباب العالي، بواسطة المتصرف الذي ذيلها ببعض الشروحات الداعمة لتحقيق غايتها، قُبل الطلب فأصدر المتصرف أمراً يقضي ببناء ست وثمانين مدرسة على نماذج مساجد منتشرة في أوساط قرى العلويين. فشيدت المدارس وبعث إليها المعلمون يعلمون فيها، بعد أداء الصلوات، قراءة القرآن الكريم وحسن الخط والعلوم المتبعة يومئذ.[١]

وعلى الرغم من ذيوع هذه النهضة التعليمية الرسمية في جبال العلويين في سوريا، فإننا وجدنا أن هذه الحركة لم تمتد إلى مناطق العلويين في شمال لبنان، ولم يجن العلويون أدنى فائدة من التعليم الرسمي إذ إن عناية الدولة العثمانية على المستوى التعليمي في شمالي لبنان لم تشمل مناطق وجود الطائفة العلوية.

---

[١] محمود الصالح، النبأ اليقين عن العلويين، ص:١٩٥-١٩٦-١٩٧.

ونحن نجهل الأسباب الكاملة التي حالت دون وصول النهضة التعليمية لدى العلويين في سوريا إلى إخوانهم في لبنان، إلا أن هناك من يرد ذلك إلى أن تلك النهضة في سوريا كانت بمبادرة خاصة وشخصية، ولم تستطع أن تخترق جمهور العلويين الذين كانوا بسوادهم الأعظم من المحافظين الرافضين للتجديد، بدليل أنها لم تستمر مدة طويلة. ثم إن الزعامات العلوية والتواجد الأكثر كثافة للطائفة كان مركزاً في شمالي سوريا، لذلك ما اقتضته الظروف هناك ربما لم تقتضه في لبنان. وكان لتوافق الشيخ أحمد علي أحمد مع المتصرف ضيا باشا الأثر البالغ في إحداث النهضة التعليمية في سوريا لما أبداه متصرف اللواء من حماس واندفاع تجاه ضرورة تعليم العلويين ورعايتهم، بدليل زوال النهضة إثر موت الشيخ وانتقال المتصرف من اللواء المذكور.

أما عدم شمول المناطق العلوية في لبنان الرعاية التعليمية الرسمية فيعود لعدة أسباب:

أولاً: عدم اعتراف السلطنة العثمانية بكيان الطائفة العلوية وحقوقها في المجتمع وبالتالي عدم اهتمام العثمانيين بتأمين مدارس تقوم بتعليم أبناء العلويين وتربيتهم.

ثانيا: رفض العلويين ضمناً لأي مبادرة تعليمية قد تصدر عن السلطنة العثمانية التي كانت تمثل لهم الدولة الغريبة المستعمرة، وحرصهم على المحافظة على خصوصية تعليمهم. وهذا الرفض لم يكن واضحاً ولم يكن العلويون يقرون به صراحة لاعتبارات عدة منها الخوف والضعف، وكانوا يتحججون بمسائل وأعذار للتهرب من التعليم الرسمي.

ثالثاً: بالإضافة إلى ذلك فإن العلويين لم يتوقعوا من الدولة العثمانية، التي كانت تبدي عداءها العلني لأمير المؤمنين علي وآل بيته،أن تقوم بإنشاء مدارس لهم، فالتعصب الديني المتبادل كان القضية التي شكلت قطيعة اعتقادية طبيعية متبادلة بين العلويين والدولة العثمانية، مبنية على الخلاف في العقائد المذهبية، إضافة إلى ظلم العثمانيين للعلويين وإلى الفقر المستشري بينهم.

موقف الطائفة العلوية من التعليم الخاص:

مثل موقف الطائفة العلوية من التعليم الخاص الإسلامي والمسيحي مقاطعة تامة وشاملة، إذ لم يكن الأب العلوي ليرسل ولده إلى مدرسة إسلامية سنية بسبب خصوصية التعليم لدى الطائفة وحرص أبنائها في الحفاظ على مبادئه، التي تقوم على تقديم ولاء أبناء الطائفة لأمير المؤمنين علي وآل بيته أولاً، في حين إن مدارس التعليم الاسلامي السني الخاص لا تراعي هذه الخصوصية المقدسة لدى العلويين، بل على العكس فهي، ومن خلال ما تلقنه من علوم دينية، تعمد إلى تقديم فضائل الصحابة على فضائل أمير المؤمنين وآل بيته.

والتعليم الإرسالي المسيحي كذلك كان يلقى الموقف السلبي نفسه وللأسباب عينها، يضاف إليها أن نظرة العلويين إلى هذا النوع من التعليم القادم من الغرب كان أشبه بالاستعمار الثقافي، ولذلك كان هو الاخر مقاطعاً بشكل تام وشامل، لأن العلوي إذا ما أخذ بهذه العلوم وتأثر بها، يخرج على تعاليمه الدينية والمذهبية، وبالتالي يفقد "نجاة الروح" مما يقوده للدخول إلى النار.

خاتمة

مرت الحركة التعليمية عند المسلمين في لبنان، خلال القرن التاسع عشر، بمراحل عدة، إختلفت بين مذهب وآخر تبعاً لظروف وتوجهات كل جماعة.

فمن مرحلة المبادرات الأهلية البدائية، والمتمثلة في قيام الكتاتيب الصغيرة الملحقة بالجوامع أو زوايا البيوت أو تحت الأشجار في ساحات القرى، حيث يتولى أحد المشايخ أو الأفراد، تلقين مبادئ العلوم الدينية والعربية للناشئة الصغار. إنتقل التعليم إلى أيدي الحكومة العثمانية التي قدمت مبادراتها بإنشاء المدارس الرشدية والإعدادية، والتي أقيمت في بعض المناطق اللبنانية كبيروت وطرابلس وصيدا، واحتجبت أو تعثرت في مناطق أخرى. ثم عاد النشاط التعليمي مرة أخرى لتتلقفه الهيئات الأهلية المنظمة عبر جمعيات مؤسساتية كالمقاصد في بيروت وصيدا، أو عبر أفراد مستقلين أخذوا زمام المبادرة بتأسيس المعاهد العلمية كالشيخ عباس الأزهري في بيروت والشيخ حسين الجسر في طرابلس والكثيرين ممن تولوا هذا الشأن في نشر المدارس المتعددة في جبل عامل.

وقد اتضح لنا من خلال بحثنا، أن التعليم لدى السنة في بيروت، مع بداية النصف الثاني للقرن الماضي، قد قام أولاً على العلوم الدينية بدافع الحرص على أبناء المسلمين ووقايتهم من التعليم النصراني الإرسالي، ثم تطور بعد ذلك بفعل الجهود المشتركة بين السلطنة العثمانية ممثلة بالوالي وبين الأهالي، فنشأت بعض المدارس الحكومية. وقد تعدى السنة من أبناء بيروت هذه المرحلة عندما سعوا إلى إنشاء مؤسسات تعليمية منبثقة من جمعيات خيرية تخص الطائفة وتقوم على رعاية أبنائها تعليمياً، بالتنسيق والتفاهم مع الدولة العثمانية. ولم يقف طموح أهالي بيروت عند هذا الحد بل إنهم تعدوا ما ذهب إليه العثمانيون، عندما بدأوا يفكرون بمناهج تعليمية خاصة بهم في مدارسهم متأثرين في ذلك بالمناخ التعليمي الإرسالي المحيط بهم، سواء من حيث المستوى التعليمي أو من حيث إدخال بعض العلوم العصرية على مناهجهم التعليمية، مما أثار حفيظة السلطنة العثمانية ودفعها إلى إلغاء جمعيتي المقاصد في بيروت وصيدا .

أما في صيدا، فعلى الرغم من تشابه الظروف والدوافع بينها وبين بيروت، فإن النشاط التعليمي فيها لم يتمكن من تجاوز المرحلة الرشدية، لا في المبادرات الأهلية ولا الرسمية، حيث لم تبلغ المدارس القائمة فيها القسط الوافي من النضوج.

أما في طرابلس فقد عاش المسلمون السنة فيها تجربة المرحلتين الأولى والثانية، وغابت عنها المبادرات المؤسساتية وحلت محلها المبادرات الفردية. وسمت بعض مدارسها بمستواها التربوي ومناهجها وعلومها بشكل خالف الشروط العثمانية المرسومة وأزعج المسؤولين، مما أدى إلى إغلاقها وتعطيل دورها، كما حدث مثلاً للمدرسة الوطنية.

أما الشيعة فقد تميزت حركتهم التعليمية، خلال القرن الماضي، باقتصارها على مرحلتين اثنتين: مرحلة التعليم البدائي القائم على تعليم القرآن ومبادئ القراءة والكتابة، والمرحلة الثانية المتمثلة بمدارس التعليم الأهلي الديني. أما التعليم الرسمي فلم يكتب له الانتشار في قرى جبل عامل.

وقد اتضح لنا من خلال هذا البحث أن الشيعة في جبل عامل لم يتأثروا بما كان يدور حولهم على المستوى التعليمي، كما أنهم لم يحاولوا الاستفادة من العلوم العصرية التي كانت قد غزت بشكل تام المناهج التعليمية في مدارس التعليم النصراني. وربما يعود السبب في ذلك لاعتبارات تتعلق بالتربية المحافظة لدى أهالي جبل عامل، الذين كانوا ينظرون إلى مثل هذه العلوم على أنها دخيلة وهدامة. وباستثناء الجهود التي قام بها رضا بك الصلح، والتي أسفرت عن إنشاء المدرسة الحديثة في النبطية والتي حاولت الخروج على التعليم التقليدي السائد في المنطقة وإدخال بعض العلوم العصرية على مناهجها، وعلى الرغم من عدم استمرار المدرسة لأكثر من تسع سنوات بسبب رفض الأهالي لهذا النوع من التعليم وتشبثهم بالطريقة التقليدية المحافظة في تدريس أبنائهم، لم يعرف الشيعة في لبنان بعامة وفي جبل عامل بخاصة، حتى مطلع القرن الحالي، أي مدرسة حديثة (غير دينية) تعنى بتدريس العلوم العصرية بعد مدرسة النبطية الحديثة.

أما الدروز فقد تجاوزت الحركة التعليمية عندهم، خلال القرن الماضي، المرحلة الأولى التي كانت تتمثل بمدارس القرى القائمة على شيخ يدرس الصبية بعض العلوم

البداتية، إلى المرحلة الثانية عندما أنشئت المدرسة الداودية في عبيه بجهد مشترك بين المتصرف داود باشا والأهالي، من دون المدارس "الرشدية" و"الإعدادية".

وقد برز نوع جديد من المدارس عند الدروز، لم نشهد مثيلاً له لدى سائر الطوائف الإسلامية، وهو مدارس الطبقة الإقطاعية التي كانت تقام في قصور الزعامات الإقطاعية كمدرسة المختارة.

ولعل اقتصار الجهود الدرزية على المرحلة الثانية يعود لكون الدروز لم يواجهوا مشكلة في تعليم أبنائهم في مدارس التبشير النصراني من جهة، ولا في المدارس التابعة للسلطنة "كالرشدية والإعدادية" من جهة أخرى.

أما الطائفة العلوية فلم تستطع، طيلة مسيرتها التعليمية خلال القرن الماضي، أن تتجاوز المرحلة الأولى المتمثلة بزوايا البيوت (الكتاتيب)، حيث كان الأولاد يتلقون المبادئ الأولى للقراءة والكتابة على يد "الخطيب" أي الشيخ. وقد اتسمت أهداف هذا التعليم، أولاً وأخيراً، بالدينية بغية نجاة الروح العلوية من النار.

ويمكننا مما تقدم أن نخلص إلى الحقائق التالية:

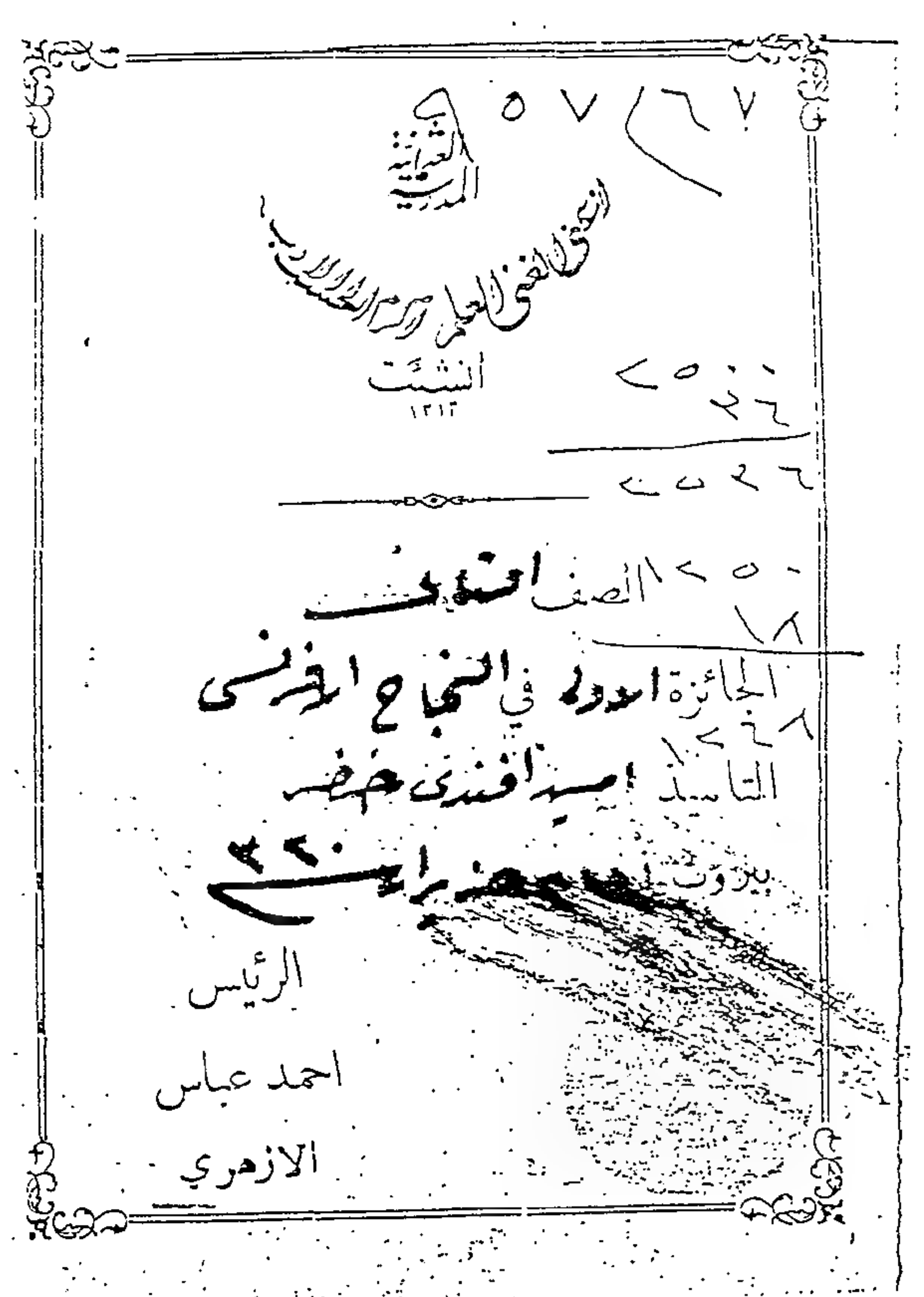
أولاً: إن المسلمين في لبنان خلال القرن الماضي، وعلى مختلف مذاهبهم، استطاعوا بمبادراتهم الفردية، أن يؤمنوا لأبنائهم الحد الأدنى من التعليم الذي ينقذهم من حالة الجهل والأمية، قبل أن تبدأ السلطنة العثمانية بالمساهمة بقيام المدارس الرسمية.

ثانياً: لم يتأخر المسلمون، وعلى مختلف مذاهبهم أيضاً، من تطوير مبادراتهم الفردية وتأطيرها داخل عمل جماعي مؤسساتي يضارع نشاط الإرساليات الأجنبية، بعد أن شعروا بالحاجات الملحّة للارتقاء بوسائل التعليم ومناهجه.

ثالثاً: إن السلطنة العثمانية، سواء بمبادراتها المتعددة لقيام المدارس الرشدية والإعدادية والعسكرية، أو بعدم اعتراضها على قيام المدارس الأهلية، بقيت تمارس مهمة الرقابة على شؤون التعليم، ولم تسمح بتجاوز سقف محدد ترى بأنه يهدد وجودها ومصالحها في المنطقة، فلذلك عمدت إلى إلحاق الشأن التعليمي في جميع الولايات بمجلس المعارف الأعلى في استانبول، وسخّرت مدارسها ومناهجها لخدمة أغراضها وأهدافها، كما عمدت

إلى إلغاء الجمعيات الأهلية أو إغلاق المؤسسات التعليمية أو حرمان بعض المناطق من المدارس كما رأينا في بيروت وطرابلس وصيدا وجبل عامل.

وثيقة رقم ١


المدرسة العثمانية
انشئت
١٣١٣
الصف
الجائزة
في
التلميذ
افندي
بيروت
الرئيس
احمد عباس
الازهري

وثيقة رقم ٢

تذكرة نفوس
ايالة صيدا
لوا   قضا

محل الولادة	تاريخ الولادة	الاسم والشهرة	محل الاقامة	نمرته في جريدة النفوس	صنعته وصفته	اشكاله

ان المحرر اسمه وصفته اعلاه   قد اعطي هذا السند ليعلم انه مقيد هكذا في جريدة النفوس فينال بموجبه الحقوق والامتيازات العائدة له في تبعيته الى السلطنة السنية ويكون له به الاحتجاج عند اللزوم والحاجة تحريرًا في   سنة   ١٢

وثيقة رقم ٣

قال الله تعالى

ان الله يحب المحسنين

وقال صلى الله عليه وسلم

ما نقص مال من صدقة

ورق ١٨

جلد ١٠

١٢

١٢

١٢

٣٦

فقط ستة وثلاثين غرش

وصل من جناب الفاضل [illegible] المبلغ المرقوم اعلاه وقدره ستة وثلاثين غرش اعانة لصندوق شعبة معارف صيدا عن شهر [illegible] في ٢١ [illegible] سنة [illegible]

قابض المال

وثيقة رقم ٤

ادام الله بقاه

حضرة الأخ الأكيد الحميد بكل مفخر الصادر عن تلك الاحساسات العالية التي عبرتها

بعد الإخلاص والتحية تلقينا الرقيم الكريم بتهنئة اخوانك الأعيد بطول بقائك ودوام عزك

من طبع مجدك الاتصاف بها في سائر الشؤون تمائم القرائح ينفس الملاحة من اخلاقك كما

بمناسبة العيد السعيد وانا نتقدم بعواطف الاحترام في كل ايام واعوام سائلين الله تعالى

قدمنا الفكم المستمد من وجدانكم الصحيح الذي هو مصدر الفضيلة لكم الاعياد واستحقكم الكريم بما

الديعيد امثاله على سعادتكم وعلى كواكب فضلائكم انجالكم الاحتراماتِ الصميمة عن اخلاص الزميل

تشاكرونه وثناء الجمال مشفوعا ذلك بتقديم

القلبية للفاضل الذي قد حاز اثبات ذاتي سمو كمالها فاذان سمة الفضائل بالجملة

٨ شوال [illegible]

الداعي عثمان الزيري

محمود [illegible]

وثيقة رقم ٥

جناب كر ماء... البكرات و اوجهية بعقلين المحترمين ادام الله وجودكم.

بعد سؤال خاطركم اعرض بمعلوم جنابكم انني متعاطي مهنة تعليم لأولاد في بعقلين من مدة طويلة وكان تأسيس المدرسة سنة ثمانية وثمانون وأنا قائم بخدمة تعليم الأولاد بالطريقة المرضية وحاصلا على رضا الحكومة والأهالي عموماً ارجوكم اعطائي الشهادة على ذلك بما تعلمون لأن الشهادة من الايمان ٩ تشرين الأول سنة ١٩٤٧ اسعد ولي الدين

حضرة الأستاذ اسعد ولي الدين المحترم.

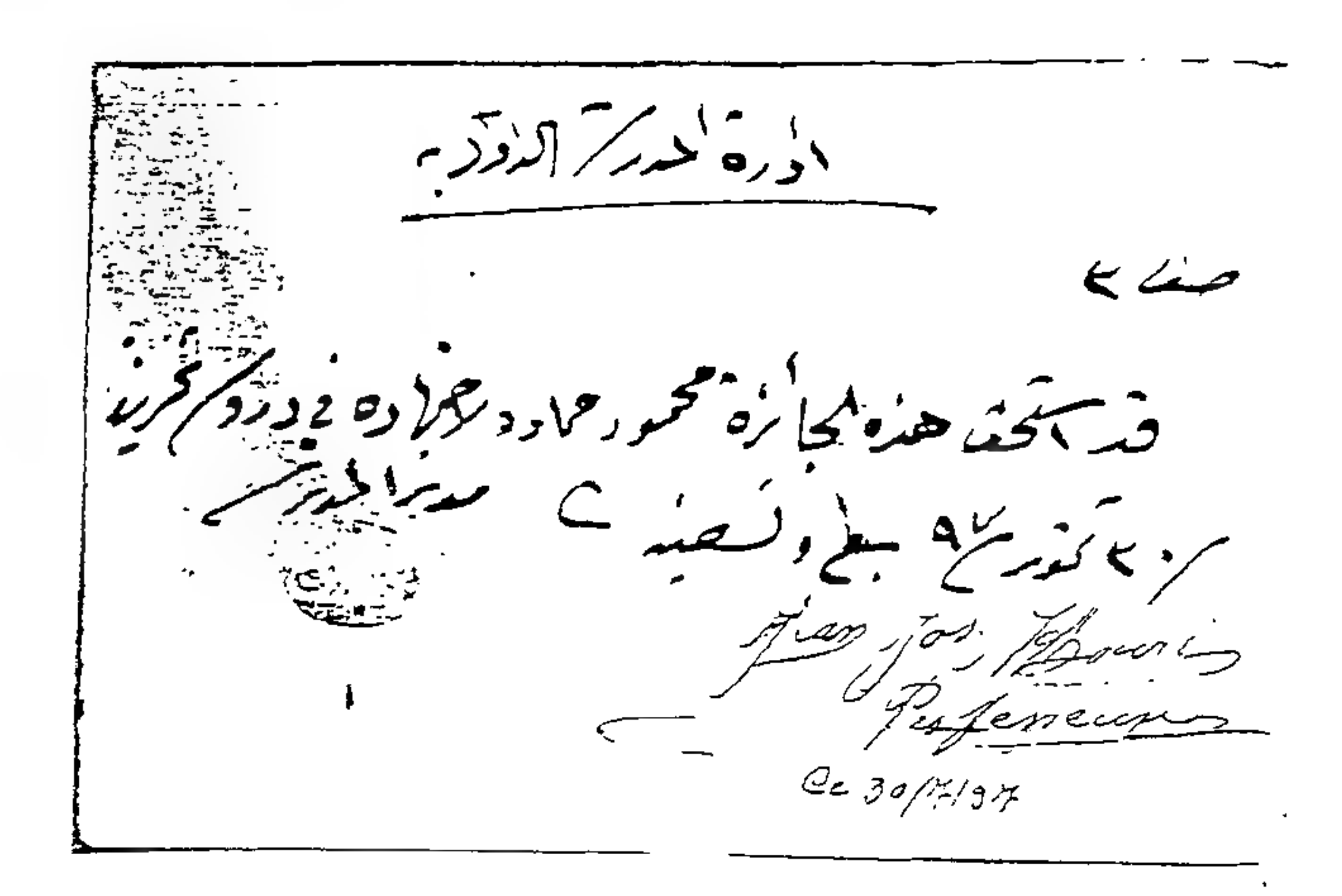
اطلعنا على حطابك وكلما اوضحتموه صار معلوماً. والجواب نشهد امام الله والناس ان لك مدة طويلة متعاطي بمصلحة تعليم الأولاد في بعقلين وحاصلاً على رضا الحكومة والأهالي عموماً وكثيرين الذين عمتهم وعلمت اولادهم وهذا الذي نعلمه ونشهد به امام الله والناس لأن الشهادة من الايمان.

ان الموقعين اعلاه قد وقع كل منهم اسمه بخط يده وان المعلم اسعد ولي الدين من بعقلين قد مارس مهنة التعليم زمناً طويلاً وقد كان في غضون هذا موضوع تقدير عموم اهالي بعقلين والقرى المجاورة لما بذله من خدمة اولادهم واستفادة عن الوجهتين العلمية والأدبية.

تحريراً ١٩٤٧/١١/١٣

خاتم قائمقامية الشوف

وثيقة رقم ٦



ادارة المدرسة الدولية

صفا ٢

قد استحق هذه المجازة محمود حمادي شهادة في دروس تجربة

٢٠ تموز ٩٧ بطي ولصيه ٢ مدير المدرسة

Professeur

ببليوغرافيا

أولاً : المراجع العربية

أبو عزالدين، نجـــــلاء، الدروز في التاريخ، ط ١؛ بيروت، دار العلم للملايين ١٩٨٥.

الأبيض، أنيس، الحياة العلمية ومراكز العلم في طرابلس خلال القرن التاسع عشر، طرابلس، لبنان،ط٢، ١٩٨٥.

الأسود، إبراهيم، تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، مج ٢، بيروت، مطبعة القديس جاورجيوس ١٩٢٧ ومج ٣، بيروت، المطبعة العلمية، ١٩٣٠.

أعلام النهضة الحديثة، الحلقة الثانية ط ١؛ بيروت، دار الحمراء للطباعة والنشر ١٩٩١.

الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق وإخراج ولده حسن الأمين، ط ٥؛ بيروت، مطبعة الإنصاف، ١٩٦١، ج ٣، ٥، ٨، ١٠.

الأمين، محسن، خطط جبل عامـــل، تحقيق وإخراج ولده حسن الأمين، بيروت، مطبعة الإنصاف، ١٩٦١، ج ١.

آل محبوبة، باقر، ماضـــي النجف وحاضرها، ط٢؛ بيروت، دار الأضــــــواء، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ج.١

الباشا، محمد خليل، معجم أعلام الدروز، ط ١،المختارة،لبنان، الدار التقدميـــة ١٩٩٠ مج١.

البستاني، بطرس، دائرة المعارف،(بإدارة فؤاد افرام البستاني)، مج ٧، بيروت، دار المعرفة، ١٨٨٣.

البهادلي، علي، النجف جامعتها ودورها القيادي، ط ١؛بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

بيهم، محمد جميل، المرأة في التاريخ والشرائع، بيروت، ١٩٢١.

التفرشي، مير مصطفى، نقد الرجال، طهران، ١٣١٨هـ-١٩٠٠م.

جابر آل صفا، محمد، تاريخ جبل عامل، ط ٢؛ بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٨١.

الحسن، محمد، (الحر العاملي)، أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل، تحقيق السيد احمد الحسيني، الطبعة المحققة الأولى؛ النجف الأشرف،مطبعة الآداب، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م، ج ١.

الحصري، ساطع، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط ٢؛ بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٠.

الحصري، ساطع، حولية الثقافة العربية، القهرة، الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، ١٩٤٩-١٩٦٢، ج ١.

حلاق، حسان، أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني، ط ١؛ بيروت، المركز الإسلامي للإعلام والإنماء، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

حلاق، حسان، التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية في القرن التاسع عشر،بيروت، الدار الجامعية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م،

حوراني، ألبرت، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩٣٩، ط ٣؛ بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٧٧.

الخوري، رنا يوسف، بيروت في المصنفات العربية، بيروت، الجامعة الأميركية، ١٩٩٥.

الخوري، شاكر، مجمع المسرات، (تقديم الياس قطار)، ط ٢؛ بيروت، دار لحد خاطر، ١٩٨٥.

الخوري، مارون، ملامح من الحركات الثقافية في طرابلس خلال القرن التاسع عشر، ط ٢،طرابلس، ١٩٨٣.

الخوري، منير، صيدا عبر حقب التاريخ من ٢٨٠٠ قبل الميلاد إلى ١٩٦٦، بيروت، المكتب التجاري، ١٩٦٦.

رضا، محمد رشيد، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، ط ١؛ مصر، مطبعة المنار، ١٣٥٠هـ-١٩٣١م، ج ١.

زيادة، نقولا، ابعاد التاريخ اللبناني الحديث، القاهرة، جامعة الدول العربية، ١٩٧٢.

زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، مصر، مطبعة الهلال، ١٩١٤، ج ٤.

الزين، احمد عارف، تاريخ صيدا، صيدا، مطبعة العرفان، ١٣٣١هـ-١٩١٢م.

الزين، سميح وجيه، تاريخ طرابلس قديماً وحديثاً منذ أقدم الأزمنة حتى عصرنا الحاضر، ط ١؛ بيروت، دار الأندلس، ١٩٦٩.

شريف، حكمت، تاريخ طرابلس الشام منذ أقدم أزمانها إلى هذه الأيام. (تقديم منى حداد يكن)، ط ١، طرابلس، لبنان، دار الإيمان، ١٩٨٧.

الصالح، محمود، النبأ اليقين عن العلويين، ط ٢؛ دمشق، مطبعة عكرمة، ١٩٩٣.

العاملي، زين الدين بن أحمد (الحر العاملي)، منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، تحليل وتحقيق عبد الأمير شمس الدين، ط ١؛ بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١.

عبده، محمد، الأعمال الكاملة، جمع وتحقيق محمد عمارة، ط ١؛ بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٢، ج ١.

عقراوي،متى،وماثيوز،رودريك دونالد، التربية في الشرق الأوسط العربي،القاهرة، مجلس التعليم الأميركي بواشنطن، ١٩٤٩.

عوض، محمد عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا، (تقديم احمد عزت عبد الكريم)، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩.

الفجر الصادق للجمعية الخيرية الإسلامية المؤسسة في بيروت ليلة غرة شعبان سنة ١٢٩٥هـ، بيروت، مطبعة جمعية الفنون، ١٢٩٧هـ و١٣٠٠هـ.

القاياتي، محمد عبد الجواد، نفحة البشام في رحلة الشام، "سلسلة التواريخ والرحلات"، بيروت، دار الرائد العربي، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

القمي، عباس، الكنى والألقاب، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٥٦، ج ٢.

المجذوب، طلال ماجد، تاريخ صيدا الاجتماعي ١٨٤٠-١٩١٤، (تقديم نقولا زيادة)، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٣.

مروة، علي، تاريخ جباع ماضيها وحاضرها، ط١؛ بيروت، دار الأندلس، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

مشاقة، ميخائيل، منتخبات من الجواب على اقتراح الأحباب، (تح. أسد رستم وصبحي أبو شقرا)، بيروت، ١٩٥٥.

مكي، محمد كاظم، الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل، ط ١؛ بيروت، دار الأندلس، ١٩٦٣.

المنار والأزهر، ط ١، مصر، مطبعة المنار، ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م.

الولي، طه، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، ط١؛ بيروت، دار العلم للملايين ١٩٩٣.

ثانيا: المراجع العربية المخطوطة

الأيوبي، جهينة، "جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت" رسالة لنيل درجة أستاذ علوم، بيروت: الجامعة الأميركية، حزيران ١٩٦٦.

البساط، آسيا، جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في صيدا، "النشؤ والتطور"، رسالة أعدت لنيل شهادة الماجستير في الجامعة اللبنانية عام ١٩٨١.

ثالثاً: المجلات

اسم المجلة	العدد أو الجزء	السنة
الأبحاث	مج ٤، ج ٣	١٩٥١م
الجنان	مج ٨، ج ٢١	١٨٧٧م
-	مج ١٦، ج٢١	١٨٨٥م

اسم المجلة	العدد أو الجزء	السنة
الدستور	مج ٤	١٩٧٤م
رياض طرابلس الشام	مج ٤	١٨٩٦م
المالنامة ولاية بيروت		١٨٩٢م
-		١٨٩٣م-١٨٩٤م
العرفان	مج ٢، ج٨	١٩١٠م
-	مج ٤، ج١	١٩١٢م
-	مج ٨، ج١٠	١٩٢٣م
-	مج٢٧، ج٥و٦و٧	١٩٣٧م
-	مج٢٨، ج٣	١٩٣٨م
-	مج٣١، ج٣	١٩٤٢م
-	مج٤٩، ج١٠	١٩٦٢م
الكشاف	ج١، عدد ٥	١٩٢٧م
الكلية	ج٩، عدد ٤	١٩٢٣م
محاضرات الندوة	النشرة، ٨-٩	١٩٤٧م
المشرق	عدد ١٥	١٨٩٩م
المقتطف	مج ٧	١٨٨٣م
-	مج ١٦	١٨٩١م-١٨٩٢م
المنار	مج٢٨، ج ٥	١٩٢٧م
الهلال	ج ٥	١٩٠٩م
يوم تكريم الطالب في بعقلين	المهرجان الأول	١٩٩٥م

رابعا: الصحف

اسم الصحيفة	من سنة	حتى سنة
ثمرات الفنون	١٨٧٥م-	١٩٠٨م
طرابلس الشام	١٨٩٣م-	١٩٠١م

اسم الصحيفة	عدد	سنة
الاتحاد العثماني	٤٦٤	١٩١٠م
الاتحاد العثماني	٨٥٦	١٩١١م
الإقبال	٥٣	١٩٠٣م
الإقبال	٥٥	١٩٠٣م
الإقبال	٦١	١٩٠٣م
الصفا	ج٤	١٨٩٧م
الصفا	ج٤	١٨٩٨م
لسان الحال	٣٢١٦	١٨٩٩م

سادسا: المقالات

جابر آل صفا، محمد، "صفحات من تاريخ جبل عامل"، العرفان، مج٢٧، ج٥، ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م، ص: ٣٨٥.

جابر آل صفا، محمد، "صفحات من تاريخ جبل عامل"، العرفان، مج ٢٧،ج٦، ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م، ص: ٤٦٠.

جابر آل صفا، محمد، "صفحات من تاريخ جبل عامل"، العرفان مج٢٧، ج٧، ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م، ص: ٦٢٩.

جابر آل صفا، محمد، "صفحات من تاريخ جبل عامل"، العرفان، مج٢٨، ج٣، ١٣٥٨هـ-١٩٣٨م، ص:٢٢٥.

الجمال، فاروق، "تعالوا نفتح صفحات التاريخ منذ كانت حوض الولاية الكلية العسكرية"، الدستور، مج٤، ٢٩نيسان- ٢٨تموز ١٩٧٤، ص: ٥٦.

حتي، فيليب، "اسعد يعقوب الخياط اعظم رحالة وأول مهذب سوري في القـرن التاسع عشر"، الكلية، عدد٤، ج٩، ١٩٢٣، ص:١٧٤.

حطب، شفيق، "ذكريات السيدة أم علي سلام عن مدرستها"، اوراق لبنانية، مج١، ج٣، ١٩٥٥، ص:١٣٦.

حطب، شفيق، "السيدة نظيرة محاسبجي أم المرحوم رياض الصلح"، اوراق لبنانية، مج١،ج٤، ١٩٥٥، ص١٨٢.

رضا، أحمد، "صحف تاريخية، المتاولة أو الشيعة في جبل عامل"، العرفان، مج٢، ج٨، ١٣٢٨هـ-١٩١٠م، ص:٣٨١.

سراج الدين، أحمد، "الحركة التربوية وتطورها في سوريا ولبنان خلال القرن التاسع عشر"، الابحاث، مج٤، ج٣، ١٩٥١، ص:٣٢١.

شيخو، لويس، "المعلم الياس اده الشاعر"، المشرق، عدد ١٥،آب ١٨٩٩، ص:٦٩٣.

الصباح، سعيد، "مراحل العلم في جبل عامل"، العرفان، مج٤٩، ج١٠، ١٣٨١هـ-١٩٦٢م، ص:٩٥١.

الظاهر، سليمان، "جبل عامل صحيفة من تاريخه العلمي"، العرفان، مج٤، ج١، ١٣٣٠هـ-١٩١٢م، ص:١٧.

الظاهر، سليمان، "اسماء قرى جبل عامل"، العرفان، مج٨، ج١٠، ١٣٤١هـ-١٩٢٣م، ص:٧٥٩.

الظاهر سليمان، "جبل عامل"، مج٣١، ج٣،١٣٦١-هـ-١٩٤٢م، ص:١٢١.

فروخ، حسن، "النهضة التعليمية في مطلع القرن العشرين"، محاضرات النـدوة (تح. ميشال أسمر) السنة الثانية، النشرة ٨-٩، بيروت، المطبعة الكاثوليكيـة، ١٩٤٨، ص:٢٧٤.

فتح الله، عبد الباسط، "حياة الاستاذ الرئيس أحمد عباس الأزهري"، الكشاف، مج١، عدد٥، ١٣٤٥هـ-١٩٢٧م، ص:٢٩٠.

خامسا: مقابلات شخصية

مقابلة مع السيد حسن محسن الأمين، بيروت في ٢٣-١١-١٩٩٥.

مقابلة مع الشيخ طه الولي، عرمون في ١٥-١٢-١٩٩٥.

مقابلة مع السيد محمد أبو مرعي (رئيس الدائرة الإدارية في جمعية المقاصد_ صيدا) صيدا في ٥-٢-١٩٩٦.

مقابلة مع الشيخ أسد عاصي (المرجع المؤقت للطائفة العلوية في لبنان) طرابلس في ٤-٥- ١٩٩٦.

مقابلة مع الأستاذ شوقي حمادة، بعقلين في ٢٣-١١- ١٩٩٥.

سادسا: المراجع الإنجليزية

Churchill, Charles Henry, Mount Lebanon: Ten Year's Residence 1842-1852, vol 1, London 1853.

Hony, H.C., and Fahirix, A.D., Alderson and Fahirix, The Oxford Turkish English Dictionary, 3 Edition, Oxford: Clarendon Press 1984.

Redhouse, W., A Turkish and English Lexicon Beyrouth: Librairie de Liban, 1974.

المراجع الفرنسية

Dr. L'ortet, La SYRIE D'aujourd'hui, Voyages Dans la Phenicie, Le Liban et Le Judée 1875-1880, Paris, Hachette 1884.

Saint Pierre, Puget de, Histoire des Druzes Peuple du Liban, Paris 1763.